سلسلة
معارف إلهية
تكشف عن آخر ما توصلت إليه
أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام

٢

المنهج المختار في قراءة بيانات الوحي

بقلم
الشيخ كامل بدر الحلفي

سلسلة
معارف إلهيَّة
تكشف عن آخرِ ما توصَّلت إليه
أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام
(٢)

المنهج المختار
في
قراءة بيانات الوحي

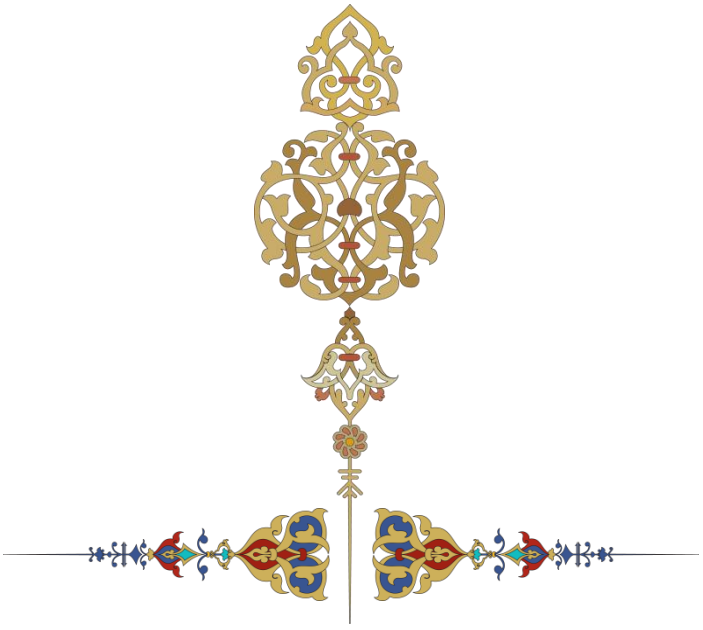

الْمَنْهَجُ الْمُخْتَار

فِـي

قِرَاءَةِ بَيَانَاتِ الْوَحِي

بقلم

الشَّيخ كامِل بَدِر الْحِلْفِيّ

أسم الكتاب /

المنهج المختار
في
قراءة بيانات الوحي

بقلم /
الشيخ كامل بدر الحلفي
النجف الأشرف

محفوظة جميع الحقوق

سنة الطبع /
١٤٤٧هـ - ٢٠٢٦ م
الطبعة / الثانية
منقحة ومزيدة

اخراج/
المهندس يوسف الخزعلي
٠٧٨١١٣٥٢٠٧٣

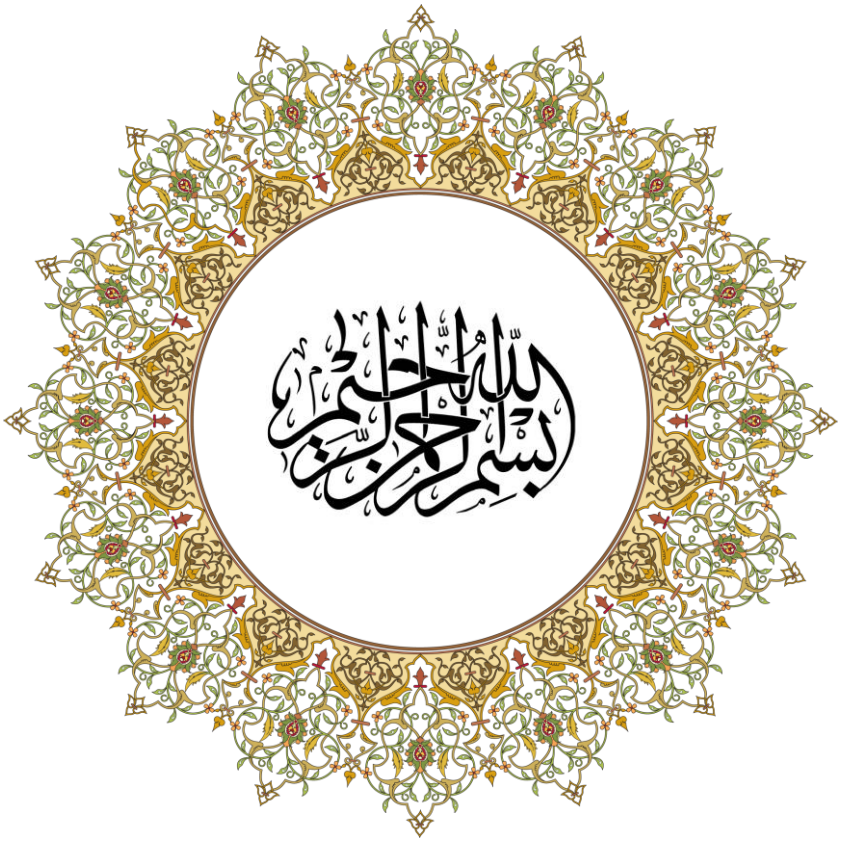
بسم الله الرحمن الرحيم

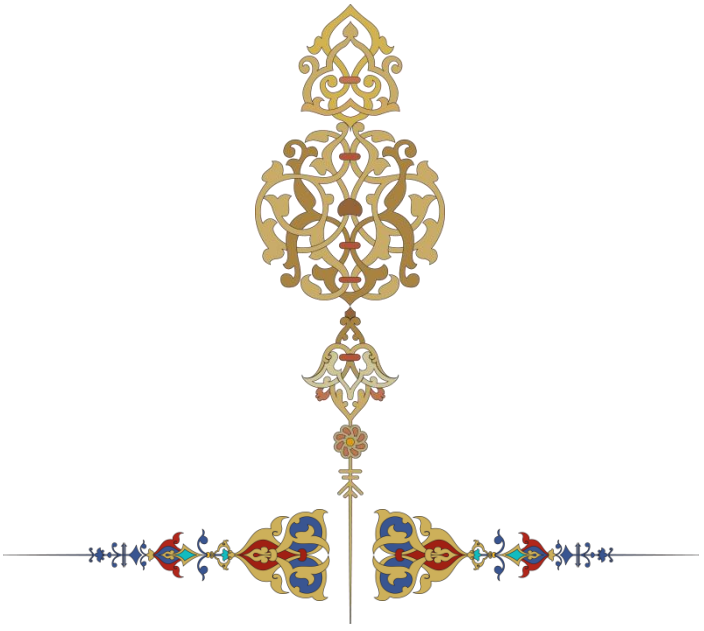

الْمُقَدَّمَة

الحمدُ لِلّـه الَّذي لا مِنْ شَيءٍ كان ، ولا مِنْ شيءٍ كوَّن ما قد كان ، المُستشهِد بحدوث الأَشياء على أَزَليَّته ، وبما وَسَمَها به من العجز على قدرته ، وبما اضطرَّها إِليه من الفناء على دوامه. وأَفضل الصَّلاة وأَتَمّ السَّلام على مُحَمَّدٍ عبده ورسوله ، المُقَرُّ في خير مُستقرّ ، المُتناسخ من أَكارم الأَصلاب ومُطهَّرات الأَرحام. وعلى آله مَحَالِّ قُدس اللّـه ، وشرف الأُمَّة ، وسادة الأَئمَّة ، ونواميس العصر ، وأَحبار الدَّهر ، وسادة العباد ، وساسة البلاد ، والسَّبيل والسَّلسبيل ، والنَّهج القويم ، والطِّريق المُستقيم ، نابها الأَكبر ، وسَنَامها الأَطول ، وهامتها الأَعظم. واللَّعنة الدَّائمة أَبد الآباد ودهر الدُّهور على أَعدائهم وشانِئيهم وظالميهم ومتابعيهم ؛ وغاصبي حقوقهم ، ومنكري فضائلهم ومناقبهم ، ومناوئي شيعتهم من الأَوَّلين

والآخرين.

وبعد : هذا هو الإِصدار الثَّاني الَّذي مَنَّ الله تعالىٰ علينا أَنْ وفَّقنا لإِصداره ضمن هذه السِّلْسِلَة ، وهي سِلْسِلَة المعارف والعقائد المُستفادة من بيانات الوحي القطعيَّة بالقطع العقلي ، بل والوحياني ، والمُستفاد جملة من بحوثها من الأَبحاث العلميَّة والمعرفيَّة والعقائديَّة والعقليَّة الحديثة الدَّائرة في أَروقة حوزة النجف الأَشرف ، وبعضها الآخر جهود وتحقيقات خاصَّة ، والَّتي تحمل جملة هذه الأَبحاث والتَّحقيقات في طيَّاتها آخر ما توصَّلت إِليه أَتباع مدرسة أَهل البيت عليهم السلام في جامعة العلم الكُبرىٰ (حوزة النَّجف الأَشرف) ، وكُلُّ ذلك إِداءً لواجب الدِّين والشَّريعة ، وقياماً بفروض الخدمة للحنيفيَّة البيضاء ، وإِحياءً لِـمَا قد اِنْدَرَسَ من معالم الدِّين والإِيمان ، وانْطَمَسَ تحت أَطباق البلىٰ ، وإِعلاءً لكلمة الحقّ ؛ كلمة العدل والصِّدق ، ونشراً لأَلوية معارف الإِسلام المُقَدَّس والإِيمان الأَقْدَس ، وذبّاً عن مدرسة الحقيقة ؛ مدرسة أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم).

وهذا الإِصدار يتعرَّض للمذهب والمنهج العلميّ المُختَار في التَّعاطي مع بيانات الوحي الجبَّار ، وقراءتها ، وهو مذهب ومنهج مشهور طبقات فقهاء وعلماء مدرسة الإِماميَّة (أَعزَّهم الله تعالىٰ) ـ كما نقل ذلك الشَّيخ الأَنصاري في رسائله ـ ، منهم : الشَّيخ المفيد ، والسَّيِّد المرتضىٰ ، وابن

البراج ، والحلبيُّون ، والكشِّي ، والنَّجَاشِيّ ، وابن الغضائري (الابن) ، وابن إِدريس ، وابن زهرة ، والمُحقِّق الحلِّيّ ، بل والشَّيخ الطُّوسيّ وإِنْ اختلف مبناه قليلاً. نعم هذا المنهج مُغيَّبٌ ومهجورٌ في يومنا هذا.

ومنه سبحانه وتعالىٰ أَسأل التَّوفيق لي ولأُخوتي المؤمنين ، وصلَّىٰ الله على محمَّدٍ وآله الطَّاهرين.

من جوار مرقد أَمير المؤمنين عليه السلام

الشَّيخ كامل بدر الحلفيّ

الثلاثاء/ ٢٠ مُحرَّم/ ١٤٤٥هـ.

المنهج المختار في قراءة بيانات الوحي

إِنَّ المنهج المختار في التَّعاطي مع بيانات الوحي وقراءتها مُبْتَنٍ على لغتين وقراءتين أَساسيَّتين ، وهما منهج مَنْ بلغ مقام التَّعَلُّم من أَولياء اللَّـه:

الأُوْلَى: اللغة والقراءة العقليَّة:

إِنَّ المنهج المختار في التَّعامُل والتَّعاطي مع بيانات الوحي الإِلٰهيّ ـ الوارد في أَبواب المعارف والبحث العقائديّ ـ لا يدور مدار التَّعَبُّد الظَّنِّيّ في السَّند أَو الصُّدور أَو الدِّلالة ؛ فإِنَّه وإِنْ كان مفيداً للنقل والإِيصال الحسيّ ـ وهو غاية دور العلم النَّقلي كـ: (التَّواتر) ، و(الإِستفاضة) فضلاً عمَّا دونه من: (الظَّنِّ العقلي) ، أَو (النَّقل الظَّنِّي) ـ لكنَّه ليس بمثمرٍ بمفردِهِ لغاية: (اليقين العقلـي) فضلاً عمَّـا فوقـه مـن (اليقين الوحياني) ، بـل غـايـة

العلم النَّقلي: إعداد لدور: (الفهم) و(العقل)[١] لدرك أَشعَّة الوحي ، وإِنَّما[٢] يدور مدار اِسْتِخْرَاج الدَّليل والبيان والبرهان العقلي من بيانات الوحي الإِلٰهيّ الشَّريف ؛ من خلال: (اللغة والقراءة العقليَّة) المستندة إِلى مُقَدِّمات عقليَّة أَيضاً تفوح من تلك البيانات الوحيانيَّة.

وقد ذهب إِلى هذا المنهج جملة من أُسود علماء معارف الإِماميَّة وفقهائها (تقدَّست أَسرارهم وأَعلىٰ الله مقاماتهم) ، منهم: الشَّيخ الطُّوسيّ ، والخواجة نصير الدِّين الطُّوسيّ ، والمُقَدَّس الأَردبيلي ، والشَّيخ المجلسيّ ، والشَّيخ البهائي ، والميرزا القُمِّيّ.

بعد الإِلتفات: أَنَّ لغة بيانات الوحي المعرفيَّة: لغة عقليَّة وحيانيَّة ؛ لأَنَّ العقل من نتاجات الوحي الإِلٰهيّ ، لكنَّها وإِنْ كانت لغة عقليَّة ـ ولم تكن لغة قانونيَّة ، أَو لغة أَخلاقيَّة ، أَو لغة روائيَّة ، أَو لغة علم حديث ، أَو لغة علوم دينيَّة أُخرىٰ ـ إِلَّا أَنَّها أَعظم من نتاج العقل البشري الأَرضي بما لا يُتناهىٰ.

وهذه القضيَّة تأتي في طُرِّ أَبواب المعارف الإِلٰهيَّة ـ كـ: باب:

---

(١) سيأتي (إِنْ شاء الله تعالىٰ) توضيح بعض معالم حقيقة: (الفهم) ، و(العقل) في ذيل هذه المسألة ، تحت عنوان: تنبيهات ، فانتظر.

(٢) هذه العبارة عدل للعبارة السَّابقة ، وهي: «إِنَّ المنهج المختار ... لا يدور مدار التَّعَبُّد الظَّنِّيّ... وإِنَّما يدور ...».

(التَّوحيد) ، و(النُّبُوَّة) ، و(الإِمامة) ، و(المعاد) ـ فإِنَّها تُرىٰ بعين العقل الوحيانيِّ ، لا بعين العقل البشريِّ ولا بعين الحسِّ ولا بعين الخيال ، فلا تستطيع لغة علم فقه الفروع ، أَو لغة علم الكلام ، أَو لغة علم الفلسفة ، أَو لغة علم الرِّجَال ... قراءتها.

نعم لِلُغة الحسِّ والنَّقل ولغات هذه العلوم دور تمهيديّ وإِعداديّ لِلُّغة العقليَّة الوحيانيَّة ، وليس دوراً غائيّاً نهائيّاً ، وإِلَّا فخدعة وإِماتة للعلم.

وإِلى هذه اللغة تشير بيانات الوحي الوافرة الباهرة ، منها:

١ـ بيان أَمير المؤمنين عليه السلام ، عن الأصبغ بن نباتة ، قال: «... قَامَ إِلَيه رَجُل يقال له: (ذعلب) ، فقال: يا أَمير المؤمنين هل رأيت ربك؟ فقال: **ويلك يا ذعلب ، لم أكن بالَّذي أعبد رَبّاً لم أَره**. قال: فكيف رأيته؟ صِفْهُ لَنَا. قال: **ويلك ، لم تـره العيون بمشاهدة الأَبصار ، ولكن رأته القلوب بحقائق الإِيمـان** ...»[1].

٢ـ بيان جواب الإِمام الصَّادق عليه السلام عن سؤال الزِّنْدِيق: «... كيف يعبد الله الخلق ولم يروه؟ قال عليه السلام: **رأته القلوب بنور الإِيمان ، وَأَثْبَتَتْهُ العقول بيقظتها إِثبات العيان** ...»[2].

٣ـ بيان الإِمام موسىٰ بن جعفر عليهما السلام ، عن هشام بن الحكم ، قال:

---

(١) بحار الأَنوار ، ٤: ٢٧/ ح٢ .

(٢) المصدر نفسه ، ١٠: ١٦٤.

«... يا هشام: إِنَّ اللَّـهَ (تبارك وتعالىٰ) أَكْمَلَ للنَّاس الحُجَجَ بالْعُقُول ، وَنَصَرَ النَّبِيِّين بالبيان ، وَدَلَّـهُم على رُبُوبِيَّتِهِ بالأَدلَّة ، فقال: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ * إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[1]. يا هشام: قَدْ جَعَلَ اللَّـهُ ذٰلِكَ دليلاً على معرفته بأَنَّ لَـهُم مُدَبِّراً ، فقال: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[2] ، وقال: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[3] ، وقال: ﴿وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[4] ، وقال: ﴿يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[5] ، ﴿وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ

---

(١) البقرة: ١٦٣ ـ ١٦٤.

(٢) النحل: ١٢.

(٣) غافر: ٦٧.

(٤) الجاثية: ٥.

(٥) الحديد: ١٧.

يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[1] ، وقال: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[2] ، وقال: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[3] ، وقال: ﴿هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[4] ... »[5].

ودلالته ـ كدلالة سابقيه ـ واضحة.

بل هذه القواعد الوحيانيَّة العقليَّة لا يمكن قراءتها بلغة أُخرىٰ غير اللغة العقليَّة الوحيانيَّة.

نظيره: معاني اللغة العربيَّة الإِعتباريَّة ، فإِنَّه لا يُمكن قراءتها بلغة

---

(١) الرعد: ٤.

(٢) الروم: ٢٤.

(٣) الأنعام: ١٥١.

(٤) الروم: ٢٨.

(٥) أُصول الكافي ، ١: ١٣/ح١٢.

إِعتباريَّة أُخرىٰ ، كاللغة الإِنكليزيَّة ، بل لابُدَّ من قراءتها بنفس اللغة العربيَّة.

وبالجملة: المغزىٰ العقلي المُستفاد مِنْ بيانات الوحيّ لا يمكن إِستخراجه بالمباشرة من ظاهر وسطح اللَّفظ إِلَّا بقطع المُتَدَبِّر مسافة السَّطح والغور في العمق . كما لا يمكن استخراجه وقراءته بقوَّة: الحسِّ ، أَو الخيال ، أَو الوَهْم ، أَو العقل البشري ، بل بقوَّة العقل الوحيانيّ ، فهي القوَّة الوحيدة المتاح لها قراءة هذا النُّوع من الكلام ، ومِنْ ثَمَّ حصرت سلسلة من بيانات الوحي فهم جملة من الأَفعال والأَحكام التَّكوينيَّة ، بل التَّكوين برمَّته ـ كلغة لها تأْويل ـ بأُوْلي العقل واللُّب والكياسة والفطنة.

وهذه اللغة لا يتمكَّن منها أُسراء: المادَّة الغليظة والحسّ والخيال والوَهْم والعقل البشري ، ومِنْ ثَمَّ لا يَقرأ الطَّابع الإِلٰهيّ في شتَّىٰ العلوم ـ كعلم الفيزياء ـ إِلَّا نوابغها ، فهم مَنْ تَحْصَل لديهم حالة خشوع وتَذَلُّل وقشعريرة للعظمة الإِلٰهيَّة ، من خلال رؤية الجمال والعظمة الإِلٰهيَّة من الأَفعال التَّكوينيَّة وما وراءها من عظمة ومصدر قوَّة وحكمة ، ومناجاة[1] الـخالق (جلَّ قدسه) لجملة المخلوقات .

ومعناه: أَنَّ كلَّ ما يرومه المخلوق من جواب يجده حاضراً لديه من

---

(١) هذا عطف على كلمة: (عظمة) فتكون العبارة كالتَّالي: «فهم مَنْ تحصل لديهم ... من خلال رؤية الجمال ... من الأَفعال التَّكوينيَّة وما وراءها من عظمة ... وما وراءها من مناجاة الخالق (جلَّ قدسه) ...».

ساحة القدس الإِلٰهيَّة في أَعماق عَالَمَ التَّكوين ؛ ففيه صفحات وفصول عن كلِّ شاردةٍ وواردةٍ.

إِذَنْ: يمكن قـراءة: (الدِّين)[١] ، و(الشَّريعة) ، و(العـقائد) ، و(المعارف) ، و(الآداب) ، و(الأَخلاق)[٢] وغيرها من صفحات عَالَمَ

---

(١) **ينبغي الإِلتفات** في المقام إِلى التَّنبيهات التَّالية:

الأَوَّل: أَنَّ الرَّابطة بين الخالق ـ المُسمَّىٰ ـ تقدَّس ذكره ـ والمخلوق قائمة على قدم وساق ولا نهاية لها ، لأَنَّ الدِّين ـ المُمثِّل لتلك الرابطة ـ لا حدَّ ولا نهاية له ، ولا يرتفع في أَيِّ عَالَمَ من عوالم الخلقة ـ سوآء أَكان في عَالَمَ البرزخ أَو عَالَمَ القيامة أَو عَالَمَ الآخرة الأَبديَّة أَو بعدها ـ فلا يصل المخلوق في أَيِّ عَالَمَ ونشأةٍ إِلى بقعةٍ لا دين فيها.

نَعَم ، توجد هناك مناطق استراحة.

الثَّاني: أَنَّ التَّأويل والتَّفسير الحاصل في أَبواب المعارف إِذا لم يستند إِلى الموازين والضوابط والشَّواهد العلميَّة والصناعيَّة المذكورة في بيانات الوحي والعقل كان زخرفاً من القول ، وهلوسة مزاج.

الثَّالث: أَنَّ أَعظم ضابطة في الدِّين ـ لقراءة بيانات الوحي ـ بإِجماع علماء الإِماميَّة (أَعزَّهم الله تعالىٰ) ، ذكرها القرآن الكريم وبيَّنتها بيانات أَهل البيت (صلوات اللَّـه عليهم) الشَّريفة: (عرض الحديث على الكتاب الكريم والسُّنَّة الشَّريفة ، فيُؤخذ بما وافق مُحكماتهما ، ويُترك ما خالفهما).

الرَّابع: الميزان الَّذي إِنْ تمسَّكَ به المخلوق لم يقع في أَحَد جانبي الغُلُوّ والتَّقصير ، أَو التَّشبيه والتَّعطيل ، أَو الجبر والتَّفويض ، أَو الإِفراط والتَّفريط: أَنْ يضع كُلَّ شيءٍ في رتبته.

(٢) لا بأس بالإِلتفات في المقام إِلى القضايا التَّالية:

←

← القضيَّة الأُولىٰ:

صعوبة فرز وتمييز العناوين الأَخلاقيَّة المعرفيَّة

إِنَّ فرز وتمييز العناوين الَّتي لها طابع أَخلاقي ومعرفي عقائدي بعضها عن الآخر تنظيراً وتطبيقاً ـ من حيث الآليَّات ـ من أَشكل الأُمور ، بل حيَّرت علماء الأَخلاق والمعارف ، بل وعلماء اللُّغة ؛ وتحتاج إِلى تجربةٍ عريضةٍ ، ودربةٍ واسعةٍ ، واستقراءٍ وفحصٍ شاسعٍ ، وتنظيرٍ دقيقٍ ونافذٍ وثاقبٍ.

وكثير من عناوين الفضائل والرَّذائل يتعاطاها الإِنسان ويتلقَّاها بملفَّات وعيون ومسامع فكره وذهنه بإِبهام بهيم ومجمل ؛ ومن ثَمَّ جعل الشَّارع المُقدَّس آداباً لكلِّ شيءٍ ؛ كيما لا يتيه العبد ولا تختلط عليه العناوين ، فنيَّته وإِنْ كانت سليمة لكنَّه قد يستخدم اشتباهاً آليَّات تجرَّه للرَّذيلة من حيث لا يشعر.

والفرز بينها:

أَمَّا تنظيراً: فيتمُّ من خلال الإِلمام بالبحوث: اللُّغويَّة والمعرفيَّة والأَخلاقيَّة ، ثُمَّ يأتي إِلى منصَّة بيانات الوحي ، ليستقرئ بدقَّة الضوابط المهيمنة في باب عناوين الفضائل والرذائل.

وأَمَّا تطبيقاً: فيتمُّ من خلال مراجعة بيانات الوحي ؛ لأَنَّ غالب البشر ـ وإِنْ كانوا من الأَكابر ـ يجهلون آليَّات تطبيق المفاهيم ، فالعرفاء يجهلون غالباً آليَّات وآداب المكارم ، والسياسيُّون والحُكَّام يجهلون أَيضاً آليَّات وآداب السياسية ، وأَرباب الأُسر يجهلون أَيضاً آليَّات وآداب الأُسرة ، وَأَصحاب السلوك الفردي يجهلون كذلك آليَّاته وآدابه ، وهلمَّ جرّاً.

وهذا بيانٌ وبرهانٌ دالٌّ على ضرورة: التَّوحيد ، والوحي ، والنُّبوَّة ، والرِّسالة ، والإِمامة ، والمعاد.

←

متابعة الباحث لعناوين باب الفضائل والرَّذائل مفيدة جِدّاً

ثُمَّ إِنَّ متابعة الباحث لمفردات العناوين في باب المكارم الأَخلاقيَّة وباب الرَّذائل تنظيراً ومفهوماً لغويّاً ستخدم لا محالة بحوثه النَّظريَّة ـ الإِعتقاديَّة والمعرفيَّة والتَّربويَّة والأَخلاقيَّة ـ كثيراً ؛ لأَنَّ اللُّغة النَّفسانيَّة والأَخلاقيَّة ، بل والبدنيَّة وهلمَّ جرّاً من لغات المعارف والإِعتقادات يُمكن أَنْ تُكتب بها المعارف بكافَّة أَبوابها.

ومنه يتَّضح: بطلان ما تخيَّله فلاسفة المشَّاء: من أَنَّ اللُّغة الوحيدة والَّتي لها الأَهليَّة أَنْ يُكتب بها علم الفلسفة: لغة العقل النَّظري ليس إِلَّا ؛ فإِنَّ صريح بيانات الوحي قاضي بأَنَّها أَحَد اللُّغات ، بل اللُّغة النَّفسيَّة رُبَما تكون أَعظم عموميَّة وفهماً لدىٰ طبقات عموم البشر منها ، والَّتي يظنَّ البعض ـ لا سيما الفلاسفة ـ اشتباهاً أَنَّها لغة عالميَّة ، نعم عالميَّتها بين النُّخَب العقليَّة الفلسفيَّة ، أَمَّا نُخب غيرها فلا يفهمونها ؛ بعدما كانت جافَّة ومغلقة ومُعقَّدة.

القضيَّة الثَّانية:

الفرق بين الآداب والأَخلاق

هناك فارق بين الآداب والأَخلاق ، حاصله: أَنَّ الآداب عبارة عن آليَّات بدنيَّة ذكيَّة ملتصقة ومرتبطة بعناوين وهيئات أَخلاقيَّة. بخلاف الأَخلاق ؛ فإِنَّها هيئات نفسانيَّة.

القضيَّة الثَّالثة:

قراءة أَبواب المعارف وما يجيش في دخيلة الشَّخص

يمكن قراءة جملة أَبواب المعارف وترجمتها بلغة البدن والرِّياضيَّة البدنيَّة والآداب الحسيَّة المرئيَّة. بل يمكن من خلال السلوك البدني للشَّخص ـ في الأَكل والشرب ، والنَّوم ، وحلّه وترحاله ، وتعامله مع الغير ، ومع جملة البيئات المحيطة به ـ

التَّكوين .

ومنه تَتَّضِح: نكتة إِصرار القرآن الكريم على الصِّلَة بين حقيقته وحقيقة عَالَمَ التَّكوين برمَّته[1].

← تشخيص: توحيده وإِسلامه وإِيمانه بـ: العدل الإِلٰهي ، والنُّبوَّة ، والإِمامة ، والمعاد، ومعتقده جبري أَم تفويضيّ أَم لا ، وهلمَّ جرّاً.

(١) يجدر صرف النَّظر في المقام إِلى الأُمور التَّالية:

الأَوَّل: أَنَّ التَّشريع الإِلٰهي يُطابق عَالَمَ التَّكوين ، لكن لا ببعد تكويني واحد ، بل بمجموع أَبعاده.

الثَّاني: أَنَّ نظام خلقة الله نظام قائم على العدل ، وعلى الموازين والقواعد.

الثَّالث: أَنَّ الفخر والفخار يكمن في أَنْ نبني ما بقي ، لا استهلاك واجترار ما بُني ، فليس فيه فخر وفضيلة.

الرَّابع: أَنَّ ما ورد في بيان سيِّد الأَنبياء ﷺ: «**النَّاس نيام فإِذا ماتوا انتبهوا**» ـ بحار الأَنوار ، ٥٠: ١٣٤ ـ برهانٌ وحيانيٌّ دالٌّ على ضعف إِدراكات الإِنسان وضعف وعيه للحقائق في هذه النَّشْأَة كوعي النَّائم.

نعم ، إِذا مات انتبه وازداد وعيه وإِدراكه وَإِحاطته ، وهذا مطابق لمفادات كثير من بيانات الوحي ، منها:

١ـ بيان قوله جلَّ قوله: ﴿**وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**﴾ [العنكبوت: ٦٤].

فإِنَّ عنوان (الحيوان) صيغة مبالغة للحياة ، سوآء أَكانت حياة رغد أَم حياة عذاب. ←

فانظر: بياناته الوافرة الباهرة ، منها:

بيان قوله عزَّ ذكره: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي

٢ـ بيان قوله عزَّ قوله: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ * لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: ٢١ـ٢٢].

فإِنَّه برهانٌ وحيانيٌّ دالٌّ أَيضاً على صيرورة إِدراكات الإِنسان مُسَلَّحة وذات حِدَّة بعد موته.

وهذا على طرف نقيض لما يتوهَّمه أَصحاب النَّزعة والماديَّة كالسَّلفيَّة والوهابيَّة والعلمانيَّة ؛ فإِنَّهم يزعمون اندثار الإِنسان بعد موته ، وَأَنَّ الحياة الدُّنيا هي الصنم وقطب الرَّحىٰ ليس إِلَّا.

وهذه صفة وسمة الملحد والكافر.

فانظر: بيانات الوحي ، منها:

بيان قوله عزَّ مَنْ قائل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ [الممتحنة: ١٣].

وعلى نقيضه قامت صفة المؤمنين ؛ فإِنَّ الدُّنيا لديهم روضة وإِعداد ضئيل وضامر لحياة أَعظم من دون قياس تأتي بعد ذلك.

وهذا ما تُشير إِليه بيانات الوحي الأُخرىٰ ، منها :

بيان قوله جلَّ قدسه: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ٢ـ٣] .

ودلالته واضحة ، فإِنَّ أَحد صفات المؤمنين الخطيرة: إِيمانهم بالغيب.

﴿ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾[١].

والمراد من: (الكتاب المبين): القرآن الكريم ، كما أُشير إليه في بيان قوله تبارك اسمه: ﴿حم * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[٢] ، وبيان قوله جلَّ شأنه: ﴿حم * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ * فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾[٣] .[٤]

إحداث العلم والمعلومة الحقَّة لأهل البيت عليهم السلام

ثُمَّ إِنَّ دور أَهل البيت عليهم السلام: سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله والعترة الطَّاهرة عليهم السلام كمُعلِّمين إِلٰهيِّين في إِحداث العلم بالوحي لدىٰ الطَّرف ـ الوارد والمؤكَّد عليه[٥] في بيانات الوحي الوافرة ، منها :

١ـ بيان قوله تعالىٰ: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾[٦].

---

(١) الأنعام: ٥٩.

(٢) الزخرف: ١ـ٣.

(٣) الدخان: ١ ـ ٤.

(٤) **ينبغي الإلتفات:** أَنَّ كُلّ كلمةٍ وردت في بيانات القرآن الكريم عبارة عن مُعجزة إِلٰهيَّة .

(٥) المرجع الضمير: (دور الـمُعَلِّم الإِلٰهي).

(٦) الجمعة: ٢.

٢ـ بيان قوله جلَّ قدسه: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾[١].

٣ـ بيان سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله: «... **ثُمَّ خلق الأَشياء من نوري ونور عَلِيّ عليه السلام ، ثُمَّ جعلنا عن يمين العرش فَسَبَّحْنا فَسَبَّحَت الملائكة ، فَهَلَّلْنا فَهَلَّلُوا ، وَكَبَّرْنا فَكَبَّرُوا ، فكُلّ مَنْ سَبَّحَ الله وَكَبَّرَهُ فإِنَّ ذلك من تعليم عَلِيّ عليه السلام**»[٢].

ومضمون هذا البيان الشَّريف نفس مضمون بيانه صلى الله عليه وآله أَيضاً: «**أَنَا مدينة الْعِلم وَعَلِيّ بابها ...**»[٣]. فإِنَّه بيان دينيٌّ معرفيٌّ عقائديٌّ شامل ـ كالدِّين والمعارف والعقائد الإِلٰهيَّة ـ لطُرِّ العوالم وجملة المخلوقات غير المتناهية.

٤ـ بيان الإِمام الباقر عليه السلام: «... **نحن ... مصابيح العلم ... وموضع سرّ الله ، ووديعة الله جلَّ اسمه في عباده ... نحن الأَسماء الحُسنىٰ ... جعلنا لسانه النَّاطق في خلقه ... ووجهه الَّذي يؤتىٰ منه ، وبابه الَّذي يدلُّ عليه ، وخُزَّان علمه ، وتراجمة وحيه وأَعلام دينه ... ولولانا ما عُرِفَ الله ...**»[٤].

٥ـ بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام: « ... **نحن حُجَّة اللّٰـه في عباده ...**

---

(١) العنكبوت: ٤٩.

(٢) بحار الأَنوار ، ٢٥: ٢٤/ ح٤٢.

(٣) المصدر نفسه ، ١٠: ١٢٠.

(٤) المصدر نفسه ، ٢٥: ٤ـ٥/ ح٧. المحتضر: ١٢٩.

وأُمناؤه على وحيه ، وخزّانه على علمه ، ووجهه الّذي يؤتىٰ منه ... ولسانه النّاطق ، وبابـه الّذي يدلُّ عليه ، نحن العالـمون بأمره ، والدّاعون إلى سبيله، بنا عُرِفَ اللّـه ، وبنا عُبِدَ الله ، نحن الأَدِلّاءُ علىٰ اللّـه ، ولولانا ما عُبِدَ اللّـه»[1] ـ [2] لا يقلّ أَهميَّة عن كونهم أَولياء إِلٰهيِّين.

وجملة المخلوقات في طُرِّ العوالم تلتجئ إِلى أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) في باب العلم والتَّعَلُّم بِغَضِّ النَّظَر عن كونهم أَولياء[3] ، بل إِنَّ أَجْلَىٰ مظاهر تولِّي

(١) بحار الأَنوار ، ٢٦: ٢٦٠/ ح٣٨. توحيد الصدوق: ١٤١.

(٢) هذه الشَّارطة عدل لسابقتها المجعولة قبل كلمة: (الواردة) ، فتكون العبارة كالتَّالي: «إِنَّ دور أَهل البيت عليهم السلام ... كمعلِّمين إِلٰهيِّين في إِحداث العلم بالوحي لدىٰ الطَّرف لا يقلُّ أَهميَّة عن كونهم أَولياء إِلٰهيِّين».

(٣) يجدر صرف النَّظر في المقام إِلى الأُمور التَّالية:

الأَمر الأَوَّل:

علم الكلام لم يكن حربة وقلعة مُهِمَّة للدفاع عن المنهج الحقّ

إِنَّ الطَّرح الكلامي لمباحث ومقامات الوصايا والإِمامة الإِلٰهيَّة لأَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) في علم الكلام أَدنى مستوى من الطَّرح الفلسفي والعرفاني ؛ فإِنَّه يتناول وصايتهم عليهم السلام وإِمامتهم الإِلٰهيَّة وينتهي إِلى أَنَّهم بشرٌ عاديون ، نعم ، مفترضو الطَّاعة ، ومُسدَّدون من اللّـه تبارك وتعالىٰ ، ومعهم ملائكة يُسدِّدُوْنَهُم ويُوَجِّهُونَهُم ، ويفتحون (صلوات اللّـه عليهم) أَوراقاً وصحفاً ورثوها عن سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله ، ويقرؤنها ويتعلَّمون منها. وقد غفل البحث الكلامي عن علومهم عليهم السلام ومعارفهم الرُّوحيَّة والنُّوريَّة والملكوتيَّة الإِلٰهيَّة ، وانشغلوا بهذا المستوىٰ والطرح الهابط والبحث القشري ، ولم يلتفتوا لواقع البحث وخطورته.

بل البحث الفلسفي والعرفاني لأَتباع مدرسة أَهل البيت عليهم السلام وَإِنْ كان أَرقىٰ من هذا الطَّرح الكلامي ، لكنَّه لم يرتقِ لواقع بحث الوصايا والإِمامة الإِلٰهيَّة الوارد في بيانات الوحي القطعيَّة ، وتاهت أَبحاثهم عن بلورة وهندسة ما ورد في تلك البيانات الوحيانيَّة ؛ فإِنَّهم قالوا: إِنَّ الوصايا والإِمامة الإِلٰهيَّة عصمة روحيَّة ونور ملكوتي ، لكنَّه لا زال دون واقع البحث الَّذي ترسمه بيانات الوحي.

وهذه قضيَّة واضحة ، بل هذه الأَبحاث مُولِّدة لانطباعات عن مقام الوصايا والإِمامة الإِلٰهيَّة كانطباعات جمهور العامَّة عنهما.

وهذا ليس سبّاً وَحَطّاً من مقام أُولئك ، ولا ذماً لعلم الكلام ، وإِنَّما بيان واقع ؛ وَأَنَّ علم الكلام لم يكن حربة وقلعة مُهمَّة من حراب وقلاع الدفاع عن المنهج الحقّ ؛ نهج أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) ، بل لابُدَّ أَنْ يبقىٰ حيّاً ومتنامياً ومُتطوِّراً ، ومع هذا لا يُحبس واقع المعارف بما توصَّل إِليه ، وما توصَّل إِليه علم الفلسفة والعرفان ؛ لكون الجميع قراءة ونتاج بشريّ محدود بمحدودية قوىٰ وإِمكانيَّات البشر ، والوقوف على تلك القراءات وذلك النتاج تحجير للعقول وإِماتة للحقائق، بخلاف نتاج الوحي ؛ فإِنَّه نظام لا يختل ولا يتبدَّل ولا يختلف ولا يتخلَّف أَبداً ، حاوي على قوالب وعلوم ومعلومات ومعارف ومعاني وحقائق غير متناهية أَبد الآباد ودهر الدُّهور ، وَمَنْ أَتاه عرف من أَين تؤكل الكتف ، ووجد أَنَّ كُلَّ الصيد في جوف الفرآء ، بل من تقدَّمه غرق في بحر الإِفراط ، وَمَنْ تأَخَّر عنه زهق في برِّ التفريط ، وينتشل من يتمسَّك به من الظُّلمات والغواشي ، ويُخرجه من الحُجُب الظلمانيَّة ، ويُقِرَّ به في عَالَمَ النُّور والبهاء والسرور والحبور ، وهذا ما تشير إِليه بيانات الوحي ، منها :

١ـ بيان قوله عزَّ منْ قائل: ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩].

٢ـ بيان قوله جلَّ قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ﴾ [لقمان: ٢٧].

٣ـ بيان قوله عزَّ قوله: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: ٩٦].

ودلالتها واضحة.

بل بيانات الوحي حاوية وشاملة لجملة العلوم والمعارف والحقائق غير المتناهية، ولا يشذُّ عنها شيئاً أبداً.

فانظر:

بيان قوله جلَّ شأنه: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩].

وهذه ضابطة وحيانيَّة عامَّة، جامعة مانعة.

وعليه: فينبغي للمخلوق أَنْ لا يتوهَّم بوقوف معارف بيانات الوحي وعلومها ومعانيها وحقائقها عند حدٍّ مُعَيَّنٍ، وإِلَّا ارتطم بالتَّقصير الجارِّ إِلى الغلو، على وفق القاعدة: «أَنَّ في كُلِّ تقصيرٍ غلوّاً، وفي كُلِّ غلوٍّ تقصيراً»، فتدبَّر؛ فإِنَّهما وجهان لعملةٍ وحقيقةٍ واحدةٍ، وخطورة أَحدهما عين خطورة الآخر، والنَّجاة في سلوك المنزلة الوسطىٰ (الأَمر بين الأَمرين)، جادَّة أَهل البيت (صلوات اللَّـه عليهم)، الَّتي لا تُخرج إِلى عوج، ولا تُزيل عن منهج الحقِّ، نعم هي دقيقة الوزن، حادَّة اللسان، صعبة التَّرَقِّي إِلَّا على الحاذق اللَّبيب.

وهذا ما تُشير إِليه بيانات الوحي، منها:

بيان زيارة أَهل البيت (صلوات اللَّـه عليهم) الجامعة: «... **فالرَّاغب عنكم مارق، واللازم لكم لاحق، والمُقَصِّر في حقِّكم زاهق، والحقُّ معكم وفيكم ومنكم وإِليكم، وأَنتم أَهله ومعدنه** ...». بحار الأَنوار، ٩٩: ١٢٩.

ودلالته واضحة.

← لكن يحتاج السَّائر على نهج أَهل البيت عليهم السلام إِلى سيرٍ مُبرهنٍ وموزونٍ بالضَّوابط والقواعد العلميَّة والمعرفيَّة الوحيانيَّة والعقليَّة.

وإِلى هذا تُشير بيانات الوحي ، منها:

بيان سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله في وصيَّته لأَمير المؤمنين (صلوات اللّـه عليه): «... **يا عَلِيّ ، إِنَّ هذا الدِّين متين فأَوغل فيه برفق** ...». بحار الأَنوار ، ٦٨: ٢١٣ ـ ٢١٤/ح٨. الكافي ، ٢: ٨٧.

وعصارة القول: يحتاج مَنْ **يبغي** إِبصار الحقيقة إِلى الغوص والغور في بطون بحور علوم ومعارف الوحي غير المتناهية ؛ على وفق الموازين العلميَّة والمعرفيَّة الوحيانيَّة والعقليَّة ، وإِلَّا لارتطم بالخبط والخلط ، والوقوع في الزيغ والضَّلال والإِنحراف.

والوقوف والجمود على استنتاجات البشر في علم الكلام والفلسفة والعرفان وغيرها فحسب للوصول إِلى الحقيقة من دون الاتِّكاء على بيانات الوحي حوالة على مُفلِّس ، وكمَن يتعلَّق بنسيج العنكبوت للعروج إِلى أَسباب السَّماوات ، بل تُسبِّب له الوقوع في الهلكة. والحقُّ يكمن في استخراج ثوابت بيانات الوحي والسير على وفقها.

الأَمر الثَّاني:

التَّرابط في إِدارة الأَرض والملكوت

آدم عليه السلام خليفة بالوكالة عن أَهل البيت عليهم السلام

إِنَّ ما ورد في بيانات الوحي ، منها:

١ـ بيان قوله تعالىٰ: ﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ * وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ** ←

هَؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ * وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة: ٣٠ ـ ٣٤].

٢ـ بيان سيِّد الأَنبياء ﷺ مُخاطباً أَمير المؤمنين (صلوات اللّـه عليه): «... **يا عَلِيّ ، إِنَّ الله تبارك وتعالىٰ فَضَّلَ أَنبياءه المرسلين على ملائكته المُقرَّبين ، وفضَّلني على جميع النَّبيِّين والمرسلين ، والفضل بعدي لك يا عَلِيّ وللأَئِمَّة من بعدكَ ، وإِنَّ الملائكة لخدَّامنا ... لأَنَّ أَوَّل ما خلق الله ﷻ: خلق أَرواحنا ، فأَنطقنا بتوحيده وتحميده ثُمَّ خلق الملائكة فَلَمَّا شاهدوا أَرواحنا نوراً واحداً استعظموا أَمرنا فسبَّحنا ؛ لتعلم الملائكة أَنَّا خلق مخلوقون ، وَأَنَّه مُنَزَّه عن صفاتنا ، فسبَّحت الملائكة بتسبيحنا ونزَّهته عن صفاتنا ... فبنا اهتدوا إِلى معرفة توحيد الله وتسبيحه وتهليله وتحميده وتمجيده. ثُمَّ إِنَّ الله تبارك وتعالىٰ خلق آدم فأودعنا صلبه وأَمر الملائكة بالسجود له تعظيماً لنا وإِكراماً ، وكان سجودهم للّـه ﷻ عبوديَّة ، ولآدم إِكراماً وطاعةً لكوننا في صلبه ... وقد سجدوا لآدم كُلُّهم أَجمعون ...**». بحار الأَنوار ، ١٨: ٣٤٥ـ ٣٤٧/ ح٥٦. علل الشرائع: ١٣ـ ١٤. عيون أَخبار الرِّضا عليه السلام: ١٤٤ـ ١٤٦.

براهين وحيانيَّة دالَّة ـ بقرينة سجود الملائكة وما شاكله ـ على أَنَّه لا يصلح مَنْ يُدير الأَرض إِلَّا أَنْ يكون هو المدير للملكوت.

ودالَّة أَيضاً على أَنَّ خليفة الله ﷻ العادل في الأَرض ليس آدم عليه السلام ؛ فإِنَّه خليفة بالوكالة ، بل قادة إِلٰهيُّون أَرفع مقامات وأَخطر أَحوالاً وشؤوناً ومسؤوليَّات إِلٰهيَّة ، وهم أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) ، المُشار إِليهم في عديد من بيانات الوحي ، منها: آية المودَّة ـ الشورىٰ: ٢٣ ـ وآية الفيء ـ الحشر: ٧ ـ.

ومنه **تتَّضح**: نكتة ربط الأَحكام الإِلٰهيَّة في النَّشْأَة الأَرضيَّة بمنظومة ملائكة ومخلوقات السَّماوات والأَرضين والآخرة الأَبديَّة وما بعدها من عوالم غير متناهية.

وهذا هو معنىٰ أَنَّ هناك نُظم في ولاية أَمير المؤمنين وولاية فاطمة الزهراء وسائر أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) في جملة عوالم الخلقة، ومن ثَمَّ جعلت يد ساحة القدس الإِلٰهيَّة إِدارتها بأَيديهم بعد سيِّد الأَنبياء (صلوات اللّـه عليهم). وهذا منطقٌ وحيانيٌّ.

الأَمر الثَّالث:

الدِّين والصَّلاة وسائر العبادات رَجُلٌ

وردت بيانات وحيانيَّة كثيرة عن أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) دالَّة على أَنَّ الدِّين والصَّلاة والصيام والحجّ والجهاد وسائر العبادات رَجُلٌ، وَأَوَّل من رواها: أَبو زينب مُحَمَّد بن المقراص ابن أَبي الخطَّاب أَيَّام استقامته، لكنَّه فهمها ـ وكذا فهمها بعض الصوفيَّة والعرفاء ـ بشكل خاطئ، وهو: أَنَّ من يعرف أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) اجزأته تلك المعرفة عن الإِتيان بالأَعمال العباديَّة بالفعل؛ فمعرفة سيِّد الأَنبياء وسائر أَهل البيت عليهم السلام تجزي عن القيام بالصَّلاة وسائر العبادات. وعلى هذا حُمِلَ تفسير كثير من بيانات الوحي، منها:

بيان قوله تعالىٰ: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩].

والحقُّ: أَنَّ لهذه البيانات الوحيانية تفاسير عِدَّة، وردت في بيانات أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم)، منها:

التَّفسير الأَوَّل: أَنَّ أَحد مراتب طبقات ذات سيِّد الأَنبياء وذوات سائر أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم): الدِّين ـ بما فيه أُصول العبادات، كأَصل الصَّلاة ـ، وهو طبقات الوحي الإِلٰهي الصَّاعدة، والوحي الإِلٰهيّ بطبقاته الصَّاعدة أَحد طبقات حقائق أَهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة ـ كما ثبت في محلِّه ـ؛ فإِنَّها بحور وحي زخَّارة

متلاطمة لا تنزف أَبداً ، يعبُّ عبابها وتصطخب أَمواجها ، لا غاية لعددها ، ولا نهاية لمددها ، ولا نفاد لأَمدها أَبد الآباد ودهر الدُّهور ، لا يعتريها فناء ولا زيف ولا تغيير ولا كلل ولا فتور ، ولا يعتورها شين ولا يشوبها مين.

وعليه: فيكون الدِّين ـ بما فيه أُصول العبادات ، كأَصل الصَّلاة ـ أَحد طبقات حقائق أَهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة ، ومن ثَمَّ يكون ـ الدِّين ـ بلحاظ هذه الطبقات: رَجُلاً ، والمراد منه سيِّد الأَنبياء وسائر أَهل البيت عليهم السلام ؛ فإِنَّه طبقة من طبقات ومراتب ذواتهم عليهم السلام الصَّاعدة.

التَّفسير الثَّاني: أَنَّ الصَّلاة الكبرىٰ والصَّلاة العقليَّة الأَعظم ، وكذا سائر العبادات: معرفة سيِّد الأَنبياء وسائر أَهل البيت (صلوات اللَّـه عليهم) ، وهذا لا يعني التَّفريط بالصَّلاة البدنيَّة والنَّفسانيَّة وسائر العبادات ، بل يجب الإِتيان بها ، لأَنَّه لا يمكن الوصول إِلى باطن الدِّين إِلَّا من خلال سلوك ظاهره.

إِذَنْ: للصَّلاة ـ وكذا سائر العبادات ـ مراتب وطبقات ، منها: الصَّلاة البدنيَّة ، والصَّلاة النَّفسيَّة ، والصَّلاة العقليَّة ، والصَّلاة القلبيَّة ، والمقصود من الصَّلاة القلبيَّة: عدم جواز التَّوجُّه والميل القلبي إِلى غير الله عزوجل وإِلى غير أَوليائه ؛ أَهل البيت (صلوات اللَّـه عليهم).

ومعناه: أَنَّ قيمة أَركان الدِّين وفروعه تكمن في معرفة أَهل البيت عليهم السلام بعد الله جلَّ قدسه.

وبعبارة أُخرىٰ: أَنَّ الغاية من الدِّين وفروعه وصول المخلوق إِلى الفرد الكامل ، والمدينة إِلى المدينة الفاضلة ، وهو يتحقَّق من خلال معرفة أَهل البيت عليهم السلام ، لأَنَّ جملة حقائق الفضائل والكمالات لاسيما طبقاتها الصَّاعدة مطويَّة في حقائقهم (صلوات اللَّـه عليهم) لا سيما طبقاتها الصَّاعدة ، ومن ثَمَّ لا يمكن لمخلوق ما الوصول إِلى مرتبةِ كمالٍ ما إِلَّا بعد معرفة حقائقهم عليهم السلام وفضائلهم وكمالاتهم وشؤونهم وأَحوالهم.

وعصارة القول: أَنَّ حقيقة الدِّين وفروعه تجرُّ إِلى معرفة أَهل البيت (صلوات اللَّـه عليهم) والوصول إِليهم ، وهم عليهم السلام يجرُّون إِلى مُطلق الفضائل والكمالات ؛ لأَنَّ طبقات حقائقها الصَّاعدة أَحد مراتب ذواتهم عليهم السلام الصَّاعدة ، ومن دون أَي شائبة تجوُّز في هذه التَّعابير ؛ فالدِّين وفروعه ـ كالصَّلاة ـ رَجُلٌ بهذا المعنىٰ.

وهذا معنىٰ بديع كسابقه.

التفسير الثالث ـ وهو الأَعمق ـ ، حاصله: أَنَّ هناك جدليَّة في معرفة كُمَّل المخلوقات ، رأس هرمها: أَهل البيت (صلوات اللَّـه عليهم) ، وهي: أَنَّه كيف يتكامل كُمَّل المخلوقات بالدِّين والأَعمال العباديَّة وهم كُمَّل لا نقص فيهم ، ومنهم تُفاض الفضائل والكمالات على جملة عَالَم الوجود والإمكان.

والجواب: أَنَّ حقائق كُمَّل المخلوقات على مراتب ، وطبقات حقائقهم عليهم السلام النَّازلة ليست كطبقات حقائقهم وَأَنوارهم الصَّاعدة بالقياس إِلى ساحة القدس الإِلهيَّة ، كحال عصمتهم عليهم السلام ؛ فإِنَّها وإِنْ كانت بلحاظ ما دونها من المخلوقات عصمة كاملة ، لكنَّها بلحاظ عصمة الباري ـ المُسَمَّىٰ ـ جل جلاله عصمة تتكامل ويُفاض عليها بلا انقطاع ، فالمعصوم عليه السلام بلحاظ الكمال الذَّاتي الإِلٰهيّ الأَزلي دائماً يتكامل وتتكامل عصمته ومقاماته وشؤونه وأَحواله ، ويتكامل كماله ، والجميع واقع تحت القانون الإِلٰهي التَّكويني العقلي المعرفي: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤] ، وقانون: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦].

وعلى هذا قس عدم التنافي بين حقيقة الدِّين وفروعه ـ كالصَّلاة ـ بطبقاتها الصَّاعدة، وهي أَحد طبقات حقائق كُمَّل المخلوقات النوريَّة الصَّاعدة ، وتكامل طبقات حقائقهم عليهم السلام النَّازلة بالدِّين وفروعه ، كالصَّلاة البدنيَّة أَو الصَّلاة النفسيَّة بنور طبقات حقيقة الدِّين وفروعه ـ كالصَّلاة ـ الصَّاعدة ، فتكامل نفس المعصوم عليه السلام النَّازلة وسائر حقائق المخلوقات بذلك النُّور المُفاض عليه وعليها من نور حقيقة الدِّين وفروعه الصَّاعدة ، فيكون معنىٰ ما ورد في بيانات الوحي: «أَنَّ

الدِّين وفروعه كالصَّلاة رَجُلٌ» بهذا المعنىٰ ، أي: أَنَّ تكامل المخلوقات النَّازلة ، منها: طبقات حقائق كُمَّل المخلوقات النَّازلة يتمُّ بطبقات حقائق الدِّين وفروعه النُّوريَّة العالية ؛ طبقات حقائق أَهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة ، وهي أَصل الدِّين وفروعه.

إِذَنْ: أَبدان ونفوس أَهل البيت عليهم السلام وإِنْ كانت تتكامل بالصَّلاة وسائر العبادات ، لكنَّه يستحيل عقلاً تكامل أَنوارهم عليهم السلام وطبقات حقائقهم الصَّاعدة بها ؛ لأَنَّ فيضها وفيض كمالها وفيض سائر المخلوقات وكمالها صادر من هذه الأَنوار والطَّبقات الصَّاعدة المُقدَّسة فكيف تتكامل بها.

وبالجملة: أَنوار أَهل البيت (صلوات اللَّـه عليهم) وطبقات حقائقهم الصَّاعدة وإِنْ كانت مخلوقات إِلٰهيَّة ، لكن كمالها لا يُفاض عليها من المخلوقات الشَّريفة الدَّانية كالصَّلاة وسائر العبادات ، بل يُفاض عليها من ساحة القدس الإِلٰهيَّة.

التَّفسير الرَّابع ، حاصله: أَنَّ أَصل الدِّين وتشريع فروعه وأَحكامه كان من سيِّد الأَنبياء وسائر أَهل البيت (صلوات اللَّـه عليهم) ، فبهم وعلى لسانهم شُرِّع الدِّين وفروعه وأُبلغت بياناته وأَحكامه الإِلٰهيَّة ، ومن ثَمَّ ليس للدِّين وفروعه حياة إِلَّا بأَهل البيت (صلوات اللَّـه عليهم) ، فإِنَّ طبقات حقائقهم عليهم السلام الصَّاعدة ـ وتتبعها طبقاتها المتوسِّطة والنَّازلة ـ نظام عَالَم الوجود على الإِطلاق ، ووجه الله ، ووسائط الفيض الإِلٰهي الفاردة ، والوسيلة الإِلٰهيَّة الحصريَّة ، والسَّبيل والسَّبب والباب والحجاب الإِلٰهيّ الأَدنىٰ والفارد بين الذَّات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة وجملة العوالم وكافَّة المخلوقات غير المتناهية بقَضِّها وقضيضها ، من بداية الخلقة والوجود إِلى ما لا نهاية له.

إِذَنْ: معنىٰ: أَنَّ الدِّين وفروعه رَجُلٌ: أَنَّ تتديَّن جملة العوالم والمخلوقات غير المتناهية ـ منهم: سائر الأَنبياء والمرسلين والملائكة المُقرَّبين عليهم السلام ـ بأَنَّ السَّفير الوحيد بين الله تعالىٰ وجميع مخلوقاته ليس هو إِلَّا أَهل البيت (صلوات اللَّـه

عليهم) ، وهذه السفارة ليست محدودة بعَالَمَ الدُّنيا الأُوْلَىٰ ، بل تأتي أَيضاً في سائر العوالم السَّابقة واللَّاحقة ، فجملة الدِّين لا تؤخذ في كافَّة العوالم إِلَّا عن سيِّد الأَنبياء وسائر أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم). والتَّسليم بهذه القضيَّة أَعظم شيء في الدِّين وفروعه ؛ فالدِّين وفروعه ـ كالصَّلاة ـ رَجُلٌ بهذا المعنىٰ.

وبالجملة: أَنَّ ما ورد في بيانات أَهل البيت عليهم السلام: «**أَنَّ الصَّلاة وسائر العبادات رَجُلٌ**» يعني: أَنَّ أَصل هذه العبادات أُخذت عن اعتبار رَجُل ، وهو سيِّد الأَنبياء وسائر أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) ، ومعناه: أَنَّ حقائق أَهل البيت عليهم السلام فوق هذه العبادات.

وإِلى كُلِّ هذه التَّفاسير يُشير بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام ، عن حفص المُؤذِّن ، قال: «كَتَبَ أَبو عبدالله عليه السلام إِلى أَبي الخطَّاب: **بلغني أَنَّكَ تزعم أَنَّ الخمر رَجُلٌ ، وأَنَّ الزِّنا رَجُلٌ ، وأَنَّ الصَّلاة رَجُلٌ ، وأَنَّ الصَّوم رَجُلٌ ، وليس كما تقول ، نحن أَصل الخير ، وفروعه طاعة الله ، وعدوّنا أَصل الشَّرّ ، وفروعه معصية الله** ...». بحار الأَنوار ، ٢٤: ٣٧/ ح٨. بصائر الدرجات: ١٥٧.

الأَمر الرَّابع:

إِمامة أَهل البيت عليهم السلام مُفعَّلة في العوالم السَّابقة واللَّاحقة

إِنَّ إِمامة أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) بعدما أُسندت لهم قبل ولادتهم دلَّ ذلك على تفعيل دورها قبل الولادة وفي العوالم السَّابقة كعَالَمَ الذَّرِّ والميثاق ، بل وسيبقىٰ دورها مُفَعَّلاً في العوالم اللَّاحقة ، كعَالَمَ البرزخ ، والرَّجعة والقيامة والآخرة الأَبديَّة وبعدها.

وهذا ما تُشير إِليه بيانات الوحي ، منها:

١ـ بيان أَمير المؤمنين عليه السلام: «**إِنَّ اللّـه تبارك وتعالىٰ أَحد واحد ، تفرَّد في وحدانيَّته ، ثُمَّ تكلَّم بكلمة فصارت نوراً ، ثُمَّ خلق من ذلك النُّور مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله وخلقني وذرِّيَّتي**

... فبنا احتجَّ على خلقه ... وذلك قبل أَنْ يخلق الخلق ، وأَخذ ميثاق الأَنبياء بالإيمان والنصرة لنا ، وذلك قوله ﷻ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ [آل عمران: ٨١] ، يعني: لتؤمننَّ بمُحمَّدٍ ﷺ ، ولتنصرنَّ وصيَّه ، وسينصرونه جميعاً ... ولم ينصرني أَحدٌ من أَنبياء الله ورسله ، وذلك لما قبضهم الله إِليه ، وسوف ينصرونني ، ويكون لي ما بين مشرقها إِلى مغربها ، وليبعثنَّ الله أَحياءً من آدم إِلى مُحمَّدٍ ﷺ كُلُّ نبيٍّ مرسل ، يضربون بين يدي بالسَّيف هام الأَموات والأَحياء والثقلين جميعاً ... وَأَنا صاحب الرَّجعات والكرَّات ... والدَّولات العجيبات ... وَأَنا الحاشر إِلى الله ... وأَنا أَسمآء الله الحسنىٰ ، وَأَمثاله العليا ، وآياته الكبرىٰ ، وأَنا صاحب الجنَّة والنَّار ، أُسكن أَهل الجنَّة الجنَّة ، وأُسكن أَهل النَّار النَّار ، وإِليَّ تزويج أَهل الجنَّة ، وإِليَّ عذاب أَهل النَّار ، وإِليَّ إِياب الخلق جميعاً ، وأَنا الاياب الَّذي يؤوب إِليه كلُّ شيءٍ بعد القضاء ، وإِليَّ حساب الخلق جميعاً ، وأَنا صاحب الهبات ، وأَنا المُؤذِّن على الأَعراف ، وَأَنا بارز الشَّمس ... والحُجَّة على أَهل السَّماوات والأَرضين ، وما فيهما وما بينهما ، وَأَنا الَّذي احتجَّ الله به عليكم في ابتداء خلقكم ، وأَنا الشَّاهد يوم الدِّين ...». بحار الأَنوار ، ٥٣: ٤٦ ـ ٤٩/ ح٢٠.

٢ ـ بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام ، عن صفوان الجمال ، قال: «دخلت على أَبي عبدالله عليه السلام فقلتُ: ... سمعتكَ تقول: شيعتنا في الجنَّة ، وفيهم أَقوام مذنبون ... فقال عليه السلام: هم في الجنَّة ... قلتُ: فداك أَبي وأُمِّي ، فَمَنْ يردُّ المظالم؟ قال: الله ﷻ يجعل حساب الخلق إِلى مُحمَّد وَعَلِيّ عليهما السلام ؛ فكلُّ ما كان على شيعتنا حاسبناهم مِمَّا كان لنا من الحقِّ في أَموالهم ، وكلُّ ما بينه وبين خالقه استوهبناه منه ، ولم نزل به حتَّى ندخله الجنَّة برحمةٍ من الله ، وشفاعة من مُحمَّدٍ وعَلِيٍّ عليهما السلام ...». بحار الأَنوار ، ٦٨: ١١٤ـ ١١٥/ ح٣٣.

٣ـ بيان زيارتهم (صلوات اللّـه عليهم): «... **وإياب الخلق إليكم ، وحسابهم عليكم ...**». بحار الأَنوار ، ٩٧: ٣٤٤.

الأَمر الخامس:

الحاكم والإمام لابُدَّ أَنْ يكون مزوَّداً بالعلم اللدنِّي

اشترطت مدرسة أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) في الحاكم والإمام أَنْ يكون مُزوَّداً بعلمٍ لدنِّي ، وهو مقام اِصطفائيّ إِلٰهيّ يُغاير مقام النُّبوَّة ومقام الرِّسالة ، وهذا ما تُشير إِليه بيانات الوحي ، منها: بيان قوله عزَّ من قائلٍ الحاكي لخبر النَّبيّ موسىٰ والخضر عليهما السلام: ﴿**قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا * فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا**﴾ [الكهف: ٦٤ ـ ٦٥].

ودلالته واضحة ؛ فإِنَّ الباري جلَّ قدسه لم يُعرِّف مقام الخضير عليه السلام بمقام النُّبوَّة ، ولا بمقام الرِّسالة ، بل بالعلم اللدنِّي ، وأَنَّ لديه أَدواراً حكوميَّة ضمن جهاز يقوم بأَنشطة مُفصَّلة لمسار النظام البشري.

الأَمر السَّادس:

دور العلم اللَّدُنِّي في نزول الأَحكام الإِلٰهيَّة التَّفصيليَّة

إِنَّه لكون الإِمام عليه السلام زودته يد السَّاحة الإِلٰهيَّة بالعلم اللدني وعلم التَّأويل أَصبح مُؤهَّلاً لهبوط الأَحكام الإِلٰهيَّة التَّفصيليَّة ونزولها عليه ، وَمِنْ ثَمَّ كان مهبطاً ومحطَّة لهبوط الأَحكام الإِلٰهيَّة التفصيليَّة والتنفيذيَّة عليه.

الأمر السَّابع:

كُلُّ شريعةٍ إِلٰهيَّةٍ لابُدَّ أَنْ تُقرن بمُطبِّقٍ إِلٰهيٍّ

جهاز تطبيق الأَحكام الإِلٰهيَّة اِختيار إِلٰهيّ

المُستفاد من بيانات الوحي ـ منها: بيانات سورة [الكهف: ٦٠ـ٨٢] ، الحاكية لِـمَا جرىٰ بين النَّبي موسىٰ والخضر عليهما السلام ـ: أَنَّ كُلَّ شريعة إِلٰهيَّة لابُدَّ أَنْ تقترن بتطبيقٍ إِلٰهيٍّ أَيضاً. وجهاز تطبيق الأَحكام الإِلٰهيَّة وجهاز تنفيذها وجهاز الحاكميَّة والحكومة الإِلٰهيَّة لابُدَّ أَنْ يكون باختيار الباري تعالىٰ واصطفائه.

الأمر الثَّامن:

عقليَّة المعصوم عليه السلام وحي لدُنِّيّ

العلم الوحياني أَرقىٰ العلوم

أَهل البيت عليهم السلام أَهل الحكمة والبصيرة الإِلٰهيَّة الثاقبة

إِنَّ عقليَّة المعصوم عليه السلام وحي ، لكنَّه ليس نبويّاً ، وإِنَّما لدنِّي ، والعلم الوحيانيُّ أَرقىٰ وأَكمل أَصناف العلم ورأس هرمها. ومن ثَمَّ من الخطأ الفاحش التَّعبير من حسن تصرُّف المعصوم بـ: (الدهاء) وما شاكله ؛ لكونه ـ والعياذ بالله ـ ليس أَهل تحايل ، بل أَهل حكمة وبصيرة إِلٰهيَّة ثاقبة.

الأَمر التَّاسع:

أَوصاف أَهل البيت عليهم السلام دورات معارف إِلٰهيَّة

إِنَّ أَوصاف سيِّد الأَنبياء وسائر أَهل البيت (صلوات اللَّـه عليهم) ليست مديح شعري ، بل دورات معارف وعقائد إِلٰهيَّة.

الأمر العاشر:

لحقائق أَهل البيت عليهم السلام ظواهر وبواطن وأَسرار

مَنْ أَراد تدوين دورة عقائديَّة فعليه ذكر نكتة مُهمَّة في باب: (النُّبُوَّة) ، وباب (الإِمامة) لم تُذكر من قبل ، مع أَنَّها طافحة في أَبجديَّات بيانات الوحي الإِلٰهيّ ←

ولايتهم عليهم السلام[1] لا يَتِمُّ إِلَّا مِنْ خلال أَخذ العلم عنهم (صلوات اللّـه عليهم).

← الوافرة الباهرة ، حاصلها: أَنَّ لأَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) ظاهر وباطن ، ولبواطنهم بواطن وأَسرار ، ولِأَسرارهم أَسرار ومستسر.

وهذه نكتة عقائديَّة مُهمَّة جِدّاً ، وفائدة معرفيَّة جليلة وخطيرة ومهولة جِدّاً ، أُرتشفت من بيانات الوحي ، لاسيما بيانات أَدعيتهم وزياراتهم (صلوات اللّـه عليهم) المتواترة.

(١) **ينبغي الإِلتفات** في المقام إِلى القضايا التالية:

القضيَّة الأُوْلىٰ:

تفسير جديد لشرطيَّة الولاية

هناك تفسير جديد ـ مُهِمٌّ وخطيرٌ ـ لمعنىٰ شرطيَّة الولاية في العيادات ـ غير ما ذكره عظماء علماء فقه وعلم كلام الإِماميَّة ؛ مِنْ أَنَّها شرط لصحَّة العمل وقبوله ـ حاصله: أَنَّ العبادة ـ كالصَّلاة والصوم والخمس والزكاة والحجّ والجهاد ، وكافَّة الصَّدَقَات وجملة الأَعمال الخيريَّة ـ لا تكون عبادة إِلَّا إِذا وُظِّفَتْ لرفع راية الولاية، وإِلَّا ـ أَي: إِذا لم يُنسب البرنامج المدني ولم يُجنَّد ولم تُوَظَّف العبادة ولم تُلَوَّن بطريق وسبيل الولاية للّـه ولرسوله ولقربىٰ الرسول (صلوات اللّـه عليهم) ـ فلن يُكْتَب سلمٌ لجملة البشريَّة ، بل تُسبِّب لها نكبة ، وتزيد في أُتُون العصابات والقوميَّات والعشائريَّات والقبليَّات وَالأَنَانيَّات ، فصورة العبادة وقشرها وإِنْ كان مُتلألأً ، لكن باطنها ولبّها وجوهرها نتن ورجاسة ونجاسة ، ويولِّد للبشريَّة زيادة في معاناتها في كافَّة الجوانب والمجالات ، والنكتة واضحة ؛ فإِنَّ الولاية هي الطَّريق الحصري والصِّراط المُستقيم للوصول إِلى السَّلام والسِّلْم والأَمن البشري في كافَّة الجوانب والمجالات ، وَمِنْ ثَمَّ يجب على الشَّخص مهما بلغت مكانته الدينيَّة ←

والإجتماعيَّة والعلميَّة والمعرفيَّة والفنيَّة أَنْ يُوَظِّف وَيُسيِّس نفسه وصنعته وعرقه وعصبيَّته وقوميَّته وكافَّة حركاته وسكناته في حِلِّهِ وَتِرْحَالِهِ وجملة تصرُّفاته وشؤونه وأَحواله ويُجنِّدها للّـه جلَّ جلاله ، ولرسوله ﷺ ولذي القربىٰ ونور الثقلين ولِعَالَمِ ولاية أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) ، وحينها يكون إِثماره عظيماً لنجاة وسلامة وَأَمن البشريَّة ، بل وجملة المخلوقات ، وهذا معنىٰ دقيق ورشيق وجديد لشرطيَّة الولاية في العبادات.

ومنه يتضح:

أَوَّلاً: سِرّ زيارة عاشوراء ، فكُلّ شيءٍ يجب أَنْ يُوظَّف للولاية ، وهذا سِرٌّ عظيمٌ ، ومحور رئيسي في مشروع أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم).

ثانياً: تحسُّس البعض من زيارة عاشوراء ؛ لأَنَّ فيها سفينة نجاة لجملة المخلوقات ، وفي كافَّة العوالم غير المتناهية.

ثالثاً: معنىٰ بطلان العبادة من دون ولاية أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم).

رابعاً: معنىٰ: أَنَّ كُلَّ عبادة خالية من الولاية تُولِّد تمرُّداً شيطانيّاً ، ويكون مصيرها إِلى لظىٰ ، بل تكون تلك العبادة نقمة على البشريَّة.

وإِلى كُلِّ ما تقدَّم أَشارت بيانات الوحي ، منها:

١ـ بيان سيِّد الأَنبياء ﷺ المستفيض ، بل المتواتر عند الفريقين: «... **إِنَّما مثل أَهل بيتي فيكم كسفينة نوح ، مَنْ دخل فيها نجا ، وَمَنْ تَخَلَّفَ عنها غَرِق**». بحار الأَنوار، ٤٤: ٧٠ـ٨٦/ ح١. الاحتجاج: ١٣٧ـ١٤٣.

٢ـ بيانه ﷺ في وصيَّته لأَبي ذر رضوان اللّـه عليه: «... **ثُمَّ حبّ أَهل بيتي الَّذين أَذهب الله عنهم الرِّجس وطهَّرَهُم تطهيراً. وأَعلم يا أَباذر ، أَنَّ الله ﷻ جعل أَهل** ←

→ **بيتي في أُمَّتي كسفينة نوح مَنْ ركبها نجا ، وَمَنْ رغب عنها غرق ...**». بحار الأَنوار ، ٧٤: ٧٤ ـ ٩١. الأَمالي ، ٢: ١٣٨.

ودلالته ـ كدلالة سابقه ـ واضحة ، فإِنَّ معناه: أَنَّ النَّجاة والنجاح وما شاكلهما تكمن في تولِّي أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) ، وإِلَّا كانت الصَّلاة وسائر العبادات والمعاملات وجملة ما يقوم به المخلوق من أَعمال خير وصلاح وجميع معتقداته ومعارفه وعلومه مغرقة لنفسه وللبشريَّة في كافَّة الجوانب ؛ كالجانب الأَمني ، والجانب العسكري ، والجانب الاقتصادي ، والجانب التجاري ، والجانب الزراعي ، والجانب الصناعي ، والجانب التنموي ، والجانب الأَخلاقي ، والجانب التربوي ، والجانب الحضاري ، والجانب الأُسري ، والجانب الإِجتماعي ، ولن تصل البشريَّة ، بل مطلق المخلوقات وفي كافَّة العوالم غير المتناهية إِلى طموحها وسعادتها الأَبديَّة.

القضيَّة الثانية:

التولِّي والتَّبَرِّي على مراتب وطبقات

إِنَّ التَّوَلِّي والتَّبَرِّي على مراتب ودرجات ، سواء أَكان ذلك التَّوَلِّي للّـه ﷻ ، أَو لسيِّد الأَنبياء ﷺ ، أَو لسائر أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) ، أَو كان التَّبَرِّي من أَعداء الله جلَّ شأنه ، أَو من أَعداء سيِّد الأَنبياء ﷺ ، أَو من أَعداء سائر أَهل البيت عليهم السلام.

ثُمَّ إِنَّ حقيقة التَّبَرِّي نوع من أَنواع النقد ، وحياة العلم وحيويَّة العقل قائمة بالبحث والنقد.

القضيَّة الثَّالثة:

شدَّة التَّعَلُّق بأَهل البيت عليهم السلام تؤدِّي إِلى ازدياد كمال المخلوق وتطوُّره

أَحد غايات زيارة أَهل البيت عليهم السلام ازدياد ولاء الزائر وودِّه لهم

زيارة أَهل البيت عليهم السلام واجبة عيناً على المُكلَّف بلحاظ طبيعتها النَّوعيَّة ←

→ **ينبغي الإلتفات**: أَنَّه كُلَّما ازداد شوق المخلوق وودِّه لأَهل البيت (صلوات اللَّـه عليهم) ؛ وازدادت محبَّته ورغبته وميوله الروحيَّة والعمليَّة والقلبيَّة لهم عليهم السلام ؛ كُلَّما كان ذلك المخلوق في حالة تطوُّر وكمال نفسي وروحي وعقلي وقلبي وسائر طبقات حقيقته.

ومنه تتَّضح: أَحد الفلسفات والغايات العظيمة والخطيرة لزيارة أَهل البيت (صلوات اللَّـه عليهم) ، وهي: تجديد العهد والولاء والمحبَّة والودِّ لهم ، وتجديد الصلة والإرتباط والتَّعَلُّق بهم ، وحينئذٍ يشتدُّ ولاء المخلوق وودِّه وتشتدُّ محبَّته للّـه ، وتشتدُّ الصلة ويشتدُّ ارتباط المخلوق وتعلُّقه به عزّ وجلّ.

وكُلَّما قلَّ تعاهد المخلوق لأَهل البيت عليهم السلام ؛ وكثر هجرانه لهم وجفَّت علاقته وقلَّ تعلُّقه بهم ؛ وكثر الابتعاد عنهم كُلَّما وَلَّدَ ذلك ضعفاً في إِيمانه واقتدائه بهم ، وضعفاً في ولائه ومحبَّته واتباعه لهم (صلوات اللَّـه عليهم) ، ومِنْ ثَمَّ يضعف إِيمانه بالله تعالىٰ ويضعف ولائه وتضعف محبَّته له ، ويضعف تولِّيه واتِّباعه واقتدائه بأَوامره وفرائضه وسننه وأَحكامه.

وعليه: فزيارة أَهل البيت (صلوات اللَّـه عليهم) وإِنْ كانت مُستحبَّة ، لكنَّها مُستحبَّة في الخصوصيَّة الفرديَّة ، أَمَّا في الطبيعة النوعيَّة وفي أَصل إِيمان المخلوق وتعاهده لإِيمانه فليست هي أَمراً مستحبّاً ، بل ولا واجباً كفائيٌّ أَو تخييريٌّ ، وإِنَّما واجب عينيّ على كُلِّ مُكلَّفٍ ؛ ليوقي إِيمانه من خلالها عن الضعف والتضعضع والزوال ، وَمِنْ ثَمَّ حصر الباري عزّ وجلّ غاية دين جملة العوالم والمخلوقات غير المتناهية ؛ وغاية البعثة المُحَمَّديَّة العظيمة والمُمتدَّة إِلى عَالَمَ القيامة في مودَّة قربىٰ سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله.

فانظر:

بيان قوله عزّ قوله: ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣]. ←

ودلالته واضحة ، بعد الِالتفات: أَنَّ الأَجر والعوض غاية ، فأجر وغاية الرِّسالة والصَّلاة والصِّيام وسائر العبادات والمعاملات الشرعيَّة ، وغاية جملة الدِّين وغاية الله تبارك وتعالىٰ وغاية رسوله هي مودَّة ذوي القربىٰ وولائهم.

ومنه تتَّضح: ضابطة وقاعدة معرفيَّة خطيرة جِدّاً ، لا تقبل الضَّلال والزَّيف والعمىٰ والِالتباس ، يلزم على المخلوق العضّ عليها بضرسٍ قاطعٍ ، وهي: أَنَّه «كُلَّما صبَّ عمل المخلوق في شدَّة المودَّة لأَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) ومحبَّتهم ـ وبالموازين العلميَّة ـ كلَّما صبَّ ذلك في شدَّة المودَّة للّـه ﷻ ومحبَّته ، واشتداد الارتباط به ، وكُلَّما ضعفت المودَّة والمحبَّة لهم (صلوات اللّـه عليهم) كلَّما ضعفت المودَّة والمحبَّة للّـه وضعف الِإرتباط به جلَّ شأنه.

القضيَّة الرَّابعة:

المذاهب الِإسلاميَّة تحجب المسلمين عن الاطِّلاع على عدالة أَهل البيت عليهم السلام

عدالة أَهل البيت عليهم السلام تضرُّ بالمذاهب الِإسلاميَّة

تعاليم عدالة أَهل البيت عليهم السلام شاقَّة ومؤرقة للحُكَّام

إِنَّ كثير من المذاهب الِإسلاميَّة تبغي استغفال جمهور المسلمين ؛ كيما لا يطَّلعوا على حقيقة العدالة الَّتي سنَّها أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) ، ولا يتعرَّفوا على حقوقهم المضروبة في بياناتهم عليهم السلام ؛ والمفروضة على الحاكم وهي تعاليم صعبة وشاقَّة ومؤرقة للحُكَّام ، فَمَنْ يتحمَّل ويصل إِلى عدل أَمير المؤمنين (صلوات اللّـه عليه).

القضيَّة الخامسة:

ظلم أَهل البيت والجور عليهم جهة مشتركة بينهم عليهم السلام

يجدر الإلتفات: أَنَّ هناك جهات مُشتركة في حياة أَهل البيت (صلوات اللَّـه عليهم) وجهات مُختصَّة لدىٰ كُلٍّ واحدٍ منهم.

وأَحد تلك الجهات المُشتركة والمُهمَّة والَّتي ينبغي صرف النَّظر إِليها: أَنَّ مسار الغي والجور والظلم وأَهل الإستبداد والباطل لا يتحمَّلون وجودهم (صلوات اللَّـه عليهم) السلمي والمدني المُسالم ؛ لأَنَّ بقائهم عليهم السلام المُعلن والسلمي والمدني بين أَبناء البشر يوجب تلقائياً إِلتفاف عموم المسلمين ، بل عموم البشر حولهم ؛ لأَنَّهم الدُّعاة إِلى السَّلام والمحبَّة والعلم والسعادة والعدالة والأَمن من دون ادِّعاء ولا شعار ، وإِنَّما واقع مُتجسِّم ، وفطرة البشر تنساق إِلى ذلك ، شعرت البشريَّة بذلك أَم لا.

وهذه أَحد براهين ودلالات ومعاجز شخوصهم (صلوات اللَّـه عليهم).

وقد بيَّنت بياناتهم عليهم السلام هذه المعادلة الوحيانيَّة ؛ وأَنَّ أَنموذجيَّتهم وقدويَّتهم وتجسُّم المبادئ العُليا فيهم ؛ والَّتي تطمح وتتطلَّع إِليها البشريَّة هي الَّتي تجذب وتشدّ إِليهم البشريَّة ؛ وتؤدِّي إِلى إِلتفافها حولهم.

ومن ثَمَّ ذكر كثير من المُحلِّلين الإِسلاميين وغيرهم: أَنَّ قريشاً لو لم تتكالب على سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله ومحاولة تصفيته جسديّاً وعسكريّاً ؛ ولو لم يُلجئ صلى الله عليه وآله على الهجرة من مكَّة المُكرَّمة لانتقلت إِليه حومتها وقبضها بالقدرة الطبيعيَّة السلميَّة من دون استعمال ما يتمتع به صلى الله عليه وآله من قدرات وقوىٰ وهبات إِلٰهيَّة ، ومن دون استعمال السلاح والقوَّة العسكريَّة الطبيعيَّة.

القضيَّة السَّادسة:

كُلَّما تصاعدت العوالم كُلَّما عظم مُلْك أَهل البيت عليهم السلام فيها حكومة أَهل البيت عليهم السلام وإِمامتهم شاملة لكافَّة العوالم والمخلوقات نبوَّات الأَنبياء عليهم السلام ورسالاتهم من مُختصَّات عَالَم الدُّنيا الأُولىٰ

فانظر: بيانات الوحي ، منها:

١ـ إِطلاق بيان أَمير المؤمنين عليه السلام في وَصِيَّته لِكُمَيْل بن زياد: « **يا كميل ابن زياد ... مَا مِنْ عِلْمٍ إِلَّا وأَنا أفتحه ... يا كميل ، لا تأخذ إِلَّا عنَّا تَكُنْ مِنَّا ، ياكميل ، مَا مِنْ حركة إِلَّا وَأَنْتَ محتاج فيها إِلى معرفة ... يا كميل ، إِنَّما المؤمن مَنْ قال بقولنا ، فَمَنْ تَخَلَّفَ عَنَّا قصر عنَّا ، وَمَنْ قصر عنَّا لم يلحق بنا ، وَمَنْ لم يكن معنا ففي الدَّرك الأَسفل من النَّار...** »[1].

→ إِنَّ الثَّابت في بيانات روايات أَهل البيت عليهم السلام: أَنَّ مُلك عَالَمَ الآخرة الأَبديَّة أَعظم من مُلك عَالَمَ القيامة ، ومُلك عَالَمَ القيامة أَعظم من مُلك عَالَمَ الرَّجعة ، ومُلك عَالَمَ الرَّجعة (آخرة الدُّنيا) أَعظم من مُلك عَالَمَ الدُّنيا الأُولىٰ ، ونبوَّة أَنبياء أُولي العزم الأَربعة فضلاً عن سائر الأَنبياء والمرسلين عليهم السلام المُتقدِّمين مُختصَّة بعَالَمَ الدُّنيا الأُولىٰ ، بخلاف نُبوَّة سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله وإِمامته وإِمامة سائر أَهل البيت (صلوات اللَّـه عليهم) ؛ فإِنَّها شاملة لجملة العوالم وكافَّة المخلوقات غير المتناهية ، بل المصطفون من بني هاشم من أَصحاب الدَّائرة الإِصطفائيَّة الثانية ؛ مقبلون على عوالم مهولة وعظيمة جِدّاً ، لهم فيها مسؤوليَّات إِلٰهيَّة خطيرة جِدّاً.

ومنه يتَّضح: مدىٰ الفرق الشَّاسع والمهول بين ما يتمتَّع به أَهل البيت (صلوات اللَّـه عليهم) من مقامات وحُجَج وشؤون ومسؤوليَّات إِلٰهيَّة ؛ وما يتمتَّع به الأَنبياء والمرسلين عليهم السلام المُتقدِّمين من مقامات وحُجَج وشؤون ومسؤوليَّات إِلٰهيَّة. ويتَّضح أَيضاً: الفارق الخطير والشَّاسع بين دولة مُحَمَّد وآل مُحَمَّد (صلوات اللَّـه عليهم) الإِلٰهيَّة ، ودول الأَنبياء والمرسلين عليهم السلام المُتقدِّمين الإِلٰهيَّة.

(١) بحار الأَنوار ، ٢٤: ٢١٦ ـ ٢١٧/ ح١.

٢ـ إِطلاق بيانه عليه السلام أَيضاً: «... **آل مُحَمَّد** صلى الله عليه وآله **... مَنْ عرفهم وأَخَذ منهم فهو منهم ، وإِليه الإِشارة بقوله:** ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾[1] ...»[2].

٣ـ إِطلاق بيانه عليه السلام أَيضاً: «... **إِنَّ الشَّاكَّ في أُمورنا وَعُلُوْمِنا كالمُسْتَهْزِئ في معرفتنا وحقوقنا** ...»[3].

ضحالة منهج: (حصر طريق المعرفة بالظَّنِّ التَّعَبُّدِي)

ومن كُلِّ هذا يتَّضح: غرابة حصر منهج وطريق المعرفة بالظَّنِّ التَّعَبُّديّ؛ فإِنَّ الظَّنَّ التَّعَبُّديّ النَّقلي[4] ، بل التَّوَاتُر واليقين النَّقلي لا يزيد عن إِيجاد العلم واليقين الحسِّي ، ولا يرتقي إلى العلم واليقين العقلي[5] فضلاً عن

---

(١) إبراهيم: ٣٦.

(٢) بحار الأَنوار ، ٢٥: ١٧٣/ ح٣٨.

(٣) المصدر نفسه ، ٢٦: ٢٢١ ـ ٢٢٢/ ح٤٧.

(٤) **ينبغي الإِلتفات:** أَنَّه وقع الخلاف في الأَخذ بالخبر المُعتبر شرعاً ، المورث للإِعتقاد الظَّنِّي في أَبواب العقائد ؛ فذهب الكمباني والسيِّد الخوئي في تنبيهات حُجِّيَّة الخبر من مباحث علم الأُصول إِلى الإِلتزام به في تفاصيل العقائد دون أَركانها وأَساسيَّاتها ، بل التزم بهذا القول كثير من الأُصوليِّين ، كـ: صاحب الكفاية الخرساني والعراقي ، وذهب آخر كالشَّيخ الأَنصاري إِلى العدم.

(٥) يجدر صرف النظر في المقام إِلى التَّنبيهات التَّالية:

←

ما فوقه من العلم واليقين الوحياني.

→ **الأَوَّل**: أَنَّ اليقين على مراتب ودرجات ، منها: يقينٌ وحيانيٌّ ، ويقينٌ عقليٌّ ، ويقينٌ وهميٌّ ، ويقينٌ خياليٌّ ، ويقينٌ حسيٌّ. وكُلُّ واحدٍ منها على مراتب ودرجات أَيضاً.

مثاله: اليقين العقلي ، فإِنَّه على مراتب ودرجات ، منها: يقينٌ بديهيٌّ ، ويقينٌ مُتاخم لليقين البديهي ، ويقينٌ نظريٌّ ، ويقينٌ مُتوغِّل في النَّظريَّة.

الثَّاني: أَنَّ في الحسِّ والخيال والوهم والفكر والعقل مناطق بديهيَّة ومناطق مُبهمة ، وكُلٌّ من البديهيَّات والنظريَّات والمبهمات والمجهولات على درجات ، فيغوص في الإِبهام أَكثر فأَكثر حتَّى يتلاشىٰ العلم وينتهي. ففي الحسِّ ـ مثلاً ـ هناك منطقة بديهيَّة وهناك منطقة نظريَّة ومبهمة ومجملة ومجهولة ؛ فعندما يبتعد الحسّ عن المحسوس يصبح مبهماً: حسّاً وصوتاً وشمّاً وفهماً.

الثَّالث: أَنَّ الثَّابت باتِّفاق أَصحاب العلوم والمدارس العقليَّة والمعرفيَّة: أَنَّ اليقين العقلي المُبدَّة أَو القريب منه ـ وليس اليقين النَّظري ـ أَعلىٰ يقيناً بمراتب من اليقين الحاصل من التواتر الحسيِّ ؛ لكون العين العقليَّة وقدراتها تفوق بأَضعاف المراتب العين الحسيَّة وقدراتها ، ومن ثَمَّ تنفذ رؤية العقل إِلى آفاق ليس بمقدور ومكنة رؤية الحسِّ الوصول إِليها.

هذا بالنِّسبة إِلى الرؤية العقليَّة فكيف بالرؤية الوحيانيَّة ؛ والَّتي هي عين عرشيَّة فوق العين المُسلَّحة بما لا يتناهىٰ.

وبالجملة: اليقين الوحياني فوق اليقين العقلي ، واليقين العقلي فوق اليقين والتواتر الحسي.

وهذه خارطة لبعض طبقات اليقين.

نعم ، لا غنىٰ عن العلم النَّقلي ـ كما تقدَّم ـ بل لا مجال لإنكار ضرورته؛ لأنَّه مُقَدِّمة لليقين العقلي الواسع بسعة أُفق الوحي[1] ، ومِنْ ثَمَّ لابُدَّ من الابتداء بالعلم النَّقلي ؛ لتحصيل اليقين الوحياني ، لكن: العلم النَّقلي ـ وهو منهج المبتدئين ـ لا يُقتصر عليه ، بل لابُدَّ من العروج في بحور معاني بيانات الوحي غير المتناهية ، والتَّدَبُّر العقلي في مضامين النُّقول ومتونها.

الحُجَج والمُحْكَمَات على مراتب طوليَّة

وبعبارة أُخرىٰ: أَنَّ لِحُجِّيَّة الخبر مراتب طوليَّة من عدَّة جهات ، أَهمُّها ثلاثة:

الأُوْلَىٰ: حُجِّيَّة المتن.

الثَّانية: صحَّة وحُجِّيَّة الكتاب.

الثَّالثة: حُجِّيَّة الطَّريق والسَّند.

ثُمَّ إِنَّ أَعظم مراتب الحُجَج هي: (المُحْكَمَات)[2] ، وهي على مراتب

---

(١) **ينبغي الِالتفات**: أَنَّ العقل البشري وإِنْ كان محدود القدرة بالفعل ، لكنَّه ليس بمحدودٍ بالقوَّة والتَّدريج.

(٢) المراد من المُحْكمات: القوانين الدستوريَّة المُبَدَّهة.

ثُمَّ إِنَّ مُحْكَمات الكتاب الكريم والسُّنَّة الشَّريفة تعني: يقين وحياني.

لكنْ: إِذا دخلت في وعاء المُتلقِّي وكان غير معصوم فلا تكون وحياً ولا محكماً ، وحُجِّيَّتها ظنيَّة الدلالة ، وإِنْ حصل له القطع واليقين بتلك الدلالة ؛ فإِنَّ هذا ←

طوليَّة أَيضاً ، أَعلاها ورأس هرمها: أُمَّهات المُحْكَمات ، ومعناها: المركز والمُحور والمُهيمن.

وهذا ما تشير إِليه بيانات الوحي ، منها:

بيان قوله تعالىٰ: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾[1].

والإِحْكَام المأخوذ في بيان هذه الآية الكريمة وإِنْ كان قد يُفسِّره البعض بإِحْكَام الدلالة ، لكنَّ الحقّ: أَنَّ عظمة إِحْكَام المُحْكَم وعمدته لا تكمن في الدلالة ، وإِنَّما ـ تكمن ـ في جهة المتن والمضمون الحاوي على معلومات ومعادلات علميَّة مُحيطة ومُهيمنة على ما تحتها.

نظيره: العلوم البشريَّة ـ كعلم: الرياضيَّات ، والهندسة ، والفيزياء ، والكيمياء ، والأَحْيَاء ـ ؛ فإِنَّ فيها معلومات وقواعد ومعادلات علميَّة فوقيَّة ، مُحيطة ومُهيمنة على سائر مسائل ومباحث علومها المختصَّة بها ، وتتفرَّع منها تلك المسائل والمباحث وأَبواب العلم.

وهذا ما تُشير إِليه بيانات الوحي ، منها:

← القطع واليقين لا يخرج عن حريم الحسِّ ، وهو في عِرضة الخطأ والإِشتباه ، وَمِنْ ثَمَّ تؤول حقيقة هذا القطع واليقين إِلى ظنٍّ ، فالتفت ، وتأَمَّل جيِّداً.

(١) آل عمران: ٧.

بيان قوله عزَّ ذكره: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾[1].

فإنَّه برهانٌ وحيانيٌّ دالٌّ على أَنَّ نفس المعلومات والمعادلات العلميَّة والعقليَّة والمعرفيَّة الإِلٰهيَّة المُودعة في بيانات القرآن الكريم لها هيمنة وإِشرَاف وإِحاطة وسَعَة تتخطَّىٰ ما موجود في سائر الكُتُب السَّماويَّة الأُخرىٰ ـ كـ: التوراة، والإِنجيل ـ[2].

ثُمَّ إِنَّ الإِحْكَام في عَالَمَ المعاني غير الإِحْكَام في عَالَمَ البلاغة والدِّلالة والأَلفاظ. ويحتاج ـ الإِحْكَام في عَالَمَ المعاني ـ إِلى علمٍ وافرٍ. وكُلَّما زاد العلم فيه صعد الفهم في تشخيص المُحْكَم.

إِذَنْ: القرآن الكريم وإِنْ كان جميعه ـ صدوراً وأَلفاظاً ودلالات ـ نوراً وحُجَّة قطعاً، لكنَّه مع كلِّ ذلك يُحذِّر الباري عزَّوجلَّ من المساواة بين طبقاته ومراتبه، وإِيَّاكَ أَنْ تأخذ بها بمفردها، بل بعضها فتْنَوِي وزيغي وهو المُتشابه إِنْ اِتَّبَعَهُ المخلوق بمفرده وبعقله، أَمَّا إِذا أَخذ به وبالمُحْكَمات تحت رعاية الراسخين في العلم ـ لا بعقله ـ فسيهتدي.

إِذَنْ: مع أَنَّ جميع القرآن الكريم عظيمٌ ونورٌ ومُقَدَّسٌ، ولا يأتيه

---

(١) المائدة: ٤٨.

(٢) معنىٰ كلمة: (التوراة) في اللغة العبريَّة: الشَّريعة.

ومعنىٰ كلمة: (الإِنجيل) في اللغة العبريَّة أَيضاً: البشارة الملكوتيَّة.

الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، لكن نفس القرآن الكريم يُشير إِلى أَنَّ نظام المعلومات ونظام المعادلات العلميَّة الموجودة فيه ليس على طبقةٍ واحدةٍ في الأَهميَّة والعظمة ، بل على طبقات.

وعلى هذا قس السُّنَّة الشَّريفة ؛ فإِنَّهما يرتضعان من ثدي واحد ، ومن ثَمَّ ورد عن أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم): أَنَّ في أَخبارهم مُحْكَماً ومُتشابهاً ، والمُتشابه لا يجوز الأَخذ به إِلَّا تحت رعاية المُحْكَمات.

فلاحظ:

بيان الإمام الرَّضا عليه السلام: «**مَنْ رَدَّ مُتشابه القرآن إِلى مُحْكَمه هُدِيَ إِلى صراطٍ مستقيم ، ثُمَّ قال** عليه السلام: **إِنَّ في أَخبارنا مُتشابهًا كمتشابه القرآن ، ومُحْكَماً كمُحْكَمْ القرآن ، فردُّوا متشابهها إِلى مُحْكَمها ، ولا تَتَّبِعُوا متشابهها دون مُحْكَمها فتضلُّوا**»[1].

حجِّيَّة الخبر

ثُمَّ إِنَّ العمدة عندنا وركن أَركان حُجِّيَّة الخبر ؛ والسُّلَّم الَّذي يُرتقىٰ ويُعرج به في عَالَم المعاني ـ سوآء أَكان ذلك في علم الفروع أَم في علوم المعارف الإِلٰهيَّة[2] وجملة العلوم الدِّينيَّة والشَّرعيَّة ـ لا يكمن في حُجِّيَّة

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢: ١٨٥/ ح٩.

(٢) **يجدر الإِلتفات:** أَنَّ المعارف والعقائد الإِلٰهيَّة حقائق تكوينيَّة من أَكوان وعوالم غيبيَّة صاعدة.

صدور الخبر وسنده[١] وإِنْ كان متواتراً [٢] ؛ ولا في حُجِّيَّة دلالته وإِنْ كانت صريحة وقطعيَّة ـ فإِنَّ هذه الحُجَج لا تؤمِّن إِلَّا لقلقة الأَلفاظ ، أَمَّا المعاني فلا[٣] ـ وإِنَّما يكمن في المتن.

والمراد من حُجِّيَّة المتن ليس حُجِّيَّة الدلالة ، وإِنَّما المراد: نفس نظام المعلومات المودعة في متن الخبر ، فيدرس الفقيه أَو الباحث ذلك المتن والمضمون ـ بغض النَّظر عن الدَّليل ودلالته وصدوره وسنده وجهته ؛ والكتاب الَّذي وَرَدَ فيه المتن والمضمون ـ ويعرضه على مُحْكَمات الكتاب الكريم ، ومُحْكَمات السُّنَّة القطعيَّة ، ومُحْكَمات وبديهيَّات العقل ، ومُحْكَمات

---

(١) ضعف الطَّريق واعتباره لا دخالة له في تحصيل البرهان من المتن والمضمون.

(٢) التَّواتر السندي لا ينفع في أَبحاث العقائد ، لأَنَّه يُورث اليقين الحسِّي ، والمطلوب في أَبحاث العقائد تحصيل اليقين العَقلي ، وفيه ـ اليقين العقلي ـ لا يُفرَّق بين الرواية المتواترة والضعيفة سنداً ، لأَنَّ البيان والبرهان العقلي المُستفاد من المتون والمضامين هو المطلوب في هذه الأَبحاث.

ويُضاف إِليه: أَنَّ الخبر المُتواتر سنداً قد يكون متنه ظنِّيّ الدلالة فعاد إِلى الظَّنِّ ، وهو لا ينفع في أُسس وأُصول العقائد. فالتفت.

ثُمَّ إِنَّه يجب على الَّذي ليس له باع عقلي في أَبحاث العقائد ترك أَبحاث هذا الباب ، ولا يلجه ولا يتصدَّىٰ إِليه ، وليترك المجال لمن له الأَهليَّة في ذلك.

(٣) **ينبغي الإِلتفات**: أَنَّ لقلقة ودغدغة المعاني ـ فضلاً عن الحقائق ـ غير لقلقة ودغدغة الأَلسن. وكذا حفظ المعاني فضلاً عن حفظ الحقائق فإِنَّهما غير حفظ الأَصوات.

وبديهيَّات الوجدان الَّتي لا يختلف عليها وجدان بشر ، ويوزنه مع منظومة معادلات وقواعد الدِّين والشَّريعة ، فإذا أَورث له ذلك العرض: القطع واليقين بمطابقة هذا المتن والمضمون لتلك المُحْكَمات كانت حُجِّيَّة ذلك المتن وحيانيَّة ذاتيَّة. وهذا هو أَعظم ميزان وضابطة قُرِّرَت في بيانات الوحي لحُجِّيَّة الخبر.

ثُمَّ إِنَّ صحَّة وحُجِّيَّة المتن والمضمون ليست من شأن الرواة بما هم رواة ، وإِنَّما هي من شأن الفقهاء المُتضلِّعين في فقه الفروع ، وفي علم الكلام ، وعلم العقائد والمعارف الإِلٰهيَّة ، وعلم الأَخلاق والآداب[1] والنظام

---

(١) **ينبغي الإِلتفات**: أَنَّ الأَدب والخُلق وجهان لحقيقة واحدة ، غاية الأَمر: أَنَّ الخُلق هيئة نفسانيَّة ، والأَدب هيئة بدنيَّة ، وبينهما ترابط ؛ فالأَدَب الصَّالح هيئة بدنيَّة نابعة من الخُلق الصَّالح ، والأَدب الطَّالح هيئة بدنيَّة أَيضاً ، لكنَّها نابعة من الخُلق الطَّالح.

إِذَنْ: الفارق بين الآداب والأَخلاق: أَنَّ الأَخلاق هي: الصِّفات والهيئات النَّفسانيَّة ، أَمَّا الآداب فهي: الهيئات البارزة على السلوك العملي الجارحي ، وهي انعكاسات عن تلك الصِّفات والهيئات النفسانيَّة ؛ فهي هيئات عارضة على الأَعمال الجوارحيَّة منبعثة عن الصِّفات والهيئات النَّفسانيَّة.

وبالجملة: الآداب أُمور محسوسة تُرىٰ بالعين المُجرَّدة ؛ كآداب لمائدة والحَمَّام وما شاكلها ، بخلاف الأَخلاق ؛ فإِنَّها لا تُرىٰ ولا تُلمس باليد.

والأَدب إِنْ كان سيئاً يكشف عن خُلقٍ سيء ، والخلق السيء يكشف عن نقصٍ في المعرفة على أَقلِّ تقدير.

الرُّوحي والأَخلاقي والآدابي الدِّيني ، وعلم التَّفسير ، وعلم السِّيَر ، وغيرها. بخلاف صحَّة السَّنَد وحُجِّيَّته ؛ فإِنَّه يمكن معرفتها من قِبَلِ عامَّة النَّاس ، وتدور مدار الحافظة ، كما أَشارت إِلى ذلك بيانات الوحي ، أَمَّا حُجِّيَّة المتن والمضمون فتحتاج إِلى حصول مطابقة ـ المتن والمضمون ـ لأُصول وقواعد الشرع والدِّين ، وهذه ليست من اِخْتِصَاص إِلَّا الفقيه المُتضلِّع في شَتَّىٰ العلوم الشرعيَّة والدِّينيَّة ؛ فصحَّة المتن والمضمون لا تدور مدار فقاهة الفقيه فحسب ، بل وتضلُّعه في كافَّة العلوم الشَّرعيَّة والدِّينيَّة.

إِذَنْ: صحَّة المتن والمضمون تتطلّب فقاهة وتضلُّع الفقيه بذلك العلم الَّذي يختصُّ به ذلك المتن والمضمون ، فلو لم يكن للفقيه باعٌ بالعلم الَّذي يختصُّ به المتن والمضمون فَمِنْ أَين يعرف صحَّة وحُجِّيَّة ذلك المتن والمضمون وعدمها.

وهذا بحث تصوِّري وتصديقي لا يتوقَّف على حُجِّيَّة صدور الخبر وسنده.

وهذه القضيَّة ـ أَي: التعامل مع حُجِّيَّة المتن وعرضه على مُحْكَمَات الشَّرع والدِّين ـ ليست خاصَّة بمدرسة الإِماميَّة ، بل شاملة لكافَّة مدارس ومذاهب المسلمين.

هذا هو المذهب والمنهج العلمي لمشهور طبقات الفقهاء ، ومشهور علماء مدرسة الإِماميَّة ، بل ومدارس العامَّة ، كما نقل ذلك الشَّيخ

الأَنصاري في رسائله ، ومن أُولئكَ الفقهاء والعلماء: الشَّيخ المفيد ، والسيِّد المرتضىٰ ، وابن البرَّاج ، والحلبيُّون ، والكشي ، وابن الغضائري ـ الابن ـ ، والنجاشي ، وابن إدريس ، وابن زهرة ، والمُحقِّق الحلِّي ، بل والشَّيخ الطُّوسي وإِنْ اختلف مبناه قليلاً.

ويُعبَّر عن هذا المنهج بـ: (دراسة المتن ومحوريَّة المُحْكَمات).

لكنَّه منهج مهجور ومُغَيَّب في العصر الراهن.

وقد أَطلق الشَّيخ المفيد والمُحقِّق الحلِّي عنوان الحشويَّة والقشريَّة على مَنْ يجعل السند والطَّريق الرُّكن الرَّكين في حُجِّيَّة الخبر ، لكن هذا لا يعني أَنَّه لا دور للسند والطَّريق في حُجِّيَّة الخبر ، بل له دور لكنَّه ليس هو الرُّكن الرَّكين ، ولا يؤمِّن إِلَّا لقلقة الأَلفاظ ، أَمَّا المعاني فالَّذي يُؤمِّنها ويُؤمِّن الإِنطلاق إِلى العمق هو المتن بتوسُّط أَلفاظ الوحي.

ولك أَنْ تقول: إِنَّ الإِقتصار على النقل منهج المبتدِئين ، وطمع الباحث عن الحقيقة لا يكون إِلَّا في الفهم العقلي بالنَّقل ، والعلم العقلي المُنظَّم للنَّقل ، ولا يتمُّ إِلَّا من خلال البرهان والعلم والنُّور المُستفاد من الإِشارات الإِرشاديَّة للمُقدِّمات العلميَّة اليقينيَّة الموجودة في متون بيانات الوحي الإِلٰهيّ الطَّاهرة الباهرة.

ضرورة التَّمسُّك بقوالب بيانات الوحي والغور في أَعْمَاقها غير المتناهيَّة

قاعدة التَّوقيفيَّة شاملة لكافَّة المعارف الإلهيَّة

معنى قاعدة التَّوقيفيَّة : التَّمسُّك بأَلفاظ الوحي والغور في بحور معانيها

وهناك توصية وردت في بيانات أَهل البيت عليهم السلام المعرفيَّة ، حاصلها: أَنَّ الباحث والمُستنبط إِذا أَراد الاستعصام والتَّخَلُّص من الضَّلال والزيغ والإِنحراف فعليه نشب أَظفاره والتَّمَسُّك بكُلِّ ما أُوتي من قوَّة بأَلفاظ وعناوين وقوالب بيانات الوحي ، وإِلَّا ـ أَي: إِذا استبدل أَلفاظ وعناوين وقوالب بيانات الوحي بألفاظ وعناوين ومصطلحات وقوالب البشر ـ كان في معرض الإِرتطام في الضَّلال والزَّيغ والإِنحراف.

وهذا أَحد معاني ما ورد عنهم (صلوات اللّـه عليهم) ؛ عن الإِمام الصَّادق عليه السلام: «... **فواللّـه لنحبّكم أَنْ تقولوا إِذا قُلْنا ، وتصمتوا إِذا صمتنا، ونحن فيما بينكم وبين اللّـه**»[1].

فإِنَّه شامل بإِطلاقه ـ إِضافة إِلى معاني بيانات الوحي شامل أَيضاً ـ لأَلفاظها.

إِذَنْ: حُجِّيَّة المتن المُنطلِقة من أَلفاظ بيانات الوحي هي الأَساس. **ومعناه**: أَنَّ قاعدة التوقيفيَّة والتَّوقيتيَّة لا تختصُّ بباب الأَسماء والصِّفات

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢: ٩٥/ ح٣٧.

الإِلٰهيَّة ، بل تشمل كافَّة المعارف الإِلٰهيَّة. **لكن**: ليس معنىٰ هذه القاعدة الجمود على أَلفاظ بيانات الوحي ؛ فإِنَّ ذلك حشويَّة وقشريَّة أَيضاً ، **وإِنَّما معناها**: التَّمسُّك بالقوالب الوحيانيَّة والغور في بحور معانيها المُتلاطمة الطمطامة غير المتناهية ، وهنا تكمن الصعوبة ، وتظهر حذاقة الفقيه المُتضَلِّع ، وقوَّة فقاهته.

خلاصة ما تقدَّم

والخلاصة: أَنَّ حُجِّيَّة الخبر عند جلِّ العلماء مُترتِّبة طولاً في مقام الإِستنباط وبالشَّكل التَّالي: أَوَّلاً: حُجِّيَّة المتن والمضمون ، ثُمَّ صحَّة وحُجِّيَّة الكتاب [1] ، ثُمَّ حُجِّيَّة الطَّريق والسند.

وهذه حُجَجٌ طوليَّة ، فإِذا حصل للفقيه المُتضلِّع: القطع واليقين بمطابقة متن الخبر ومضمونه لمُحْكَمَات الدِّين والشَّريعة أُخذ به وإِنْ كان ذلك ـ المتن ـ وارداً بخبر ضعيف السند ؛ وذلك للقطع بمطابقة متنه ومضمونه لمُحْكَمَات الدِّين والشَّريعة ، وتكون حُجِّيَّته حينئذٍ ذاتية وحيانيَّة ، وهي مُقدَّمة على كافَّة الحُجَج ، نعم إِذا لم يحصل القطع واليقين لدىٰ الفقيه المُتضَلِّع بمطابقة متن ومضمون الخبر لمُحْكَمَات الدِّين والشَّريعة انتقل إِلى

---

(١) سيأتي (إِنْ شاء اللّـه تعالىٰ) في ختام هذه القضيَّة التَّعَرُّض إِلى هذه الحُجِّيَّة والجهة الثانية من جهات الحُجِّيَّة ، وهي صِحَّة وحُجِّيَّة الكتاب ؛ فانتظر هُنيئة.

ونكتة التَّأخير: كيما لا يحصل تشتيت وتشويش في المطلب.

المرتبة الثّانية من مراتب حُجِّيَّة الخبر ، وهي: صحَّة وحُجِّيَّة الكتاب الوارد فيه ذلك الخبر ، فإِنْ كان ـ ذلك الخبر ـ وارداً في كتابٍ صحيح وحُجَّة ـ كـ: كتاب الكافي ـ أَخذ به وأَفتىٰ على وفقه ، وإِلَّا ـ أَي: إِذا لم يكن الكتاب صحيحاً و حُجَّة ـ انتقل ـ الفقيه ـ إِلى المرتبة الثالثة من مراتب حُجِّيَّة الخبر ، وهي حُجِّيَّة سنده ، فإِنْ كان مُعتبراً سنداً أَخذ به وأَفتىٰ على وفقه في فقه الفروع وفي أَبواب المعارف وتفاصيل العقائد ، وإِلَّا ـ أَي: إِنْ لم يكن مُعتبراً سنداً أَيضاً ـ سقط عن الحُجِّيَّة والإِعتبار ، وأَعرض عنه ـ هذا إِنْ لم تكن هناك حُجَجٌ طوليَّةٌ أُخرىٰ يتبنَّاها الفقيه كـ: (حُجِّيَّة عمل الطائفة) ـ نعم ، يُمكن الأَخذ به على نحو المؤيِّد والمُنبِّه على برهانٍ في دليلٍ آخر.

لكن: عكس المعاصرين هذه الحُجَج ، بل جعلوا المجموع في عرضٍ واحدٍ ، بل حصروها في حُجِّيَّة الطَّريق والسند ، وغرابة حصر منهج وطريق المعرفة والإِستنباط بالظَّنِّ التَّعَبُّدي والتواتر الحسِّي واضحة ؛ فإِنَّ الظَّنَّ التَّعَبُّدي النقلي ، بل والتواتر واليقين النقلي لا يزيد عن دائرة إِيجاد العلم واليقين الحسِّي ، ولا يرتقي إِلى العلم واليقين العقلي فضلاً عمَّا فوقه من العلم واليقين الوحياني.

نعم ، لا غنىٰ عن العلم النقلي ، بل لا مجال لإِنكار ضرورته ، لأَنَّه مُقدِّمة لليقين العقلي ولليقين الوحياني الواسع بِسَعَة أُفق الوحي ، ومن ثَمَّ لابُدَّ من الإِبتداء بالعلم النقلي ؛ لتحصيل اليقين العقلي والوحياني ، لكن: العِلم النَّقلي ـ وهو منهج المبتدئين ـ لا يُقتصَر عليه ، وإِنَّما لابُدَّ من الغور في

أَعماق بحور معاني وحقائق بيانات الوحي غير المتناهية ، من خلال التَّدبُّر والتَّأَمُّل العقلي في متون النقول ومضامينها.

إِشكال وجواب

ومنه يتَّضح: حَلّ إِشكال البعض على الشَّيخ الأَنصاري وغيره ممَّن يقول في بحث أُصول الفقه بـ: أَنَّ الخبر حتَّىٰ يصحُّ الأَخذ به في مقام الاستنباط لابُدَّ أَنْ يكون مُعتبراً شرعاً ، لكنَّه في بحث الفقه والتَّوصُّل إِلى النتائج يغفل أَو يتغافل عن هذه القضيّة الَّتي حرَّرها في بحث أُصول الفقه ، ويأخذ بالخبر ويُرتِّب عليه الآثار الفقهيَّة وإِنْ كان ضعيفاً سنداً ، فَمَا عدا مِمَّا بدا.

والجواب: أَنَّ الشَّيخ الأَنصاري وإِنْ كان يقول باعتبار حُجِّيَّة سند الخبر ، لكنَّ مبناه ـ كمبنىٰ استاذه صاحب الجواهر وغيره هو ـ مبنىٰ مشهور المُتقدِّمين القائلين بهذه الحُجَج الطوليَّة ، فإِنَّه وإِنْ قرَّر الفقيه في بحث الأُصول: أَنَّ الخبر لا يصحُّ الأَخذ به إِلَّا إِذا كان مُعتبراً سنداً ، لكنَّه في بحث الفقه ومقام الاستنباط أَوَّل ما يُلاحظ الفقيه من المُتقدِّمين المتن والمضمون ، ويعرضه على مُحكَمَات الكتاب الكريم والسُّنَّة الشَّريفة ، فإِذا أَورث له ذلك العرض القطع واليقين بمطابقة ذلك المتن والمضمون لمُحْكَمَات الثقلين كانت حُجِّيَّة ذاتيَّة إِمَّا عقليَّة أَو وحيانيَّة ، ووجب الأَخذ به وترتيب الآثار الشَّرعيَّة والمعرفيَّة والعقائديَّة عليه وإِن كان ضعيفاً وغير مُعتبرٍ سنداً ؛ لأَنَّ حُجِّيَّة واعتبار سند الـخبر تأتي في مرتبة مُتأَخِّرة طوليَّة

ثالثة ؛ لم تصل إِليها حاجة الفقيه بحسب الفرض. نعم ، إِذا لم يحصل له القطع واليقين بمطابقة متن ومضمون الخبر لمُحْكَمَات الثقلين التجأ إِلى الجهة التالية من جهات الحُجِّيَّة ، وهي صحَّة وحُجِّيَّة الكتاب ، فإِنْ كان وارداً في كتابٍ صحيحٍ ومعتبرٍ عند الإِماميَّة ـ كـ: كتاب الكافي ـ أَخذ به ، وإِلَّا صار أَمر الفقيه إِلى الجهة الثالثة من جهات الحُجِّيَّة ، وهي حُجِّيَّة السند ، فإِنْ كان مُعتبراً بحسب مبانيه الرجاليَّة أَخذ به ، وإِلَّا فلا. هذا إِنْ لم يَقُل بغير هذه الحُجَج الثلاث ؛ كحُجِّيَّة: (عمل الطائفة) ، وإِلَّا التجأ إِليها ؛ وصحَّح الخبر على وفقها إِنْ أَمكن.

المراد من الجهة الثانية من جهات الحُجِّيَّة

مراد الفقهاء من صحَّة وحُجِّيَّة الكتاب

إِنَّ أَحد معاني صحَّة الكتاب واعتباره ليس ما توهَّمه الإِخباريون وبنىٰ عليه السيِّد الخوئي في كامل الزيارات وتفسير القُمِّيّ ، بل وبنىٰ عليه أستاذه الميرزا النائيني في حقِّ كتاب الكافي تبعاً لأُستاذه الميرزا النوري ؛ وأَنَّ كُلَّ ما موجود فيه قطعي الصدور أَو ظَنِّي الصدور بالظَّنِّ المُعتبر ، فإِنَّ هذه صحَّة مُحدِّثين ، وليست صحَّة فقهاء ؛ وإِنَّما المراد من صحَّة الفقهاء: ما ذكره الشَّيخ الكليني في أَوَّل الكافي ، وما ذكره الصدوق في أَوَّل الفقيه ، وما ذكره محمَّد بن الحسن الأَشعري في كفاية الأَثر ، وما ذكره الشَّيخ الطوسي في أَوَّل التَّهذيب ، وهو: أَنَّ مُصَنِّف الكتاب يتعهَّد بجميع ما وضعه في كتابه من روايات ـ بقطع النظر عن صدورها وسندها ـ أَنَّ متونها

ومضامينها لا تُناقض ولا تُخالِف ضرورة من ضروريَّات الدِّين والكتاب والسُّنَّة ، ولا تُخالِف مُحْكَماتها ، وهذه الصحَّة أَعظم فقاهة من مسلك صحَّة الطريق ؛ فإِنَّه مسلك حشوي ؛ إِذْ الإِقتصار على صحَّة الطريق من دون النظر إِلى متن ومضمون الرواية ـ كما يقول الشَّيخ المفيد والمُحقِّق الحلِّي ـ حشويَّة وقشريَّة ليست للفقهاء مسلكاً ، فإِنَّ مسلكهم يعتمد على فهم المتون والمضامين: فهل هي مناقضة ومخالفة لضروريَّات ومُحْكَمات الدِّين والشِّريعة ، أَو أَنَّها مطابقة ولم تخالف القوانين الدستوريَّة العقائديَّة والمعرفيَّة في الدِّين ؛ أَو القوانين الدستوريَّة الثابتة في الفقه.

نُكتة تقدُّم الجهة الأُولى والثانية على الثالثة :

وصارت حُجِّيَّة المتن والمضمون مُتقدِّمة على حُجِّيَّة السند ؛ وذلك لأَنَّ حُجِّيَّة المتن والمضمون تتمُّ من خلال عرض المتن والمضمون على مُحْكَمات الكتاب الكريم والسُّنَّة الشَّريفة ، فإِذا أَورث ذلك العرض للفقيه القطع واليقين بمطابقته لتلك المُحْكَمات كانت هذه الجهة ـ أَي: الجهة الأُولىٰ والثانية ـ من جهات الحُجِّيَّة مُتقدِّمة على الجهة الثالثة وهي حُجِّيَّة السند وإِنْ كان الخبر متواتراً سنداً ؛ لأَنَّ هذا العرض إِنْ ولَّد للفقيه أَو لمُصنِّف الكتاب ـ كالكليني ـ القطع واليقين بمطابقة الخبر لمُحْكَمات الثقلين كانت حُجِّيَّة ذلك اليقين ـ لدىٰ الفقيه أَو المُصنِّف ـ ذاتيَّة عقليَّة أَو وحيانيَّة ، وهي مُتقدِّمة على حُجِّيَّة اليقين الحسِّي المستفاد من التواتر السندي فضلاً عن حُجِّيَّة الظن المُعتبر ؛ لأَنَّ التواتر السندي فضلاً عن الظَّنِّ السندي

المُعتبر لا يُؤمِّن اليقين بمطابقة متن ومضمون الخبر لمُحْكَمات الثقلين ، وإِلَّا كانت حُجِّيَّة الخبر ذاتيَّة ـ وحيانيَّة كانت أَم عقليَّة ـ ومن الجهة الأُولىٰ أَو الثانية.

وتأَخَّرت الجهة الثانية من جهات الحُجِّيَّة عن الجهة الأُولىٰ ؛ وذلك لأَنَّ الَّذي يقوم بعمليَّة عرض المتن والمضمون في الجهة الأُولىٰ نفس الفقيه المُتصدِّي لعمليَّة الإِستنباط وتحصيل النتائج ، بخلاف الجهة الثَّانية من جهات الحُجِّيَّة ؛ فإِنَّ الَّذي يتصدَّىٰ لهذا العرض مُصنِّف الكتاب كالكليني، وهو بحسب الفرض من ثِقات وكُبَّار علماء الإِماميَّة ، فاعتمدت هذه الجهة على خبر الثقة.

وتقدَّمت الجهة الثانية على الثالثة مع أَنَّ المُعتَمَد عليه في كليهما خبر الثقة ؛ بل في الثالثة قد يُعتَمَد على التواتر الحسِّي ؛ وذلك: أَنَّ مُصنِّف الكتاب ناظر إِلى متن ومضمون الخبر ـ كما تقدَّم ـ ؛ وأَنَّه مقطوع عقلاً بمطابقته لمُحْكَمات الثقلين ، بخلافه في الجهة الثالثة ؛ فإِنَّ النظر يكون إِلى السند بقطع النظر عن مطابقة مضمون الخبر للمُحْكَمات وعدمها.

وبالجملة: دراسة متون الأَحاديث ومضامينها أَعظم: دراسة علميَّة صناعيَّة اجتهاديَّة ، بل بها تُقام دراسة الأَسانيد والطرق لا العكس. وهذا أَمرٌ مهمٌّ ، ومن ثَمَّ من يكون لديه باع في علوم المعارف يتمكَّن من تشخيص ـ عن بصيرةٍ واجتهادٍ ـ المنحرف من الرواة من غيره ، وذلك من خلال مطابقة مضامين ما ينقله مع مُحْكَمات الثقلين وعدمها. ومن ثَمَّ كان

مبنىٰ النجاشي والغضائري المُتشدِّد: أَنَّ صحَّة الكتاب المرتبطة بالمضمون أَعظم من صحَّة الطَّريق ، وهذا يتَّضح من خلال مراجعة جرحهما وتعديلهما.

وهذه الأُمور لابُدَّ للباحث أَنْ يجدها بنفسه ، فعليه التتبُّع والتنقيب والإِجتهاد عن دراية وبصيرة ، فَمَنْ كان يُريد مراجعة كتاب النجاشي ـ مثلاً ـ فعليه أَنْ لا يُلاحظ النتائج الصَّادرة من مُصنِّفه من جرح وتعديل وما شاكلها ؛ لأَنَّ الأَخذ بها تقليد له ، وإِنَّما عليه قراءة النظام والصرح العلمي في مبناه ومساره العلمي ، وحينئذٍ تكون ـ تلك المراجعة ـ مراجعة علميَّة نافعة. وعلى هذا قس العمل مع كتاب الفهرست للشَّيخ الطوسي ، وكتاب رجال: (البرقي) ، و (العقيقي) ، و (ابن الغضائري) ؛ لمعرفة مبانيهم ومساراتهم العلميَّة ، وليست آرائهم وفتاويهم النهائيَّة.

إِذَنْ: علم الرجال علم مضامين ، وليس علم نقول.

وبالجملة: ليس مراد الكليني في الكافي ولا ابن قولويه في كامل الزيارات ولا الأَشعري في كفاية الأَثر ، ولا الصدوق في الفقيه ولا الطوسي في التهذيب من صحَّة الكتاب صحَّة الصدور ـ فإِنَّ بعض رواياتهم في تلك الكُتُب مراسيل ومقطوعات ومرفوعات ـ ، وإِنَّما مرادهم: صحَّة وحُجِّيَّة المتن والمضمون ، وأَنَّه ليس في روايات تلك الكُتُب ما يُناقض أَو يُخالف ضروريَّات ومُحكَمات الدِّين والشَّريعة. فحينما يروي ـ مثلاً ـ الكليني والصدوق ، عن أَمير المؤمنين (صلوات اللّـه عليه): «... **إِنَّ نور أَبي يوم**

القيامة يُطفئ أَنوار الخلائق إِلَّا خمسة أَنوار: نور مُحَمَّد ﷺ ونوري[١] ونور الحسن والحسين ، ونور تسعة من ولد الحسين ؛ فإِنَّ نوره من نورنا الَّذي خلقه اللّـه تعالىٰ قبل أَنْ يخلق آدم بألفي عام»[٢] ، فإِنَّ مُرادهما: أَنَّ مضمون هذا الحديث ـ بغض النظر عن اعتبار سنده وصحَّة صدوره ـ لا يتصادم ولا يخالف مُحْكَمات الدِّين والشَّريعة والكتاب والسُّنَّة ويوافق خطوطها العامَّة.

إِذَنْ: منهج ومسلك الفقهاء في المقام يختلف عن منهج ومسلك المُحدِّثين ، ومن ثَمَّ الَّذي يرفع علامة صحَّة الصدور من دون أَنْ يهتم بالمضمون فمنهجه ومسلكه ليس منهج ومسلك فقهاء الإِماميَّة ، وإِنَّما منهج ومسلك المُحدِّثين.

ومنه يتَّضح: أَنَّ زعماء اتباع مدرسة أَهل البيت عليهم السلام ـ كالكليني والصدوق والمفيد والمرتضىٰ والطوسي ـ حينما يودعون في كُتُبهم روايات عن أَفراد الدائرة الإِصطِفائيَّة الثانية لأَهل البيت عليهم السلام فهذا يُدلِّل على أَنَّهم يفهمون: أَنَّ لأَصحاب هذه الدائرة شأناً عظيماً ، وعلاوة في الإِصطِفاء.

---

(١) في رواية الشَّيخ بعد قوله: «ونوري» «ونور فاطمة». وعلى هذا فالخمسة إِمَّا مبنيّ على اتِّحاد نورَي مُحَمَّد وعَلِيّ (صلوات اللّـه عليهما) ، أَو اتِّحاد نورَي الحسنين عليهما السلام ؛ بقرينة عدم توسُّط النور في البين ، ويُحتمل أَنْ يكون قوله: «ونور تسعة» معطوفاً على الخمسة. (بحار الأَنوار).

(٢) بحار الأَنوار ، ٣٥: ٦٩/ ح٣. أَمالي الشَّيخ: ١٩٢. الإِحتجاج: ١٢٢.

أَدلَّة تراتب الحُجَج الثلاث

وتشير إِلى ترتُّب وتراتب هذه المراحل وجهات الحُجِّيَّة الثلاث بيانات الوحي الوافرة ، منها:

١ـ بيان قوله تقدَّس ذكره: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾(١)(٢).

فـ: (التلاوة) ـ المُشار إِليها في بيان قوله تقدَّس ذكره: ﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ﴾ ـ: إِشارة إِلى العلم النَّقلي الحسِّي ، وهو مُقدِّمة.

---

(١) الجمعة: ٢.

(٢) **يجدر الإِلتفات: أَنَّه** يجب على مَنْ يُريد استيضاح بيانات أَهل البيت عليهم السلام المُفسِّرة لآية من آيات القرآن الكريم أَنْ لا يخدعه الفحص بمراجعة تفسير أَو تفسيرين ، بل عليه التَّيقُّظ والتَّفطُّن إِلى موارد وجود هذه الآية بأَلفاظها أَو بما يُقارب أَلفاظها ومعانيها في بيانات الوحي الأُخرىٰ ، وعليه أَيضاً أَنْ لا يُراجع مصدراً واحداً من مصادر التَّفسير ، بل عِدَّة مصادر.

وبالجملة: باب الفحص والتَّنقيب العلمي باب واسع وشاسع جِدّاً ، ومن ثَمَّ لا ينخدع الباحث بدرجةٍ من الفحص والتنقيب ، ولا بدرجةٍ من التَّفكير والتَّأمُّل ، وإِذا ظَنَّ أَن ما توصَّل إِليه هو الذروة ورأس الهرم فليعلم أَنَّه أَرتطم بغفلة شنيعة وجهالة كبيرة ؛ فإِنَّ ما توصَّل إِليه بالضرورة الوحيانيَّة والعقليَّة لابُدَّ أَنْ يكون متناهياً ومحدوداً ، ومعاني وحقائق بيانات الوحي غير متناهية وغير محدودة أَبداً بالضرورة الوحيانيَّة والعقليَّة أَيضاً ، ولا توجد نِسبة رياضيَّة بين المحدود وغير المحدود ؛ فإِنَّه دائماً إِذا قيس المحدود إِلى غير المحدود كان لا شيء وصفراً على جهة الشِّمال ، وإِلَّا لانقلبت ماهيَّة غير المحدود وكانت متناهية ، وبطلان انقلاب الماهيَّة من الواضحات ، بل هو خُلف الفرض.

وضرورة (التَّعَلُّم) ـ الـمُشار إِليها في بيان قوله تقدَّس ذكره: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ﴾[1] ـ: إشارة إِلى الفهم العقلي لموارد الوحي ؛ لتحصيل العلم واليقين والبرهانَ الوحياني ، وهو ذو المُقدِّمة والغاية الأَسْمَىٰ ، الَّذي هو فحوىٰ مفاد المُعجزة.

فانظر :

بيان قوله عزَّ قوله: ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَىٰ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ * اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾[2][3].

ودلالته واضحة على أَنَّ المعاجز ـ كمعجزة القرآن الكريم ، وهي الأَعظم ـ ، بل والكرامات الإِلٰهيَّة تُورِث لِـمَنْ تأَثَّر بها: العلم واليقين والبرهان الوحياني.

وبالجملة: أَحد تعاريف المُعجزة: أَنَّها عبارة عن بزوغ وبروز لمعان

---

(١) الطريقة التعليميَّة السَّارية عليها بيانات الوحي في إِيصال المعلومة للطرف هي: التَّدرُّج في التَّعليم وعلى مراحل.

(٢) القصص: ٣١ ـ ٣٢.

(٣) **لا بأس بالإِلتفات**: أَنَّه لا توجد لقطة في القرآن الكريم إِلَّا وتصبّ في ذكر اللّٰه تقدَّس ذكره وخشيته وخشوعه.

أَشعَّة أَنوار غيبيَّة مهولة ؛ إِمَّا في القُدرة ، أَو في آيةِ كمالٍ غيبيٍّ رهيبٍ ، تنتشل بسرعة مَنْ يرىٰ من خلالها لمعان أَنوارِ غيبٍ عظيمةٍ ، ومن ثَمَّ تحصل له حالة إِخبات دفعيّ قهريّ ، تتضعضع له أَعماق ذاته وكافَّة قواه ؛ فيسجد لباعثها تذلُّلاً ، كما حصل ذلك لسحرة بني إِسرائيل.

فانظر:

بيان قوله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ * قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ * قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنتُم مُّلْقُونَ * فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ * فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ * فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ * قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ * قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ * قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ * إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَن كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[1].

وهذه نفس فائدة البرهان ؛ فإِنَّه يُخرج الطرف من ساحة الفكر إِلى تجلِّيات في الفطرة ، فإِذا شاهد العظمة خبت.

إِذَنْ: المعجزة الإِلٰهيَّة خطاب إِلٰهيّ مباشر ؛ ومن دون واسطة من

---

(١) الشعراء: ٤١ ـ ٥١.

اللّـه ﷻ مع خلقه.

٢ـ بيان قوله جلَّ قوله: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[1][2].

فـ: (النفر): إِشارة إِلى مرحلة الرُّواية ؛ والنقل الحسِّيّ ؛ وهو مُقدِّمة.

و (التَّفقُّه) ـ المُشار إِليه في بيان قوله جلَّ قوله: ﴿لِيَتَفَقَّهُوا﴾ ـ وهو: الفهم[3]: إِشارة إِلى الفهم العقلي لمضامين متون بيانات الوحي في المرحلة الثانية ، وهو: ذو المُقدِّمة ؛ والغاية الأَسْمَىٰ ؛ المُشار إِليها بلام الغاية:

---

(١) التوبة: ١٢٢.

(٢) **ينبغي الإِلتفات**: أَنَّ القرآن الكريم هو: دستور اللّـه الخالد ، لكنَّ دستوريَّته وخلوده ومُؤدَّاه وفائدته وخطره وعلومه وعقائده ومعارفه لا تختصُّ في هذه النَّشأَة الأَرضيَّة ، ولا يُخاطب به الجنّ والإِنس فحسب ، بل شاملة لجملة العوالم وكافَّة المخلوقات ؛ لأَنَّه من الدِّين ، وهو شامل للجميع ، ومِنْ ثَمَّ خطاباته الواردة بلسان: «يا أَيُّها الَّذين آمنوا» شاملةٌ لكافَّة المؤمنين ، منهم: جملة الملائكة عليهم السلام ، فلذا ورد في بيانات الوحي: «أَنَّ الملائكة ، منهم المُقَرَّبين ـ كـ: جبرئيل وإِسرافيل وميكائيل عليهم السلام ـ حينما ينزل وحي القرآن الكريم على سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله يتعلَّمون منه صلى الله عليه وآله ذلك القرآن المُنَزَّل».

(٣) **ينبغي الإِلتفات**: أَنَّ (الفهم): أَمرٌ غيبيٌّ ، صادر من عوالم غيبيَّة صاعدة ، تتحكَّم فيها طبقات حقائق أَهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة ، ومرتبتها فوق عَالَمَ الآخرة الأَبديَّة ، وهي فوق عَالَمَ السَّماوات السَّبع بعوالم ومراتب ، والكلُّ من عوالم الأَجسام.

﴿لِيَتَفَقَّهُوا﴾[1].

٣ـ بيان قوله جلَّ جلاله: ﴿إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾[2].

وتقريب الدلالة واضح ؛ فإنَّه مع عدم تماميَّة السَّند ونسبة الصُّدور ـ إذ بحسب ما فرضه بيان الآية الكريمة أَنَّه خبر فاسق ـ ، ومع عدم صحَّة طرحه ، أَو الأَخذ به بعناية هناك مسلك ثالث أَوصىٰ به بيان الآية الكريمة وأَوجبه ، وهو: (فحص المتن والمضمون ، والتَّبيُّن منه).

وهذه التَّوصية الوحيانيَّة دالَّة على أَنَّ الأَساس والعُمدة والرُّكن الرَّكين في حُجِّيَّة الخبر والأَخذ والعمل به هو: (تبيُّن المتن والمضمون).

---

(١) يجدر الإلتفات في المقام إلى الأُمور الأَربعة التَّالية:

الأَوَّل: أَنَّ المعرفة الإلٰهيَّة ناموس مُقدَّس ، والسعي إليها ناموس مُقَدَّس أَيضاً يقضُّ مضجع فِطَر المخلوقات.

الثَّاني: أَنَّ أَعظم نِعَم اللّٰـه الواردة في بيان قوله تعالىٰ: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [النحل: ١٨] النعم المعرفيَّة والمعنويَّة ، وليست البدَنيَّة.

الثَّالث: أَنَّ أخطر قلعة يغير عليها العدو: قلعة الفكر والرؤية العقائديَّة ؛ فإنَّ أَمكنه زحزحة المخلوق عن الورع في العقيدة فسوف يتنجَّس باطنه وظاهره بكُلِّ نجاسةٍ ورجاسةٍ. ثُمَّ إنَّ أَطهر الطهارات في التَّعَقُّل.

الرابع: أَنَّ التكليف في العوالم اللاحقة لا ينقطع ، بل يزداد ويشتدُّ ، وهو شامل لكافَّة المخلوقات.

(٢) الحجرات: ٦.

نعم ، السَّند المُعتبر معاضد لحُجِّيَّة الخبر ، لكنَّ الرُّكن الرَّكين والعُمدة فيها هو: (حُجِّيَّة المتن والمضمون).

٤ـ بيان قوله جلَّ وعلا: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[1].

ودلالته واضحة ؛ فإنَّ مضمونه نفس مضمون بيان أَمير المؤمنين (صلوات اللّـه عليه): «**خُذِ الحِكْمَةَ مِمَّن أَتاك بها ، وانظر إلى ما قال ، ولا تنظر إلى مَنْ قال**»[2] ؛ فإنَّ الأَساس ينبغي أَنْ يكون النَّظر إلى المتن والمضمون.

٥ـ بيان قوله علا ذكره: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾[3].

فإنَّه برهانٌ وحيانيٌّ دالٌّ أَيضاً على أَنَّ المركز وقطب مرجعيَّة الفقيه والباحث والمُستنبِط وطالب الحقيقة ينبغي أَنْ يكون نظره إلى المتن والمضمون ؛ فإنَّ المُحكمات صارت كذلك ليس من جهة سندها وصدورها، وإنَّما من جهة متنها ومضمونها.

---

(١) الزمر: ١٧ ـ ١٨.

(٢) غرر الحكم ، ١: ٣٩٤. ميزان الحكمة ، ٦: ٤٨٥. كنزل العمَّال / ٤٢٢١٨.

(٣) آل عمران: ٧.

وهذا البيان الوحيانيُّ من البيانات والبراهين القرآنيَّة العظيمة المُبيِّنة لهذا المنهج المعرفيّ الخطير والدالَّة عليه.

٦ـ بيان خطبة سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله: «**نضّر اللّـه عبداً سمع مقالتي فوعاها ؛ وبَلَّغها مَنْ لم يسمعها ، فكم من حامل فقه غير فقيه ، وكم من حامل فقه إِلى من هو أَفقه منه ...**»[١].

٧ـ بيان أَمير المؤمنين عليه السلام: «**همَّة السفهاء الرواية ، وهمَّة العلماء الدراية**»[٢].

ودلالته ـ كدلالة سابقه ـ واضحة ؛ فإِنَّ المراد من عنوان: (السُّفهاء) المأخوذ في هذا البيان الإِلٰهيّ الشَّريف: مَنْ يتعامل مع بيانات الوحي بسطحيَّة وعدم رشد ، وعدم غور ، فيقتصر على صدور الرُّواية وأَلفاظها.

٨ ـ بيانه عليه السلام أَيضاً: «**عليكم بالدرايات لا بالروايات**»[٣].

٩ـ بيانه عليه السلام أَيضاً: «**اعقلوا الخبر إِذا سمعتموه عقل رعاية لا عقل رواية ؛ فإِنَّ رواة العلم كثير ورعاته قليل**»[٤].

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢: ١٤٨/ح٢٢.

(٢) المصدر نفسه: ١٦٠/ح١٣.

(٣) المصدر نفسه /ح١٢.

(٤) المصدر نفسه: ١٦١/ح٢١.

١٠ـ بيانه عليه السلام أَيضاً: «... **وتركك حديثاً لم تروه خير من روايتكَ حديثاً لم تحصه ، إِنَّ على كُلِّ حَقٍّ حقيقة ، وعلى كُلِّ صوابٍ نوراً ، فما وافق كتاب اللّٰـه فخذوا به وما خالف كتاب اللّٰـه فدعوه**»[١].

١١ـ بيان الإِمام الباقر مُخاطباً ولده الإِمام الصَّادق عليهما السلام: « **يا بُنَيَّ ، اعرف منازل الشيعة على قدر روايتهم ومعرفتهم ؛ فإِنَّ المعرفة هي الدراية للرُّواية ، وبالدرايات للرُّوايات يعلو المؤمن إِلى أَقصى درجات الإِيمان ، إِنِّي نظرتُ في كتابٍ لِعَلِيٍّ عليه السلام فوجدتُ في الكتاب: أَنَّ قيمة كُلّ امرئٍ وقدره معرفته ، إِنَّ اللّٰـه تبارك وتعالىٰ يُحاسب النَّاس على قدر ما آتاهم من العقول في دار الدُّنيا**»[٢].

١٢ـ بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام: «**رواة الكتاب كثير ، ورعاته قليل ، فكم من مستنصحٍ للحديث مستغش للكتاب ، والعلماءُ تحزنهم الدراية ، والجهَّال تحزنهم الرواية**»[٣].

١٣ـ بيانه عليه السلام أَيضاً: «**حديث تدريه خير من أَلفٍ ترويه ، ولا يكون الرَّجُل منكم فقيهاً حتَّىٰ يعرف معاريض كلامنا ...**»[٤].

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢: ١٦٥/ح٢٥.

(٢) المصدر نفسه: ١٨٤/ح٤.

(٣) المصدر نفسه: ١٦١/ح١٤.

(٤) المصدر نفسه: ١٨٤/ح٥.

ودلالته ـ كدلالة سوابقه ـ واضحة على ضرورة الدراية بمتن ومضمون الرُّواية ، وعدم صحَّة واعتبار وحُجِّيَّة منهج الإِقتصار على مُجَرَّد الرُّواية.

عصارة ما تقدَّم

والخلاصة: أَنَّ الأَصل في لغة أَبواب المعارف الإِلٰهيَّة ومعادلاتها وقوانينها هي: (اللغة العقليَّة) ، فالمُخَاطَب الأَصل والتِّلميذ الأَوَّل للمُعَلِّم الإِلٰهي هو: (العقل) ، وليس الإِنسان بقوَّة بدنه ، أَو بغرائزه ، أَو بِقُوَّة حِسِّه ، أَو بِقُوَّة خياله ، أَو بِقُوَّةِ نفسه ، وإِنَّما بقواه الصَّاعدة كالعقل.

ولا قوامة للتَّعليم والعلم إِلَّا بِمُعَلِّمٍ ومُتَعَلِّمٍ ، ولا يمكن بأَحدهما دون الآخر.

والمعلم الإِلٰهي ، هو : (الثقلان) : القرآن الكريم وأَهل البيت الأَطهار عليهم السلام، والمُتَعَلِّم هو: العقل. فالتفت واغتنم تربت يداك.

اللغَة والقراءة الثَّانية : (اللغَة والقراءة الذَّوقيَّة)

المنهج المعرفيُّ والعقائديُّ المختار في التَّعَامل والتَّعاطي مع بيانات الوحي الإِلٰهيّ الواردة في أَبواب المعارف الإِلٰهيَّة ؛ والمباحث العقائديَّة يشمل أَيضاً: اللغَة والقراءة الوجدانيَّة الذَّوقيَّة الـمُبَدَّهة ؛ الـمُتَّكئة على دائرة الوجدانيَّات الفطريَّة البديهيَّة ، وهي لاقطة فطريَّة أَودعتها يد السَّماء في دخيلة ذات جملة البشر ، ولها بالغ التَّأْثير في إِدراكات الفكر ؛ فتُعطي للفكر

مواد علميَّة يُتَرْجِمها بلغته ؛ كيما يفهمها الآخرون .

وإلى هذه اللغة أَشارت بيانات الوحي ، منها:

١ـ بيان قوله تعالىٰ: ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾(١) .

٢ـ بيان قوله جلَّ ثناؤه: ﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ﴾(٢).

٣ـ بيان قوله تقدَّس ذكره: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾(٣).

٤ـ بيان قوله جلَّ قدسه: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾(٤).

٥ـ بيان قوله تقدَّست أسماؤه: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾(٥).

---

(١) الأنعام: ١٢٥.

(٢) الصافات: ٣١.

(٣) آل عمران: ١٨٥.

(٤) الفرقان: ٦٣.

(٥) فُصِّلَت: ٣٤ ـ ٣٥.

٦ـ بيان قوله جلَّ قوله: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾[1].

٧ـ بيان قوله جلَّ اسمه: ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[2].

٨ـ بيان قوله جلَّ ذكره: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ * مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ * صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ * أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ * يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[3].

٩ـ بيان قوله جلَّ ثناؤه: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضْلِلْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ * وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ

---

(١) النازعات: ٤٠ ـ ٤١.

(٢) الأنعام: ٤٣.

(٣) البقرة: ١٦ ـ ٢٠.

﴿كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾[١].

١٠ـ بيان قوله جَلَّت آلاؤه: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[٢].

وغير ذلك من بيانات الوحي الإِلٰهيّ الوافرة الباهرة، الدَّالَّة على وجود حواس وسمع وقلب وبصر ورادار في دخيلة روح الإِنسان[٣]، تأتيه دائماً

---

(١) الأعراف: ١٧٨ ـ ١٧٩.

(٢) الحج: ٤٦.

(٣) يجدر صرف النظر في المقام إِلى التَّنبيهات التَّالية:

الأَوَّل: الثَّابت في بيانات الروايات المعرفيَّة: أَنَّ لكُلِّ إِنسانٍ ـ وهو يعيش في هذه النَّشَأة الأَرضيَّة أَو غيرها ـ أَبداناً يعيش بها في سائر العوالم والنَّشْآت، فالآن ونحن نعيش في هذه النَّشْأَة الأَرضيَّة وعَالَمَ الدُّنيا الأُوْلىٰ لنا ولوجوداتنا وحقائقنا أَبدان في سائر العوالم والنَّشْآت، فلنا بدن ـ الآن ـ في عَالَمَ البرزخ، وبدن آخر في عَالَمَ القيامة، وبدن ثالث في عَالَمَ الآخرة الأَبديَّة ـ إِمَّا موجود في الجنَّة أَو النَّار الأَبديَّتين ـ، وبدن رابع بعد عَالَمَ الآخرة الأَبديَّة، وهلمَّ جرّاً، وهذه الأَبدان موجودة الآن في طبقات ذواتنا وحقائقنا، ولكُلِّ طبقة ما يناسبها من تلك العوالم، لكن الإِنسان ـ وهو في هذه النَّشْأَة الأَرضيَّة ـ وبأَفعاله إِمَّا يعميها ويُشعلها بالنَّار، أَو يُبصرها ويجعلها في رغَدٍ من العيش.

وهذه لوحة عظيمة أَصحرت بها بيانات الوحي المعرفيَّة.

←

الثَّاني: الثَّابت في بيانات الروايات: أَنَّه قد يتعرَّف الإِنسان على بدن أَو إِثنان أَو ثلاثة من أَبدانه الخفيَّة ، لكن لا يمكنه التَّعَرُّف على جميعها وكُلّ ما في طبقات ذاته وحقيقته المترامية الأَطراف والطَّبقات.

الثَّالث: أَنَّ كُلَّ قوَّةٍ مِنْ قوىٰ الإِنسان الجوانحيَّة جوهر ، ولكُلِّ واحدةٍ منها حواسِّها الخاصَّة ؛ فلها نطق وسمع وبصر وشامَّة وذائقة ، ولها لغتها الخاصَّة في الحوار والحديث ، ولها لغتها الخاصَّة أَيضاً في الإِدراك ، تُدرك من خلالها الحقائق والأَعيان الخارجيَّة ، ولها تأَثُّر وتأثير.

الرَّابع: المنهاج في الأَعمال الجوانحيَّة أَعقد وَأَدقّ وَأَعظم من المنهاج في الأَعمال الجوارحيَّة ؛ فإِنَّه يحتاج إِلى مزيد علم ونور وإِيمان وعمل وتدبُّر.

الخامس: أَنَّ حقيقة الإِنسان الصَّاعدة بعدما كانت سرّاً خفيّاً فكيف للشخص التَّحَكُّم بمملكة نفسه وهو لا يعرفها. وَمِنْ ثَمَّ أَكبر خسارة يخسرها الشَّخص في نفسه إِنْ ظَنَّ أَنَّه قد أَحاط بنفسه ، وعرف تمام حقيقتها.

السَّادس: أَنَّ الإِنسان الكامل هو الَّذي لا تختلف أَقواله وَأَفعاله من بداية حياته إِلى آخرها. وَلَا يَتِمُّ ذلك إِلَّا في حَقِّ أَهل البيت (صلوات اللَّـه عليهم).

وهذا ما تُشير إِليه بيانات الوحي ، منها:

بيان زيارة أَمير المؤمنين (صلوات اللَّـه عليه) في عيد الغدير: «**فَمَا تَنَاقضت أَفعالُكَ ، ولا اختلفت أَقوالُكَ ، وَلَا تَقَلَّبَتْ أَحوالُكَ** ...». بحار الأَنوار ، ٩٧: ٣٦٢.

السَّابع: أَنَّه ليس للمخلوق المِكنة والقُدرة على تذوُّق وَإِبصار عَالَمَ المُجرَّدات إِلَّا بعد تخلُّصه من سجن الوهم والخيال ؛ وذلك من خلال تنشيط قواه الإِدراكيَّة الَّتي هي فوق عَالَمَ الوهم والخيال.

الثَّامن: أَنَّ التجرُّد ـ سواء أَكان في العَالَم الجسماني أَو المادِّي أَو الرُّوحي ، أَو كان وراء هذه العوالم ـ على أَنواعٍ وأَقسام. وَمِنْ ثَمَّ ينبغي للباحث أَنْ لا يغفل عن أَقسام التَّجَرُّد والتَّجريد.

التَّاسع: أَنَّه كثيراً ما يُذكر عنوان (التَّجرُّد) و(التَّجريد) في بيانات الوحي والبحوث المعرفيَّة البشريَّة ـ كالفلسفيَّة والكلاميَّة ـ ويُراد به التَّجَرُّد والتَّجريد النِّسبي ـ أَي: عن جسم أَو مادَّة خاصَّةٍ ـ دون التَّجَرُّد والتَّجريد التَّام عن مُطلق الجسميَّة والمادَّة.

العاشر: كُلَّمَا ازداد المخلوق لطافةً كُلَّمَا ازدادت نسبة قُربه إِلى ما دونه ؛ وازدادت هيمنته عليه ؛ وازداد نفوذه فيه ، وأَصبحت سوائيَّة ما دونه وجملة أَجزائه وَأَحواله وشراشره لديه واحدة.

الحادي عشر: كلَّمَا تكامل الإِنسان كُلَّمَا كانت الإِبتلاءات والفتن والإِمتحانات المُوَجَّهَة إِليه من ساحة القدس الإِلٰهيَّة والعوالم الصَّاعدة أَمَرُّ وَأَدهىٰ وَأَعظم خطراً ؛ يحتاج لتجاوزها إِلى تواضع وخضوع للساحة الإِلٰهيَّة أَشَدُّ وَأَعظم.

نظيره: إِمتحانات مراحل الدَّراسة الأَكاديميَّة ؛ فإِنَّه كُلَّمَا ترقَّىٰ طالبها وطوىٰ مراحلها كلَّمَا اشتدت المادَّة الإِمتحانيَّة دقَّة وصعوبة.

فيحتاج لتجاوزها إِلى تواضع وخضوع لساحة القدس الإِلٰهيَّة أَشَدُّ وأَعظم.

ومنه يتَّضح: نكتة وفلسفة كون سيِّد الأَنبياء ﷺ أَعبد جملة المخلوقات ؛ لأَنَّ ما يتمتَّع به ﷺ من مقامات مهولةٍ وجبارةٍ والَّتي لم ولن يتمتَّع بها مخلوق قَطُّ تحتاج إِلى ما يناسبها من تواضع وخضوع وعبوديَّة للباري ـ المُسَمَّىٰ ـ (تقدَّست أَسماؤه) ، والعبودية هي التَّوحيد ، والتَّوسُّل هو: أَعذب طرقها وَأَشرف أَذكارها.

الثَّاني عشر: أَنَّ هناك فارقاً مُهمّاً بين الإِنسان والملك ، حاصله: أَنَّ الإِنسان يُكابد امتحانات واختبارات وابتلاءات تولِّد له تكامل أَعظم من تكامل الملك.

الثَّامن: أَنَّ التجرُّد ـ سواء أَكان في العَالَم الجسماني أَو المادِّي أَو الرُّوحي ، أَو كان وراء هذه العوالم ـ على أَنواعٍ وأَقسام. وَمِنْ ثَمَّ ينبغي للباحث أَنْ لا يغفل عن أَقسام التَّجَرُّد والتَّجريد.

التَّاسع: أَنَّه كثيراً ما يُذكر عنوان (التَّجرُّد) و(التَّجريد) في بيانات الوحي والبحوث المعرفيَّة البشريَّة ـ كالفلسفيَّة والكلاميَّة ـ ويُراد به التَّجَرُّد والتَّجريد النِّسبي ـ أَي: عن جسم أَو مادَّة خاصَّةٍ ـ دون التَّجَرُّد والتَّجريد التَّام عن مُطلق الجسميَّة والمادَّة.

العاشر: كُلَّمَا ازداد المخلوق لطافةً كُلَّمَا ازدادت نسبة قُربه إِلى ما دونه ؛ وازدادت هيمنته عليه ؛ وازداد نفوذه فيه ، وأَصبحت سوائيَّة ما دونه وجملة أَجزائه وَأَحواله وشراشره لديه واحدة.

الحادي عشر: كلَّمَا تكامل الإِنسان كُلَّمَا كانت الإِبتلاءات والفتن والإِمتحانات المُوَجَّهَة إِليه من ساحة القدس الإِلٰهيَّة والعوالم الصَّاعدة أَمَرُّ وَأَدهىٰ وَأَعظم خطراً ؛ يحتاج لتجاوزها إِلى تواضع وخضوع للساحة الإِلٰهيَّة أَشَدُّ وَأَعظم.

نظيره: إِمتحانات مراحل الدَّراسة الأَكاديميَّة ؛ فإِنَّه كُلَّمَا ترقَّىٰ طالبها وطوىٰ مراحلها كلَّمَا اشتدت المادَّة الإِمتحانيَّة دقَّة وصعوبة.

فيحتاج لتجاوزها إِلى تواضع وخضوع لساحة القدس الإِلٰهيَّة أَشَدُّ وأَعظم.

ومنه يتَّضح: نكتة وفلسفة كون سيِّد الأَنبياء ﷺ أَعبد جملة المخلوقات ؛ لأَنَّ ما يتمتَّع به ﷺ من مقامات مهولةٍ وجبارةٍ والَّتي لم ولن يتمتَّع بها مخلوق قَطُّ تحتاج إِلى ما يناسبها من تواضع وخضوع وعبوديَّة للباري ـ المُسَمَّىٰ ـ (تقدَّست أَسماؤه) ، والعبودية هي التَّوحيد ، والتَّوسُّل هو: أَعذب طرقها وَأَشرف أَذكارها.

الثَّاني عشر: أَنَّ هناك فارقاً مُهمّاً بين الإِنسان والملك ، حاصله: أَنَّ الإِنسان يُكابد امتحانات واختبارات وابتلاءات تولِّد له تكامل أَعظم من تكامل الملك.

الثَّالث عشر: أَنَّ ما ورد في بيان سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله: «... **ولا يكون المؤمن عاقلاً حتَّى تجتمع فيه عشر خصال**: ... **يستكثر قليل الخير من غيره ، ويستقل كثير الخير من نفسه** ...» ـ بحار الأَنوار ، ١: ١٠٨/ ح٤ ـ برهان وحيانيّ دالٌّ على منهج تفكير ، وموازنة منهجيَّة في رسم الرُّؤية وطريق المسؤوليَّة ؛ كيما لا يأخذه الغرور والعجب والإِعجاب بنفسه ، فإِنَّها أَمراض معيقة من أَداء تكامل المسؤوليَّة ، وتكامل الأَداء وتطويره ، فإِنَّ المؤمن أَحياناً لا يقف عن المساهمة والعمل ، لكن تقف عجلة تطوره وتكامله فأَصل الحركة وازديادها ونُموِّها وسرعتها شيء ، والعجلة الموصلة للهدف شيء آخر ، والمطلوب في المشروع الإِلٰهيّ وخريطة المسؤوليَّة الإِلٰهيَّة ليس دوام المسير فحسب ، بل وبوجود عجلة التنامي ، فالقضيَّة ليست قضيَّة كثرة جهد بقدر ما هي كثرة: وعي ، ونفوذ ، وبصيرة ، وهذا ما تشير إِليه بيانات الوحي الأُخرىٰ ، منها:

بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام: «**مَنْ استوىٰ يوماه فهو مغبون ، ومن كان آخر يومه شرّهما فهو ملعون ، ومن لم يعرف الزيادة في نفسه كان إِلى النقصان أَقرب ، ومن كان إِلى النقصان أَقرب فالموت خير له من الحياة**». بحار الأَنوار ، ٦٨: ١٧٣/ ح٥. أَمالي الصدوق: ٣٩٦. معاني الأَخبار: ٣٤٢.

فقوله (صلوات اللّـه عليه): «**مَنْ استوىٰ يوماه**» لا يختصُّ بالإِنجاز فحسب ، بل ويشمل معرفة نظريَّة التنظير ؛ ومعرفة التَّطبيق.

وبالجملة: قد تكون لدىٰ المؤمن حركة ونشاط في اليوم ، لكن قد لا توجد لديه عجلة ونمو.

إِذَنْ: لابُدَّ من وجود عجلة للمؤمن توصله للهدف ؛ كيما يتحقَّق لديه مُعدَّل تنامي في تحمُّل الوعي والمسؤوليَّة ، وإِلَّا فلن تكون لديه حالة إِسهام مصيري في المشروع الإِلٰهي.

ومنه تتَّضح: أَحوال أَصحاب أَهل البيت (صلوات اللَّـه عليهم) ، فمع أَنَّ جميعهم جنود مجنَّدة وأَعوان واتباع لأَهل البيت عليهم السلام ، لكن بينهم تفاوت في الرُّقي ، وذلك في كيفيَّة الإِسهام ؛ فسلمان الفارسي ـ مثلاً ـ لم يصل إِلى صخب سعد بن معاذ ، فإِنَّ لسعدٍ دوره العسكري والأَمني المُهمّ ، لكن لسلمان دور آخر خفيّ وأَخطر ، وهو في جانب العلم ، وبرمجة ويقظة البصيرة والفطنة والنباهة وعدم الإِنخداع ، ومعرفة منظومة المسار.

وعلى هذا قس حال المقداد ، فإِنَّ الثَّابت في بيانات الروايات الواردة في حقِّه: أَنَّ صلابته أَشَدُّ وأَقوىٰ وَأَكمل من صلابة سلمان ، وهذه ميزة لا يمكن التَّفريط بها.

وهكذا حال أبو ذر ؛ فإِنَّ الثَّابت في بيانات الروايات: أَنَّه صاحب تدبُّر وقوَّة فكريَّة تفوق ما يمتاز به سلمان والمقداد ، وهذه ميزة لا يمكن التَّفريط بها أَيضاً.

وبالجملة: كأَنَّ مجموع هذه البيانات الوحيانيَّة تريد أَنْ تقول: إِنْ أَردتُّم الصَّلابة فقدوتكم ليس سلمان ولا أَبا ذر ، بل المقداد ؛ فإِنَّه الأَعظم في هذا المجال ، وإِنْ أَردتُّم تفعيل القوَّة الفكريَّة والتدبُّر فقدوتكم ليس سلمان ولا المقداد ، بل أَبو ذر ؛ فإِنَّه الأَعظم في هذا المجال ، وإِنْ أَردتم جانب العلم وبرمجة ويقظة البصيرة والفطنة والنباهة وعدم الإنخداع ؛ ومعرفة منظومة المسار فقدوتكم ليس المقداد ولا أَبا ذر ، بل سلمان ؛ فإِنَّه الأَعظم في هذا المجال. وحيث إِنَّ نوعيَّة هذه الخصِّيصة والميزة هي الأَعظم كان سلمان مُتَقَدِّم على المقداد وأَبي ذر وسائر الصحابة ، لكن تقدُّمه هذا لا يعني أَنَّه كلُّ شيءٍ ، بل هناك أَدوار وأَوسمة ومناصب أُخرىٰ.

وعليه: فَمَنْ أَراد التَّكامل وتربية نفسه في مجالٍ فعليه أَنْ يعرف بـ: مَنْ ، وكيف ، وفي أَيِّ مجالٍ يقتدي ، وهذه عِبْرَة عظيمة ، وَمِنْ ثَمَّ على المؤمن في باب: (يقظة البصيرة والفطنة والنباهة وعدم الإِنخداع) أَنْ يكون قدوته سلمان ، وفي صلابة

نداءات ورسائل في حالة اليقظة والمنام ، فمَنْ لم يَصغِ إليها فهو أَصَمٌّ أَبْكَمٌ ، لا يُبصر ولا يَعْقِل.

هذا هو العلم الذَّوقيّ ، قد فَتَحَتهُ يد السَّماء لجملة البشر ، بل لِطُـرِّ المخلوقات. ولغته لغة ذوقيَّة تعود إلى الوجدان ، وهو يرجع إلى البديهيَّات ؛ الَّتي هي وحي إلٰهيٌّ مغروز في ذات الإنسان ؛ المشار إليه في بيانات الوحي ، منها:

بيان قوله جلَّ وعلا: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾(١) .(٢)

← الإيمان أَنْ يكون قدوته المُقداد ، وفي باب دوام انتاج الفكر لآليَّات المسير أَنْ يكون قدوته أَباذر.

وهذا باب مُتعدِّد ومفتوح وواسع ، لا يختصُّ بالبناء الفردي ، بل يشمل بناء المشروع وكيفيَّة تناميه.

(١) الروم: ٣٠.

(٢) **ينبغي الإلتفات**: أَنَّه تُعَبِّر بيانات القرآن الكريم أَحياناً ـ كهذا البيان الشَّريف ـ عن العلم الذوقي بـ: (الفطرة) ؛ وذلك إِنْ تعَلَّقَ ـ العلم الذوقي ـ بالبديهيَّات.

إِذَنْ: الفطرة عبارة عن دائرة البديهيَّات في العلم الذوقي. ←

ودلالته واضحة ؛ فإنَّه جيئ باسم الإشارة للبعيد مع قرب المشار إليه ؛ وذلك للدلالة على علو مقام الفطرة ، وهي: دين الله القيِّم ، المحتويَّة على أُصول وأُسس الدِّين: القرآن الكريم والسُّنَّة الشَّريفة ، غُرزت في دخيلة ذات الإنسان ، ومِنْ ثَمَّ أَحَد أَسماء القرآن الكريم: أَنَّه (ذكر).

فانظر: بيانات الوحي ، منها:

بيان قوله عزَّ اسمه: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾[1].

والذِّكْر والتَّذَكُّر: علم روحيّ ، قلبي ، وجدانيّ.

ومعناه: أَنَّ العلم البالغ والكامل هو: العلم الحضوري دون الحصولي.

خلافاً لِـمَا سار عليه الفلاسفة والمناطقة ؛ فإنَّهم قَصَرُوا العلم على الحصولي.

← وقد يُعَبَّر عن العلم الذوقي بـ: (المشاهدات) و (المكاشفات) و(العلم العياني) ؛ وذلك إنْ تعلَّق ـ العلم الذَّوقي ـ بنظريَّات بديهيَّة ، ومن ثَمَّ ـ العلم الذوقي ـ ليس هو عين الشيء ، وإنَّما ـ هو ـ تجليَّات عينيَّة تُدركها ذات الإنسان وروحه عياناً.

وبالجملة: أَنَّ لدىٰ الإنسان آليَّات إدراك وآليَّات ومراتب للعلم مُتعدِّدة نمط منها يُسَمَّىٰ: (ذوق) ، ونمط آخر يُسَمَّىٰ: (خيال) ، ونمط ثالث يُسَمَّىٰ: (وهم) ، ونمط رابع يُسَمَّىٰ: (حس) ، وهلُمَّ جرّاً.

(١) يس: ٦٩.

نعم ، العلم الحصولي مُقَدِّمة ومُعِد للعلم الحضوري.

وكثير من الأَفكار الَّتي تنقدح في دخيلة ذات الإِنسان على مدار السَّاعة[1] ليست حقيقتها فكرة ، بل صوت أَو رؤية بصريَّة روحيَّة.

---

(١) **ينبغي الِالتفات** في المقام إِلى الأُمور التَّالية:

الأَوَّل: أَنَّه يمكن للإِنسان وهو في هذه النَشْأَة الدُّنيويَّة الأَرضيَّة وحال يقظته تفعيل سمعه وسائر حواسِّه الخمس البرزخيَّة ، نعم ، عندما ينام تُفَعَّل تلك الحواس لديه تلقائيّاً.

بل يمكن للإِنسان في بعض أَنواع نومه ودرجاته تفعيل حواس بدنه الأُخروي ؛ وهو جسم لطيف أَلطف من الجسم البرزخي ، فإِن كان الشَّخص من أَهل الصَّلاح رأي وشمَّ ولمس وسمع وتذوَّقَ نعيم الجنَّة الأَبديَّة وما يجري فيها. وَإِنْ كان من أَهل الشقاء رأىٰ وشمَّ ولمس وسمع وتذوق جحيم النَّار الأَبديَّة وما يجري فيها من لسعات النيران وغيرها.

الثَّاني: أَنَّ النوم كنز ، واليقظة من النوم كنز آخر ، والذهاب من اليقظة إِلى النوم كنز ثالث من المعارف ، لكن لمن كانت له روح قوية.

وهذا ما تُشير إِليه بيانات الوحي ، منها:

١ـ بيان سيد الأَنبياء ﷺ: «... **لتموتن كما تنامون ، ولتبعثنَّ كما تستيقظون** ...». بحار الأَنوار ، ٧: ٤٧/ ح٣١. مناقب آل أَبي طالب ، ١: ٤٠ ـ ٤٤.

٢ـ بيان الإِمام الباقر عليه السلام ، قال: «**كان فيما وعظ به لقمان** عليه السلام **ابنه أَنْ قال: يا بُني ، إِنْ تك في شَكٍّ من الموت فارفع عن نفسكَ النوم ولن تستطيع ذلك ، وإِنْ كُنتَ في شَكٍّ من البعث فارفع عن نفسكَ الإِنتباه ولن تستطيع ذلك ، فإِنَّك إِذا فكَّرتَ في** ←

وهذه ليست نبوَّة ولا إِمامة ولا سفارة ، وإِنَّما طبيعة الإِنسان: مخلوق مَلَكُوتيّ ، يَتَمَتَّع بشبكات وتشجيرات أخطبوطيَّة مرتبطة بالمَلَكوت[1] ، تأتي من خلالها النداءات.

فلاحظ: بيانات الوحي ، منها:

بيان سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله المُشير لإِحداها ، عن أَمير المؤمنين عليه السلام ، قال: «سُئل مِمَّا خلق الله عز وجل العقل ، قال: **خلقه مَلَك ، له رؤوس بعدد الخلائق ، مَنْ خُلق ، ومَنْ يُخلق إلى يوم القيامة ، ولكُلِّ رأسٍ وجهٍ ، ولكُلّ آدميٍّ رأس من رؤوس العقل ، و اسم ذلك الإِنسان على وجه ذلك الرَّأس مكتوب ، وعلى كُلِّ وجه سترٍ مُلْقىٰ ، لا يُكشف ذلك الستر مِنْ ذلك الوجه حتَّىٰ يُولَد**

→ **هذا علمتَ أَنَّ نفسكَ بيد غيركَ ، وإِنَّما النوم بمنزلة الموت ، وإِنَّما اليقظة بعد النوم بمنزلة البعث بعد الموت**». بحار الأَنوار ، ٧: ٤٢/ ح١٣.

الثَّالث: أَنَّه بحسب ما يُستفاد من بيانات الوحي: أَنَّ الإِنسان حينما يستغرق في النَّوم يطوي الكواكب والمجرَّات ليصل إِلى السمآء الأُولىٰ ، بل والثَّانية والثَّالثة ، بل السَّابعة ، وهذا يتمَّ بحسب طبقات الأَرواح وقوَّتها ونورانيَّتها وتلألؤها ، بل بعض الأَرواح ـ سوآء أَكانت صالحة أَو طالحة ـ ترىٰ الجنَّة الأَبديَّة ، بل والنَّار الأَبَدِيَّة حقيقة.

(١) عَالَم الملكوت مخلوق من مخلوقات عَالَمَ الآخرة الأَبديَّة.

والسير والنظر فيه وسماعه ، ورؤية جهنَّم جميعها وظائف عروج مطلوبة من بني البشر وهم في دار الدُّنيا ، وَمَنْ لم يُحَقِّق ذلك فهو مُقَصِّر ومشغول بالمشاغبات الشَّيطانيَّة النَّازلة.

هذا المولود ، ويبلغ حَدّ الرِّجال ، أَوْ حَدّ النِّساء ، فإذا بَلَغَ كشف ذلك الستر ، فيقع في قلب هذا الإِنسان نور ، فيفهم الفريضة والسُّنَّة ، والجيِّد والرَّدي ، أَلَا ومثل العقل في القلب كمثلِ السِّراج في وسط البيت»[1].

ودلالته واضحة ، بعد الِالتفات: أَنَّ المراد من (القلب)[2] في المقام

---

(١) بحار الأَنوار ، ١: ٩٩/ ح١٤.

(٢) لا بأس في المقام بالِالتفات إلى الأُمور التَّالية:

الأَوَّل: يُطلق عنوان ولفظ: (القلب) في بيانات الوحي وعلوم المعارف على معانٍ وحقائقٍ مُتَعَدِّدة ، فيُطلق تارة على العضو الصنوبري ، ويُطلق أُخرىٰ على الرُّوح ، ويُطلق ثالثة على مراتب الرُّوح العُليا ـ مُقابل الغرائز في الأَرواح والنُّفوس النَّازلة، أَي: يُطلق على مرتبة من مراتب الرُّوح فوق العقل النَّظري ـ ، ويُطلق رابعة على طبقات أَعلىٰ في الرُّوح ، وهي: بدايات العقل العملي ، ويُطلق خامسة على العقل العملي ، ويُطلق سادسة على طبقات الرُّوح الصَّاعدة ، فوق العقل العملي.

وبعبارة أُخرىٰ: المراد من عنوان ولفظ (القلب) الوارد في بيانات الوحي وإِطلاقات أَصحاب المعارف غالباً ليس العضو الصنوبري المادِّي المعهود ، بل الرُّوح ، وحيث إِنَّها على مراتب وطبقات فيكون هذا الاستعمال على مراتب وطبقات أَيضاً.

وإِذا أُطلق ـ هذا العنوان ـ على العضو الصنوبري المادِّي المعهود ، فباعتبار أَنَّه آلة لتلك الحقيقة.

وبعبارة ثالثة: أَنَّ المراد من عنوان: (القلب) أَو (السِّرّ) أَو (الخفي) أَو (الأَخفىٰ) الواردة في بيانات الوحي المعرفيَّة: طبقات أَعماق ذات وحقيقة الإِنسان ←

← الصَّاعدة ، وهي مراتب من أَعالي طبقات الرُّوح والعقل العملي بتعبير بيانات الوحي المعرفيَّة.

وَسُمِّيَت الرُّوح والنَّفس بـ: (القلب) ؛ وذلك لتقلُّب أَحوالها.

ثُمَّ إِنَّ جميع مُسمَّيات هذه الإِطلاقات أَجسامٌ ، ولها حواسها ـ كما صرَّحَت بذلك بيانات الوحي ، فيكون مُسمَّىٰ القلب على كافَّة هذه الإِطلاقات جسم وله عين وسمع وسائر الحواس.

بعد الإِلتفات: أَنَّ الحواس بلحاظ ما فوقها تُسَمَّىٰ: (حواس) ، وبلحاظ ما دونها تُسَمَّىٰ: (قلب) أَو (بصر).

الثَّاني: أَنَّ ما ورد في بيان الحديث القدسي: «**لَمْ يسعني سمآئي ولا أَرضي ، ووسعني قلب عبدي المؤمن**». ـ بحار الأَنوار ، ٥٥: ٣٩ ـ برهانٌ وحيانيٌّ دالٌّ على أَنَّ قلب المؤمن وباطنه عَالَمعظيم ومهول جِدّاً ، أَوسع من السَّماوات والأَرضين ، وله قابليَّات وقوىٰ وطاقات مهولة جِدّاً تصل إِلى أَعماق خطيرة جِدّاً لتدرك آيات الله الكبرىٰ.

الثَّالث: أَنَّ أَخطر ما في الأَعمال البدنيَّة أَنَّها تُهيء الأَرضيَّة ؛ فإِنْ كانت تلك الأَعمال صالحة هيَّأت أَرضيَّة البناء الرُّوحي القلبي ، وَإِنْ كانت طالحة هيَّأت عدم القابليَّة الرُّوحيَّة والقلبيَّة.

الرَّابع: أَنَّ القلب ـ بإِطلاقاته المُتقدِّمة ـ إِذا ران فليس له دواء.

الخامس: حصل في العلم الحديث اكتشاف مذهل يرتبط بالقلب الصنوبري ، **حاصله**: أَنَّ في القلب الصنوبري خلايا أَعصاب أَضعاف ما في المخ.

والمراد من (الأَعصاب) في اللغة الحديثة: أَرواح وطاقات غير مرئيَّة مرتبطة بالرُّوح، وَمِنْ ثَمَّ لَا يُسمح في العلم الحديث لمن أَراد التَّخصُّص في علم الأَعصاب إِلَّا أَنْ يخوض في البُعد الفلسفي للرُّوح ، لأَنَّه ليس في الأَعصاب بُعداً بيولوجيّا ←

الوارد في بيانه ﷺ: «**ومثل العقل في القلب**»: الرُّوح[1] ، فيكون المعنىٰ:

← وكيميائيّاً فحسب ، وكذا ليس فيها بُعداً فسيولوجيّاً فقط ، بل كلاهما معاً. ومن ثَمَّ من يلتفت إِلى هذا المبحث فسيلتفت إِلى بحوث علميَّة ومعرفيَّة وروحيَّة كثيرة جِدّاً، منها: ما يرتبط بالسِّحر ، وما يرتبط بالتَّجرُّد والمشي على الماء ، أَو على الهواء ، وما يرتبط بملكوتيَّات عجيبة وغربية.

وهذه بحوث علميَّة ومعرفيَّة وروحيَّة ضروريَّة يُردُّ من خلالها على مُدَّعيات الوهابيَّة والسَّلَفيَّة ومَنْ جرىٰ على شاكلتهم كالحداثويِّين والماديِّين ، منها: قولهم: إِنَّه كيف يقف الإِنسان أَمام قبر وحجر وتراب ويتأَثَّر وينتفع به ، إِنَّ هذا لشيءٍ عجاب؟ !

والجواب: قد اِتَّضح ؛ فإِنَّه كيف لا يتأَثَّر وكيانه وبدنه مزدحم ومليء بالأَعصاب ، وهي منصَّات موج وبث حي غير مرئيٍّ على الرُّوح ، وطاعة الإِنسان ومعصيته وما يسمعه وما يتكلَّم به كُلّ ذلك وغيره يؤثِّر على روحه وقلبه وبدنه ، ويُؤثِر المرض والصحة والشفاء والعافية والحب والبغض والنقمة. وهذا مُقرَّرٌ في العلوم الحديثة.

إِذَنْ: هناك ارتباط وطيد ووثيق ـ عبر الأَرواح ، أَي: الأَعصاب غير المرئيَّة ـ بين القلب الصنوبري صاحب المادَّة الغليظة ، وبين القلب المُجرَّد عن المادَّة الغليظة ، وهو يُطلق على طبقات مُتَعدِّدة في الرُّوح.

(١) يجدر الِالتفات في المقام إِلى القضايا التَّالية:

الأُولَىٰ: أَنَّ عنوان (الرُّوح) يُطلق في بيانات الوحي وكتابات البشر المعرفية تارة على المخلوقات والوجودات النُّوريَّة المجرَّدَة عن الجسميَّة ، وأُخرىٰ على الأَجسام اللطيفة ؛ فالجسم اللَّطيف بالقياس إِلى الأَغلظ منه يُقال له: (روح) ، ومن ثَمَّ يُطلق عنوان (الرُّوح) على الملائكة والجن ، بل وعلى الشَّياطين ، فيقال لها: (أَرواح ←

شريرة) ، والمقصود: أَنَّها أَجسام لطيفة وغير مرئيَّة وشفَّافة بالقياس إِلى الأَغلظ منها ، ومن ثَمَّ يتمكَّن صاحب الجسم اللطيف ـ وعلى حسب القاعدة ـ النفوذ والتَّلَبُّس والسيطرة والتَّصَرُّف في الجسم الأَغلظ ؛ كتصرُّف الرُّوح في الجسد مع أَنَّ كُلّاً منهما جسم لكن الرُّوح أَلطف وأَشف من الجسد.

الثَّانية: أَنَّ المراد من العَالَمِ الرُّوحي الوارد في بيانات الوحي: جسم لطيف. ويُعَبَّر عنه في بيانات الوحي الأُخرىٰ بـ: (النُّور) ؛ لكون الطَّبقات النَّازلة تراه مُجَرَّداً تجرُّداً تامّاً ، وَأَفعاله دفعيَّة (كُنْ فَيَكُون).

الثَّالثة: أَنَّ كُلَّ طبقات الرُّوح عبارة عن أَجسام مُتصاعدة في اللطافة.

الرَّابعة: أَنَّ لذات وحقيقة الإِنسان طبقات من الأَجسام والأَرواح ، ولكلِّ قوَّة في هذه الطَّبقات روح ، فلقوَّة الحسِّ ـ مثلاً ـ روح حِسِيَّة غير مرئيَّة.

الخامسة: الثابت في بيانات روايات أَهل البيت (صلوات اللَّـه عليهم): أَنَّه توجد أَرواح ـ يعني: أَجسام لطيفة ـ فوق عَالَمِ العقل.

السَّادسة: أَنَّ للإِنسان أَرواحاً مُتعدِّدة ، والرُّوح الصَّاعدة تتصرَّف في الرُّوح النَّازلة، والنَّازلة تتصرَّف في البدن.

السَّابعة: أَنَّ الأَرواح ـ سوآء أَكانت في قوس النزول أَو في قوس الصُّعود ـ لابُدَّ أَن تتعلَّق بالأَجسام ، ومن ثَمَّ يُمكن فرض ارتباط الرُّوح العقليَّة فضلاً عن الرُّوح في درجاتها النَّازلة بالمادَّة الجسمانيَّة قبل عَالَمِ الأَرحام ، بل وقبل عَالَمِ الأَصلاب.

الثَّامنة: أَنَّ الطَّبقات العليا من الرُّوح مُجَرَّدة عن الزمان والمكان.

التَّاسعة: أَنَّ الأَرواح كُلَّما هبطت وانتقلت من عَالَمِ علويٍّ إِلى عَالَمِ سُفليٍّ كلَّما تكثَّرت ، وكُلَّما تصاعدت كُلَّما تجمَّعَت واندمجت.

العاشرة: الثَّابت في بيانات الوحي: أَنَّ للإِنسان قبل نشأة عَالَمَ الدُّنيا ـ إضافة لنشَآته الرُّوحيَّة ـ نَشَآت جسمانيَّة ظليّة نوريَّة ، وَمِنْ تلك الأَجسام: جسم عَالَمَ الذَّرّ ، وجسم عَالَمَ النُّور.

الحادية عشرة: أَنَّ الخلل الحاصل في طبقات حقيقة المخلوق العُليا تُسَبِّب تلقائيّاً زيغ وزلل وانحراف وتردِّي في طبقات حقيقته النَّازلة ، شعر بذلك المخلوق أَم لا.

الثَّانية عشرة: هناك نكتة مُهمَّة يجب الِالتفات إِليها ، حاصلها: أَنَّ طبيعة قوىٰ الإِنسان الإِدراكيَّة من حسٍّ وخيالٍ ووهمٍ وعقلٍ إِذا أَرادت إِدراك شيءٍ فتدركه من موقع استشراف وإِشراف وعلو ، هذه هي طبيعة الإِدراك ؛ فإِنَّها تقتضي تلقائيّاً هذه الرتبة والنِّسبة. وهذا ما يُشير إِليه بيان القاعدة المعرفيَّة الوحيانيَّة العقليَّة ، الواردة في بيانات الوحي ، وهي: «مَنْ وصف شيئاً بكُنهه كان أَعظم من الموصوف» ، وهي تنحل إِلى قاعدتين:

الأُوْلَىٰ: (مَنْ وصف شيئاً بكُنهه فقد أَحاط به).

الثَّانية: (مَنْ أحاط بشيءٍ كان أَعظم منه).

وهذه قاعدة عقليَّة جزلة وبديهيَّة غفل عنها أَصحاب المدارس البشريَّة ، منهم فلاسفة الشيعة.

الثَّالثة عشرة: أَنَّه مع كثرة طبقات الرُّوح ، وعظم التَّفاوت بين تلك الطَّبقات ومع كُلِّ هذا لا تخرج الرُّوح عن دائرة عَالَمَ الأَجسام اللطيفة والمُجرَّدة تجرُّداً نسبيّاً ، فالرُّوح جسم ، لكنَّه لطيف.

وهذا ما أَشارت إِليه بيانات الوحي ، بل صرَّح بعضها الآخر ، **فانظر**:

١ـ بيان الإِمام الباقر عليه السلام: «... **إِنَّ الرُّوح مُتَحَرِّك كالرِّيح ، وَإِنَّما سُمِّيَ روحاً ؛ لأَنَّه اشْتُقَّ اسمه من الرِّيح ، وَإِنَّما أَخرجه على لفظة الرُّوح ؛ لأَنَّ الروح مُجانس للرِّيح** ...». بحار الأَنوار ، ١٤: ١١ ـ ١٢/ ح٣.

٢ـ بيان الإمام الصَّادق عليه السلام: «... **والرُّوح جسم رقيق قد أُلبس قالباً كثيفاً** ...». بحار الأَنوار، ٦: ١٦/ ح٨. الاحتجاج، ٢: ٩٦.

ودلالتهما واضحة.

ثُمَّ إِنَّ من خواص اللطيف ـ وإِنْ كان من عوالم المخلوقات والأَجسام ـ: أَنَّه داخل في جميع شراشر وَجزئيَّات وذرَّات الأَغلظ؛ ومهيمن عليها لكن لا بالممازجة والمزاولة، وخارج عنها لكن لا بالمفارقة والمزايلة، فتكون جملة المخلوقات الأَغلظ حاضرة لديه في كينونة جغرافيَّة واحدة. وعليه: تكون طبقات الرُّوح والأَجسام النَّازلة حاضرة بحضورٍ واحدٍ؛ ولا تفاوت بينها؛ وفي كينونة جغرافيَّة واحدة عند طبقات الرُّوح والأَجسام اللطيفة الصَّاعدة، ومهيمنة عليها هيمنة اللطيف على الأَغلظ.

الرَّابعة عشرة: أَنَّ لِكُلِّ إِنسانٍ مفاتيح خاصَّة بروحه، بل أَرواحه، وليس بالضَّرورة انطباقها مع أَرواح الآخرين، فلكُلِّ روح اسم مُستخدم ورقم سرِّي إِذا عرفه الإِنسان تمكَّن بأسرع وقتٍ بلوغ المعالي الملكوتيَّة، والمُشكلة تكمن في عدم اكتشاف الإِنسان لهذا الاسم المُستخدم والرقم السِّرِّي.

وهذا ما تشير إِليه بيانات الوحي، منها:

بيان قوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة: ١٣].

الخامسة عشرة: أَنَّ للعقل العملي والقلب والسِّرِّ والخفي الأَخفىٰ ميدان، وهو عَالَمَ النَّفس والرُّوح، وهذه موجودات حيَّة وشاعرة، فلها حياة وشعور، وحركة وحيويَّة في عَالَمَ النَّفس والرُّوح، بل حياتها أَشدُّ من دون قياس من حياة الحيوان، وعملها ليس بالبهيمي كعمل الجوارح، وإِنَّما علمي معجون بالإِدراك والنُّور ←

والبصيرة والشُّعور والهواجس ، نعم ، لابُدَّ في المقام من مواكبة الأَعمال الرُّوحيَّة والجوانحيَّة للأَعمال البدنيَّة والجوارحيَّة ؛ فإِنَّ أَعمال هذه الطبقات نوع تربية وترويض للنَّفس والرُّوح والبدن.

السَّادسة عشرة: أَنَّ ما يأتي به العبد من أَعمال عباديَّة ـ كـ: الولاية ، والصَّلاة والنَّوافل ، والوضوء والأَغسال ، وسائر العبادات وَأَعمال الخير ـ أُمورٌ عظيمةٌ ، ورياضات تربويَّة للنَّفس والرُّوح نفيسة وخطيرة ومهولة جِدّاً ، تُعطي النَّفس والرُّوح جرعة وطاقة روحيَّة عظيمة وقويَّة جِدّاً ، وتنشئ في فاعلها موجودات جوهريَّة وصور نوريَّة ملكوتيَّة ومثاليَّة.

ومنه تَتَّضح: نكتة تأذِّي المُبتلىٰ بالصَّرع والسِّحر وَمَنْ مسَّته أَو تلبَّست به الموجودات الشريرة ـ كالشَّياطين ـ من وضوئه واغتساله الشَّرعي وسائر عبادته ؛ لأَنَّه يحصل ببركة هذه العبادات موجودات نوريَّة تنفذ في أَعماق المُتعبِّد تقوم بزحزحة تلك الموجودات الشريرة وإِزعاجها.

السَّابعة عشرة: أَنَّ للرُّوح حركةً وسيراً شفّافاً وطاقيّاً مهولاً جِدّاً ، تطوىٰ من خلاله مسافات مهولة وعظيمة جِدّاً.

فمثلاً: مَنْ التفت إِلى أَحد المعصومين عليهم السلام فذاك نحو تفكُّر وخاطرة فكريَّة يحصل من خلالها نوع إِرتباط وشعاع روحي بينه وبين ذلك المعصوم عليه السلام ، فإِذا اشتدَّ صار سيراً روحيّاً.

وكذا من التفت إِلى عَالَم الآخرة والجنَّة الأَبديَّة والحور العين أَو جهنَّم أَو البرزخ أَو أَحد الأَموات فسيحصل من خلال هذه الإِلتفاتة شعاع وحالة إِرتباط روحي ، فإِذا اشتدَّ صار سيراً روحيّاً.

وبالجملة: للرُّوح أَعمال عجيبة وغريبة وعظيمة ومهولة كثيرة جِدّاً ؛ بعدما كانت عَالَـماً باقياً وليس بمندثر.

الثَّامنة عشرة: أَنَّ عمىٰ البصيرة الوارد في بيانات الوحي ـ منها: بيان قوله عِزَّ قوله: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٢] ـ عذاب مورق وضاج مضجع فطرة المخلوق ؛ لأَنَّ فطرةَ كُلّ مخلوقٍ مشتاقة ومُنْشَدَّة إلى فسحة النُّور الأَزلي ، فإذا حُبست عاشت الظَّنك والضِّيق والظُّلمة ، وكانت عليها أَشَدُّ إيلاماً وعذاباً من نار جهنَّم الأَبديَّة ، وهذا ما تُشير إليه بيانات الوحي الأُخرىٰ ، منها:

بيان دعاء كميل لأَمير المؤمنين عليه السلام: «... **فَهَبْني يا إِلٰهي وَسَيِّدي صَبَرْتُ عَلَى عَذابِكَ ، فَكَيْفَ أَصْبِرُ عَلى فِراقِكَ؟ وَهَبْني صَبَرْتُ عَلَى حَرِّ نارِكَ فَكَيْفَ أَصْبِرُ عَنِ النَّظَرِ إِلى كَرامَتِكَ** ...». بحار الأَنوار ، ٦٧ : ١٩٦ .

ومعناه: أَنَّ النَّار المعنويَّة والمعرفيَّة الَّتي تطَّلع على الأَفئدة أَخطر من دون قياس من آلام جملة الآلام البدنيَّة ، كآلام نار الآخرة الأَبديَّة.

وبالجملة: الظلمة في الرُّوح إخماد نفس في عقر ذات المخلوق خطير جِدّاً.

التَّاسعة عشرة: أَنَّ أَوَّل ما يموت الميِّت يُعرج بروحه إلى السَّماوات ، بل وإلى الجنان إنْ كان مؤمناً ، وإلَّا فإلىٰ الجحيم ، وهذا العروج أَبهىٰ وأَزهىٰ للمؤمن من جنان عَالَم البرزخ ، وَأَمَرُّ وَأَخطر وأَدهىٰ لغير المؤمن من نيران عَالَم البرزخ.

ثُمَّ إنَّ هذا العروج من سمآء لأُخرىٰ لا يتمُّ إلَّا عبر أَبواب ، وهي: حُجج الله ، رأس هرمها طبقات حقائق أَهل البيت عليهم السلام لاسيما الصَّاعدة.

وهذا ما تشير إليه بيانات الوحي ، منها:

١ـ بيان قوله عَزَّ من قائل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأَعراف: ٤٠].

٢ـ بيان سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله: «... **أَوَ لَا أُنَبِّئكم بِأَسوأ حالاً من هذا؟** قالوا: بلى يا رسول الله ، قال: **رجل حضر الجهاد في سبيل الله فَقُتِلَ مُقْبِلاً غيرَ مُدْبِر والحور**

العين يطَّلِعْنَ إِليه ، وَخُزَّان الجنان يتطلَّعُون ورود روحه عليهم ، وَأَملاك الأَرض يتطلَّعُونَ نزول حور العين إِليه ، والملائكة وخزَّان الجنان فلا يأتونه. فتقول ملائكة الأَرض حوالي (حول خ. ل) ذلك المقتول: ما بال الحور العين لا ينزلن إِليه؟ وما بال خزَّان الجنان لا يردون عليه ، فينادون من فوق السَّمآء السَّابعة: يا أَيَّتُها الملائكة، انظروا إِلى آفاق السَّمآء ودوينها ، فينظرون فإذا توحيد هذا العبد وإيمانه برسول الله ﷺ وصلاته وزكاته وصدقته وأَعمال برّه كُلّها محبوسات دوين السَّمآء، قد طبَّقت آفاق السَّمآء كُلّها كالقافلة العظيمة ، قد ملأت ما بين أَقصىٰ المشارق والمغارب ومهابّ الشمال والجنوب ، تنادي أَملاك تلك الأَثقال الحاملون لها الواردون بها: ما بالنا لا تفتح لنا أَبواب السَّمآء لندخل إِليها بأَعمال هذا الشَّهيد؟ فيأمر الله بفتح أَبواب السَّمآء فتفتح ، ثُمَّ يُنادي: يا هؤلاء الملائكة أدخلوها إِنْ قدرتم ، فلا تقلّهم أَجنحتهم ولا يقدرون على الارتفاع بتلك الأَعمال ، فيقولون: يا ربَّنا ، لا نقدر على الارتفاع بهذه الأَعمال ، فيناديهم منادي ربّنا ﷻ: يا أَيُّها الملائكة لستم حمَّال هذه الأَثقال الصَّاعدين بها ، إِنَّ حملتها الصَّاعدين بها مطاياها الَّتي ترفعها إِلى دوين العرش ، ثُمَّ تقرّها في درجات الجنان. فيقول الملائكة: يا ربّنا ، ما مطاياها؟ فيقول الله تعالىٰ: وما الَّذي حملتم من عنده؟ فيقولون: توحيده لكَ ، وإِيمانه بنبيّك ، فيقول الله تعالىٰ: فمطاياها مُوالاة عَلِيّ ، أَخي نبيِّي ، وموالاة الأَئمَّة الطَّاهرين ، فإِنْ أَتت فهي الحاملة الرَّافعة الواضعة لها في الجنان ، فينظرون فإِذا الرَّجُل مع ما له من هذه الأَشياء ليس له موالاة عَلِيّ والطَّيبين من آله ومعاداة أَعدائهم ، فيقول الله تبارك وتعالىٰ للأَملاك الَّذين كانوا حامليها: اعتزلوا والحقوا بمراكزكم من ملكوتي ليأتيها من هو أَحقُّ بحملها ووضعها في موضع استحقاقها، فتلحق تلك الأَملاك بمراكزها المجعولة لها. ثُمَّ يُنادي منادي ربّنا ﷻ: يا أَيَّتُها الزبانية ، تناوليها وحطِّيها إِلى سواء الجحيم ؛ لأَنَّ صاحبها لم يجعل لها مطايا من موالاة عَلِيّ عليه السلام والطَّيبين من آله ، وقال: فتنادى تلك الأَملاك ، ويقلب الله تلك الأَثقال أَوزاراً وبلايا على باعثها ؛ لِـمَا فارقها عن مطاياها من موالاة

→ أَميرالمؤمنين عليه السلام، ونادت تلك الملائكة إلى مخالفته لِعَلِيّ عليه السلام وموالاته لأَعدائه ؛ فيُسَلِّطها الله عزوجل وهي في صورة الأُسود على تلك الأَعمال وهي كالغربان والقرقس (والقرقش خ. ل) ، فيخرج من أَفواه تلك الأُسود نيران تحرقها ولا يبقىٰ له عمل إِلَّا أُحبط ، ويبقىٰ عليه موالاته لأَعداء عَلِيّ عليه السلام وجحده ولايته فيقرّ ذلك في سواء الجحيم ، فإذا هو قد حبطت أَعماله وعظمت أَوزاره وأَثقاله ...». بحار الأَنوار ، ٢٧: ١٨٧ـ ١٩٠/ ح١٤٦. التفسير المنسوب إلى الإِمام العسكري عليه السلام: ٢٧ ـ ٢٩.

ودلالته ـ كدلالة سابقه ـ قد اِتَّضحت ؛ فإِنَّ من يُريد أَنْ تُفتح له ولمعارفه وعقائده وَأَفعاله أَبواب السَّمآوات والجنَّة الأَبديَّة فعليه:

أَوَّلاً: التَّصديق بحُجج الله. وَأَعظم الحُجَج الإِلٰهيَّة على الإِطلاق ما صرَّحت به بيانات الوحي ، وهي: طبقات حقائق أَهل البيت عليهم السلام لا سيما الصَّاعدة.

ثانياً: التواضع لهذه الحُجج الإِلٰهيَّة.

الموازاة في الأكوان

ثُمَّ إِنَّ علماء الفيزياء لا زالوا في بحثٍ عِلْمِيٍّ حثيث للوصول إلى كيفيَّة اِتِّصال العوالم الجسمانيَّة المختلفة اللطافة فيما بينها ، كاتِّصال السمآء الأُولىٰ في الثانية ، وهلمَّ جرّاً. ويُصطلح على اِتِّصال العوالم فيما بينها بـ: (الموازاة في الأَكوان) ؛ كون أَغلظ وكون أَلطف.

وهذه القضيَّة تأتي أَيضاً في حقِّ روح الإِنسان ؛ فإِنَّها بجميع طبقاتها المنتشرة في عوالم الخلقة واختلافها في اللطافة لا تخرج عن حيِّز الجسمانيَّة ، وَكُلُّ جسمٍ وفعلٍ جسمانيٍّ كثيف كان أَم لطيف يحتاج إِلى اِتِّصال بجسمٍ آخر.

العشرون: يعيش الكُفَّار في نشأتنا الأَرضيَّة هذه بدرجة من النُّور الرُّوحي المُفاض عليهم من نور حقيقة الإِمام الحُجَّة ابن الحسن عَجل الله تعالىٰ فرجه وأَنوار حقائق سائر أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) ، بل ومن أَنوار حقائق المؤمنين. ←

لكنَّهم يعيشوا غياهب الظلمات في نار جهنَّم ، بل وتشتدُّ عليهم ـ الظُّلمات ـ حتَّى يأنوا ويزعقوا ويزأروا منها ، وهي أَشَدُّ إِيلاماً من دون قياس من جملة الآم البدن.

بعد الإلتفات: أَنَّ النقص والعوار والعيب والمذمَّة والتَّقبيح والتَّقريع الرُّوحي أَشَدُّ من دون قياس من النقص والعوار والعيب والمذمَّة والتَّقبيح والتَّقريع البدني ، والقرحة في الرُّوح أَشَدُّ إِيلاماً من دون قياس أَيضاً من القرحة في البدن ؛ لأَن النَّقص والعوار والعيب والمذمَّة والتَّقبيح والتَّقريع والقرحة والقراح في الرُّوح ناشئة من أَصل وكبد الرُّوح ، وما يرتبط بالرُّوح يكون أَشَدُّ من دون قياس مِمَّا يرتبط بالبدن.

وَمِنْ ثَمَّ مَنْ يأتي من الكُفَّار ، بل والمسلمون من سكنة ديار الكفر لبلاد المسلمين يشعر بالارتياح النَّفسي والرُّوحي ، بل تتمتَّع وتستأنس من نور المؤمنين فضلاً عن أَنوار المعصومين عليهم السلام الشَّياطين والأَبالسة ، بل والمخالفين ، فلولا وجود المعصومين والمؤمنين في هذه النَّشْأَة الأَرضيَّة لاستوحش الثقلين ـ الجن والإِنس ـ وسائر مخلوقاتها وحشة شديدة ، وأَظلمت نفوسها وأَرواحها ، بل لَـمَا أَمكن لمخلوقٍ قَطُّ العيش فيها ، بل لولا المعصوم عليه السلام لِاكتأَبت نقوس وأَرواح المؤمنين ؛ منهم المُتقين وأَصحاب اليقين والأَبدال.

وهذا النُّور وإِنْ كان ضروريّاً لحياة المخلوقات ووجوداتها لكنَّها لا تحسّه بالحواس الظاهرة ، بل ـ تحسَّه ـ بالحواس الباطنة.

وإلى هذا تُشير بيانات الوحي ، منها:

بيان الإِمام الباقر عليه السلام ، عن أَبي خالد الكابُليِّ قال: «سألتُ أَبا جعفر عليه السلام عن قول الله عزوجل: ﴿**فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الذِي أَنزَلنَا**﴾ [التغابن: ٨] ، فقال: **يا أَبا خالد: النُّورُ والله الأَئِمَّةَ من آل مُحَمَّد** صلى الله عليه وآله **إِلى يوم القيامة ، وهم والله نُورُ الله الَّذِي أَنزَلَ ، وهم والله نُور الله في السَّماوات وفي الأَرض ، والله يا أَبا خالدٍ لنور الإِمام في قلوب المؤمنين أَنورُ من الشَّمس المُضِيئَة بالنَّهار ، وهم والله يُنوِّرُونَ قُلُوب المؤمنين ،**

→ **ويحجب اللهُ ﷻ نُورَهُم عَمَّن يشاءُ فَتُظْلَمُ قُلُوبُهُمْ** ...». بحار الأَنوار ، ١: ١٣٣/ح١.

الحادية والعشرون: أَنَّ ما ورد في بيان الإمام الصَّادق عليه السلام ، عن إِسحاق بن عَمَّار ، قال: «قُلْتُ لأَبي عبدالله عليه السلام: الرَّجُلُ آتيه وأُكَلِّمُهُ ببعض كَلامي فيعرفُهُ كُلَّهُ ، ومنهم مَنْ آتيه فأُكَلِّمُهُ بالكلام فَيَسْتَوفِي كَلامي كُلَّهُ ثُمَّ يَرُدُّه عَلَيَّ كَمَا كَلَّمتُهُ ، ومنهم مَنْ آتيه فأَكَلِّمُهُ فيقول: أَعِدْ عَلَيَّ؟! فقال: **يا إِسحاق! وَمَا تدري لِمَ هذا؟** قُلتُ: لا. قال: **الَّذي تُكَلِّمُهُ ببعض كلامِكَ فيعرِفُهُ كُلَّهُ فذاكَ مَنْ عُجِنَتْ نُطفَتُهُ بِعَقْلِهِ ، وأَمَّا الَّذي تُكَلِّمُهُ فيستوفي كلامَكَ ثُمَّ يُجيبُكَ على كلامِكَ ؛ فذاكَ الَّذي رُكِّبَ عقلُهُ فيه في بطن أُمِّه ، وأَمَّا الَّذِي تُكَلِّمُهُ بالكلام فيقول: أَعَدْ عَلَيَّ ، فذاكَ الَّذِي رُكِّبَ عقلُهُ فيه بعدما كَبِرَ ، فهو يقول لَكَ: أَعِدْ عَلَيَّ**» ـ أُصول الكافي ، ١: ٢٠ ـ ٢١/ح٢٧ ـ برهانٌ وحيانيٌّ دالٌّ على تكثُّر وتعدُّد الأَرواح قبل نَشَأة الأَرحام. وهذا ما صرَّحَت به بيانات الوحي ، منها:

١ـ بيان أَمير المؤمنين (صلوات اللّـه عليه): «... **الله خلق الأَرواح قبل الأَبدان بأَلفي عام ، فلَمَّا رَكَّبَ الأَرواح في أَبدانها كتب بين أَعينهم: كافر ومؤمن ، وما هم به مبتلين ، وما هم عليه من سيِّء عملهم وحسنه** ...». بحار الأَنوار ، ٢٤: ١٢٧/ح٧. الاختصاص: ٣٠٢.

٢ـ بيانه (صلوات الله عليه) أَيضاً: «... **إِنَّ الله خلق الأَرواح قبل الأَبدان بأَلفي عام وَأَسكنها الهواء ثُمَّ عرضها علينا أَهل البيت ، فوالله ، ما منها روح إِلَّا وقد عرفنا بدنه**...». بحار الأَنوار ، ٢٦: ١١٨ ـ ١١٩/ ح٤. بصائر الدرجات: ٢٥.

ودلالتهما واضحة.

بل بيانات الوحي الأُخرىٰ دالَّة على تكثُّرها في عَالَمَ الأَظلَّة ، وعَالَمَ النُّور ، وهو أَحد مراتب وطبقات حقيقة الإِنسان الصَّاعدة والمُجَرَّدة عن المادَّة الجسمانيَّة ، وهذه المرتبة أَعلىٰ من مرتبة العَالَمَ العقلي ، أَو عوالي من العَالَمَ العقلي. ←

← وإلى هذا تُشير بيانات الوحي ، منها:

أَوَّلاً: بيان قوله تعالىٰ: ﴿**اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾ [النور: ٣٥].

فإنَّه ورد في تفسير بيانات الوحي أنَّه وارد في حقائق أَصحاب الكساء الخمسة (صلوات اللّـه عليهم) في مرتبة عالم النُّور.

فانظر:

١ـ بيان الإمام الصَّادق عليه السلام ، عن الفضيل بن يسار ، قال: «قُلتُ لأَبِي عبدالله عليه السلام: ﴿**اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾ ، قال: **كذلك الله عز وجل** ، قال: قلتُ: ﴿**مَثَلُ نُورِهِ**﴾ ، قال لِي: **مُحَمَّد** صلى الله عليه وآله ، قلتُ: ﴿**كَمِشْكَاةٍ**﴾ ، قال: **صدر مُحَمَّد** صلى الله عليه وآله ، قلتُ: ﴿**فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ**﴾ ، قال: **فيه نور العلم يعني: النُّبوَّة** ، قلتُ: ﴿**الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ**﴾ ، قال: **علم رسول الله** صلى الله عليه وآله **صدر إلى قلب عَلِيّ** عليه السلام ... قلتُ: ﴿**يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ**﴾ قال: **ذاك أَمير المؤمنين عَلِيّ بن أَبي طالب** عليه السلام...». بحار الأَنوار ، ٤: ١٥ـ١٦/ ح٤.

٢ـ بيانه عليه السلام أَيضاً ، عن صالِح بن سهل الهمداني ، قال: «سمعتُ أَبا عبدالله عليه السلام يقول في قول الله عز وجل: ﴿**اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ**﴾ ، **فاطمة** عليها السلام ، ﴿**فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ**﴾: **الحسن** ، و﴿**الْمِصْبَاحُ**﴾: **الحسين** ...». بحار الأَنوار ، ٤: ١٩.

ثانياً: بيان الإمام مام الصَّادق عليه السلام: «**إِنَّ الله عز وجل آخىٰ بين الأَرواح في الأَظِلَّة قبل أَنْ يخلق الأَجساد بألفي عام ، فإِذا قام قائمنا أَهل البيت وَرَّثَ الأَخ الَّذي آخىٰ بينهما في** ←

«ومثل العقل في روح الإِنسان كمثل السراج في وسط البيت».

والمراد من (العقل): مخلوق ، مهول ، ومهيمن ، أَعظم رتبة ، وأَخطر هولاً ، وأَرفع درجة ومقاماً من عَالَم (الجنَّة الأَبديَّة) فضلاً عمَّا دونها من سماوات وغيرها.

وتمييز هذه النداءات الحقَّة عن غيرها الواردة من قوىٰ الشَّرِّ والنَّفس[1].....

← **الأَظِلَّة ولم يُوَرِّث الأَخ من الولادة»**. بحار الأَنوار ، ١٠١: ٣٦٧/ح٧. الهداية الكبرىٰ: ٨٧.

(١) يجدر الإِلتفات في المقام إِلى التَّنبيهات التالية:

الأَوَّل: أَنَّ ما ورد في بيان قوله تعالىٰ: ﴿**وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾ [الحشر: ١٩] برهانٌ وحياتيٌّ دالٌّ على أَنَّ نفس الإِنسان غير ذاته ؛ وإِلَّا كيف يحصل نسيانها.

ويمكن للشَّخص التَّعَرُّف على هذه البينونة والمغايرة والاثنينيَّة في دخيلة ذاته من خلال كبح نفسه ، أَو من خلال مراقبة حصول الحزن والفرح في دخيلة ذاته ، أَو الكبت والإِنشراح ، وما شاكلها من الحالات النَّفسيَّة ؛ فإِنَّها كاشفة عن تَعَدُّدِ قواه النَّفسانيَّة.

خطورة المشهد النَّفساني للإِنسان

ثُمَّ إِنَّه لو يترائىٰ المشهد النَّفساني للإِنسان لرأىٰ العجب العجاب ، فكلُّ حيوان في عَالَم الخلقة يجده مرآة لقوىٰ من قواه النَّفسانيَّة ، بل ما من صفة تتَّصف بها مُطلق الحيوانات إِلَّا وكان قِبَالها قوَّة من قواه النَّفسانيَّة ؛ تُمثِّل في ذاته عين تلك الصفة ، ←

بل لو انكشف للإِنسان ببصره البرزخي لشاهد نفس حقائق تلك الحيوانات مودعة في ذاته.

وإِلى كُلِّ هذا يُشير بيان الشعر المنسوب لأَمير المؤمنين (صلوات اللّـه عليه):

دواؤك فيـــكَ ومـــا تشـــعر ... وداؤك مِنْـــكَ وَمَـــا تُبْصِـــرُ
وَأَنْـــتَ الْكِتَـــاب المبـــين الَّـــذي ... بِأَحرفـــــه يظهـــــر الْمُضـــــمرُ
وتـــزعم أَنَّـــكَ جُـــرْمٌ صـــغير ... وفِيـــكَ انطَـــوىٰ العَـــالَمُ الأَكْـــبَرُ

الديوان المنسوب لأَمير المؤمنين عليه السلام، قافية (الراء): ٥٧.

الثَّاني: أَنَّ ما ورد في بيان سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله: «**مَنْ عرف نفسه فقد عرف ربَّه** ...» ـ بحار الأَنوار، ٢: ٣٢/ ح٢٢ ـ برهانٌ وحيانيٌّ دالٌّ على أَنَّ معرفة النَّفس لا تقف عند حدٍّ أَبداً؛ وذلك لأَنَّ سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله ربط معرفتها بمعرفة الله تعالىٰ، وحيث إِنَّ معرفته تقدَّس اسمه لا نهاية ولا حَدَّ لها أَبداً فكذا معرفة النَّفس.

وعليه: فينبغي للإِنسان دوام المراقبة؛ لزيادة معرفته بنفسه.

وَيُقال: إِنَّ أَحد الإِشارات الدَّالَّة على غموض معرفة النَّفس أَو الرُّوح ما ورد في بيان قوله جَلَّ قوله: ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا**﴾ [الإِسراء: ٨٥].

الثَّالث: أَنَّ ما ورد في بيان سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله ـ المُتقدِّم ـ: «**مَنْ عَرفَ نفسه فقد عَرفَ رَبَّه** ...» برهانٌ وحيانيٌّ علميٌّ وإِعجازيٌّ عظيم جِدّاً، دالٌّ على أَنَّ معرفة النَّفس وَأَفعالها مُهمَّة جِدّاً للوصول إِلى معرفة الله عزوجل والإِيمان به تعالىٰ، ومعرفة أُصول الدِّين والتَّوحيد والإِسلام والإِيمان.

الرَّابع: أَنَّ أَحد تفاسير بيان سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله: «**مَنْ عَرفَ نفسه فقد عَرفَ رَبَّه** ...» أَنَّ معرفة النَّفس تكون سبباً مُهمّاً وعظيماً وخطيراً لمواصلة صاحبها طريق معرفة ربَّه تبارك وتعالىٰ، وبالأَولىٰ تكون طريقاً لمعرفة نبيّه وإِمامه ومعاده.

← وهذه إحدىٰ حِكَم الباري ﷻ من خلقة حقيقة الإنسان ونفسه على طبقات.

الخامس: المراد من عنوان: (النَّفس) الوارد في بيان سيِّد الأَنبياء ﷺ: «**مَنْ عَرفَ نفسه فقد عَرفَ رَبَّه** ...» وما شاكله ليس من الضَّروري أَنْ يكون المراد منه ما يُقابل عنوان العقل ، بل المراد تمام ذات وحقيقة الإنسان بما فيها طبقة العقل.

السَّادس: أَنَّ الإطِّلاع الثقافي على باب النَّفس والنَّفسانيَّات والرُّوح والرّوحانيَّات ضرورة مُلِحَّة.

السَّابع: أَنَّ للنَّفس الإنسانيَّة القابليَّة والقدرة على ولوج الملكوت تلقائيّاً ، لكنَّ الباري ﷻ خلق إبليس والشَّياطين وسائر قوىٰ الشَّرّ وجهاته وجعلها سياج وحماية تكبح الأَنفس غير الطاهرة وتُعيق من أَراد ولوج الملكوت من دون طهارةٍ.

وهذه إحدىٰ الحِكَم وجهات الخير من خلقه جهات الشَّرِّ هذه.

وهذا ما تُشير إليه بيانات الوحي ، منها:

بيان قوله تقدَّس ذكره: ﴿**وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا**﴾ [الفرقان: ٢٩].

الثَّامن: أَنَّ مُقاومة النَّفس والهوىٰ وإِنْ كانت أَمراً صعباً ، لكن الأَصعب منها: الوعي في مقام التَّطبيق ، وهذا ما يُشير إليه اطلاق بيان قوله جلَّ قوله: ﴿**وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ**﴾ [الحاقة: ١٢].

وهذا يُدلِّل: أَنَّ دائرة المتشابه في علم الأَخلاق واسعة جِدّاً.

التَّاسع: أَنَّ نمط الحوار والكلام في الظَّاهر يعكس حركات القوىٰ النَّفسيَّة الباطنة؛ فالمجادلة الحادَّة والمراء وحبّ الظهور والوجاهة أَدلَّة دالَّة على أَنَّ البحث والحوار والسَّعي ليس علميّاً ، ودائماً إذا لم يكن السَّعي علميّاً تبرز وتتكرَّس فيه أَوصاف وقذارات الغرائز ، فيتبدَّل سعيه فيه من سعي علمي ومعرفي إلى سعي بهيمي ←

وشيطاني ، مع أَنَّه يحسَب سعيه وحركته علميَّة ومعرفيَّة وعقليَّة ، وهو ليس بعلميٍّ، بعدما كان مُنطلِقاً من العصبيَّة والغرائز النَّازلة والسَّافلة ويصبُّ فيها ويؤوب إِليها ، وإِذا استحكمت قوىٰ الغرائز النَّازلة كان الإِنسان لا حول ولا قوَّة له.

العاشر: أَنَّ ما ورد في بيانات الوحي منها:

١ـ بيان قوله تعالىٰ: ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإِسراء: ١٤].

٢ـ بيان الإِمام الكاظم (صلوات اللّٰـه عليه): «... **إِنَّ للّٰـه على النَّاس حُجَّتَين: حُجَّة ظاهرةً ، وحُجَّةً باطنة ، فأَمَّا الظَّاهِرَةُ فالرُّسُلُ والأَنبياءُ والأَئِمَّةُ عليهم السلام ، وأَمَّا الباطِنَةُ فالعُقُولُ** ...» ـ أُصول الكافي ، ١: ١٣ ـ ١٧/ ح١٢ـ براهينٌ وحيانيَّة دالَّة:

أَوَّلاً: على أَنَّ الشهود على الإِنسان في عَالَم القيامة لا تقتصر على جوارحه وَأَعضاء بدنه الواردة في بيانات الوحي الأُخرىٰ ، كبيان قوله عزَّ من قائل: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النور: ٢٤] ، وبيان قوله عزَّ قوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ ـ [فصلت: ٢٠ـ٢٢] ـ وإِنَّما تشمل أَيضاً جوانحه ؛ كقوَّة السَّمع ، وقوَّة البصر ـ وهما من قوىٰ الجواهر الرُّوحيَّة والنَّفسيَّة ـ ، وشهود من البدن الرُّوحي أَودعتها يد السَّاحة الإِلٰهيَّة المُقدَّسة كخوادم في دخيلة ذات الإِنسان ، لكن هذه الخوادم ستشهد على المخدوم في عَالَم القيامة ، بل وتشهد عليه أَيضاً نفسه وروحه وعقله.

ثانياً: أَنَّ حقيقة الإِنسان وراء هذه القوىٰ والجواهر ، ومن ثَمَّ حينما يتكلَّم عنها يقول: سمعي وبصري ونفسي وروحي وعقلي وقلبي.

وإِثنينيَّة الإِنسان وتعدُّد واختلاف أَصل ذاته عن جملة قواه وطبقات نفسه وروحه من المعاجز العلميَّة والمعرفيَّة ـ في علوم المعنويَّات والعلوم الروحيَّة ـ المختصَّة ببيانات الوحي ، بل إِلى الآن لم تتمكَّن الفلسفات البشريَّة والعرفان البشري تصوُّر هذه الأُطروحة والمعجزة الوحيانيَّة ـ والَّتي طُرحت في بيانات الوحي بلغات وبراهين وأَساليب مُتَعَدِّدة ـ ؛ لكونها خارجة عن مكنة وقدرة العقل البشري. وهذا أَحَد البراهين الدَّامغة على وحيانيَّة ما يصدر عن الثقلين.

الحادي عشر: أَنَّ النفوس في هذه النَّشْأَة الأَرضيَّة على مراتب ودرجات فبعضها مُفَعَّلَة وبعضها الآخر غير مفعَّلَة.

ثُمَّ إِنَّ قوَّة النُّفوس وفاعليَّتها ونشاطها على مراتب ودرجات أَيضاً ؛ فهناك نفس نباتيَّة ، ونفس حيوانيَّة ، ونفس جنِّيَّة ، ونفس ملكيَّة ، ونفس إِنسانيَّة. وكُلّ واحدةٍ من هذه النُّفوس على مراتب ودرجات أَيضاً ؛ فنفوس النباتات تختلف فيما بينها ؛ فبعضها لكثرة نباتيَّتها يراها النَّاظر كأَنَّها جامدة ، وبعضها الآخر لقلَّة نباتيَّتها تتمتَّع ببعض خواص الحيوانات كالإِفتراس.

وهكذا حال النَّفس الحيوانيَّة ؛ فبعضها لكثرة حيوانيَّتها تراها سبعيَّة أَو بهيميَّة ، وبعضها الآخر لقلَّة حيوانيَّتها تراها أَليفة أَو غير بهيميَّة ، بل تصل حالة بعضها ـ كالحيوان الَّذي يعيش في مَحَّار الصَّدَف ـ كأَنَّها نباتيَّة ، وهكذا النَّفس الإِنسانيَّة ؛ فإِنَّها من حيث التَّنشيط والقوَّة والفعليَّة ليست على وتيرة واحدة.

وعلى هذا قس نفوس الجنّ ، بل ونفوس الملائكة ، وحقيقة السَّماوات السَّبع والأَرضين السَّبع والجنَّة والنَّار وما شاكلها ، فإِنَّ جميعها أَجسام ؛ لتناهيها وشمولها بأَحكام الجسم العامَّة ، فتكون لها نفوس ، وهي على مراتب ودرجات ، وَأَجسامها أَجسام ملائكة ، ونفوسها المُتعلِّقة بتلك الأَجسام نفوس ملائكة.

مثاله: السَّماء الأُولىٰ ؛ فإِنَّها جسم ، وهي وإِنْ لم يمكن قياس مساحتها وعرضها وطولها وعمقها بقوَّة الحسِّ ، لكنَّ العقل يحكم بنهايتها وتناهيها ، وحينئذٍ تكون

لها نفس ، وحقيقة هذا الجسم وهذه النَّفس المُتعَلِّقة به هي بدن الملك إسماعيل المُوَكَّل بهذه السَّمآء ونفسه. وعلى هذا قس سائر السَّماوات والأَرضين ، بل الثابت في جملة من بيانات الوحي: أَنَّ لكُلِّ بقعةٍ من بقاع أَبدان الواحد منها نفس خاصَّة بِهِ.

نظيره: جسم الإِنسان ؛ فإِنَّ له نفس خاصَّة به ، ولكُلِّ عضو من أَعضائه نفس خاصَّة به أَيضاً ، فاليد ـ مثلاً ـ لها قوَّة نفسانيَّة ، بل نفس تُفَعِّلُها وتُحَرِّكُها ، ومجموع هذه القوىٰ والنُّفوس تُشَكِّل النَّفس المجموعيَّة للإِنسان.

نكتة تأليه المُشركين لآلهتهم

وهذه القضيَّة هي الَّتي أَغرَّت قدماء المُشركين ـ كعبدة الشَّمس والكواكب ـ وَأَوقعتهم في شراك الشرك والكفر والجهالة ، بعد إِدراكهم ـ عن طريق العلوم الرُّوحيَّة والفلسفيَّة ـ أَنَّ لهذه المخلوقات نفوساً وَأَرواحاً.

والإِغراء وقع في اتِّخاذها آلهة ، أَمَّا أَنَّ لها نفوساً وأَرواحاً فقضيَّة حقَّة ، بل ومُسلَّمة في بيانات الوحي والعلوم المعرفيَّة.

فانظر: بيانات الوحي ، منها:

١ـ بيان قوله جلَّ قوله: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإِسراء: ٤٤].

٢ـ بيان قوله عزَّ من قائل: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ * حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [فصلت: ١٩ـ٢١].

ودلالته ـ كدلالة سابقه ـ واضحة ؛ فإِنَّه لو لم تكن لهذه المخلوقات نفوسٌ وسمعٌ وبصرٌ وسائر الحواس ، وواعية وحيَّة وحاسَّة بما يحدث من حولها في هذه النَّشْأة

← الأَرضيَّة كيف أَدلَت بشهاداتها يوم القيامة على ما فعله أَصحابه في نَشْأتنا الأَرضيَّة هذه.

نعم ، هذه النُّفوس لم تُفَعَّل في هذه النَّشْأة ، وستُفَعَّل يوم القيامة.

٣ـ بيان سيِّد الأَنبياء ﷺ ، مخاطباً أَمير المؤمنين (صلوات اللّـه عليه) ، عن عمَّار ، قال: «... **يا عَلِيّ ، قم للشَّمس فكلِّمها ؛ فإِنَّها تُكلِّمكَ** ، فقام أَهل المسجد وقالوا: أَترى عين الشَّمس تُكلِّم عَلِيّاً؟! وقال بعضُ: (لا يزال خ. ل) يرفع حسيسة ابن عمِّه ويُنوِّه باسمه! إِذ خرج عَلِيّ عليه السلام فقال للشَّمس: **كيف أَصبحتِ يا خلق الله؟** فقالت: **بخير يا أَخا رسول الله ، يا أَوَّل يا آخر ، ياظاهر يا باطن ، يا مَنْ هو بكُلِّ شيءٍ عليم** ...». بحار الأَنوار ، ٤١: ١٨١/ ح١٧.

ودلالته قد اِتَّضحت ؛ فإِنَّه دالٌّ على أَنَّ للشَّمس نفس حيَّة وشاعرة ولها حواسِّها الخاصَّة ، لكنَّها لم تَكُنْ مُفَعَّلَة ، والإِعجاز تحقَّق في تفعيلها ببركة مخاطبة أَمير المؤمنين عليه السلام لها.

٤ـ بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام ، عن عبد الله بن سنان ، قال: «بينا نحن في الطواف إِذْ مَرَّ رَجُلٌ من آل عمر فأَخذ بيده رَجُلٌ فاستلم الحجر فانتهره وَأَغلظ له ، وقال له: بطل حَجُّكَ ؛ إِنَّ الَّذي تستلمه حجر لا يضرُّ ولا ينفع. فقلت لأَبي عبد الله عليه السلام: جُعِلْتُ فداك ، أَمَا سمعتَ قول العمري لهذا الَّذي استلم الحجر ... بطل حَجَّكَ ، إِنَّما هو حجر لا يضرُّ ولا ينفع! فقال أَبو عبدالله عليه السلام: **كذب ، ثُمَّ كذب ، ثُمَّ كذب، إِنَّ للحجر لساناً ذلقاً يوم القيامة ، يشهد لِـمَنْ وافاه بالموافاة** ...». بحار الأَنوار ، ٥: ٢٤٥ ـ ٢٤٦/ ح٣٥. علل الشرائع: ١٤٧.

٥ـ بيانه عليه السلام أَيضاً ، عن قبيصة بن يزيد الجعفيّ ، قال: «... قلتُ: أَين كنتم قبل أَنْ يخلق الله سماءً مبنيَّة وَأَرضاً مدحيَّة أَو ظلمة أَو نوراً؟ قال: **يا قبيصة ، لِمَ سألتنا عن هذا الحديث في هذا الوقت؟ أَمَا علمتَ أَنَّ حُبّنا قد اكتتم وبغضنا قد فشا ، وَأَنَّ لنا** ←

.... والشَّيطنة[١] [٢] والمشار إِليها في بيانات الوحي الإِلٰهيّ الأُخرىٰ ـ منها :

→ **أَعداءً من الجنِّ يُخرجون حديثنا إِلى أَعدائنا من الإِنس ، وأَنَّ الحيطان لها آذان كآذان النَّاس؟** ...». بحار الأَنوار ، ٧: ٢٠٣. تفسير فرات الكوفي ، ٢٠٧/ ح٨٩.

٦ـ بيان دعاء الإِمام زين العابدين عليه السلام عند مُخاطبته الهلال: «**أَيُّها الخَلق المطِيعُ ، الدَّائِب السَّريع ، المُتَرَدِّدُ في منازل التَّقدير ، المُتصرِّفُ في فَلَكِ التَّدبير.. في كُلِّ ذلك أَنْتَ له مُطيعٌ ، وإِلى إِرادتِهِ سَريعٌ** ...». بحار الأَنوار ، ٥٥: ١٧٨/ ح٣٦. أَمالي الطوسي ، ٢: ١٠٩.

ودلالته ـ كدلالة سوابقه ـ قد اِتَّضحت ؛ فإِنَّه عليه السلام لم يُخاطبه كجماد ، وإِنَّما صاحب حياة ونفس وشعور ، بل فوق الشُّعور. وهذا ليس من باب المجاز والإِدِّعاء ، بل حقيقة.

(١) **ينبغي الإِلتفات**: أَنَّ الإِنسان إِنْ لم يكن معصوماً فلا محالة: إِمَّا أَنْ تحصل له إِيحاءات شيطانيَّة أَو نفسانيَّة.

بل هناك مخلوقات غابيَّة حيوانيَّة من قوىٰ الشَّرِّ والضَّلال ، شرسة وكثيرة جِدّاً ، مغروزة في ذات الإِنسان ، تُؤثِّر على سيره النَّفسي والفكري والقلبي ، وهذا ما أَشارت إِليه بيانات الوحي ، منها: بيان (حديث جنود العقل والجهل) للإِمام الصَّادق عليه السلام ، فراجع إِنْ شئت ، أُصول الكافي ، ١: ١٧ـ١٨/ ح١٤.

(٢) يجدر صرف النَّظر في المقام إِلى القضايا التَّالية:

الأُولىٰ: ذُكِرَ أَنَّ بيانات أَهل البيت عليهم السلام معلومات وقضايا عن إِبليس (عليه اللَّعنة) وسائر الجنّ ، وعن جبرئيل عليه السلام وسائر الملائكة ، بل وعن سائر الأَنبياء عليهم السلام لم يشمَّ رائحتها قبل الإِفصاح عنها ـ في هذه البيانات الوحيانيَّة الشَّريفة ـ مخلوق قطُّ ؛ منهم نفس المُخبَر عنهم. ←

الثَّانية: أَنَّ لمعرفة الإِنسان بعَالَمَ الجنّ والشَّياطين والأَبالسة من خلال مراجعة بيانات الوحي بالغ الأَهميَّة والفائدة والتَّأثير في التَّكامل الروحي والخلقي والمعرفي والعقائدي ؛ لأَنَّ المذكور فيها خطوات وأَفعال تلك المخلوقات.

ومُشكلة الإِنسان أَنَّه يظنّ أَنَّ تعاطيه محصور بالمحسوس والمرئي فقط.

لكنَّ: الثَّابت في بيانات الوحي: أَنَّ الإِنسان وهو في هذا العَالَمَ وهذه النَّشْأَة الأَرضيَّة ـ كسائر العوالم والنَّشَآت المارّ بها ـ يتعاطىٰ مع أَهل السَّماوات والأَرضين والعوالم الصَّاعدة شعر بذلك أَم لا.

وبالجملة: لدىٰ الإِنسان وهو في هذا العَالَمَ وهذه النَشْأَة الأَرضية ، بل وفي جملة العوالم والنَّشَآت المارّ بها ارتباطات ـ ببركة أَبراج روحيَّة معنويّة ـ مع سائر عوالم الخلقة و مخلوقاتها ، وانفتاحه على عوالم جميع المخلوقات لا يتيسَّر له إِلَّا بعد إِطِّلاعه على بيانات الوحي المُتعرِّضة لذلك ، فإِنَّه سيجد أَنَّ تلك البيانات المعرفيَّة الشَّريفة تراث عظيم وخطير ومهول ، وجواهر ودرر مرصوصة تكشف عن شؤون وأَحوال المخلوقات وعوالمها غير المتناهية وارتباط الإِنسان بها وهو في عَالَمه ـ كعالم الدُّنيا الأُولَىٰ هذه ـ.

و من تلك البيانات الوحيانية :

١ـ بيان قوله تعالىٰ: ﴿فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النحل: ٦٣].

٢ـ بيان قوله عزَّ من قائل: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ﴾ [الأَنعام: ١٢١].

٣ـ بيان قوله جلَّ قوله: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ * تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ * يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢١ ـ ٢٢٣].

ودلالته ـ كدلالة سابقيه ـ واضحة على أَنَّ الإِنسان يتعاطىٰ ـ وهو في هذه النَّشْأَة الأَرضيَّة كحال سائر نَشَآته وعوالمه المارّ بها ـ مع مخلوقات خفيَّة ، مرتبطة معه بشبكات اتِّصالات وأَبراج نفسيَّة وروحيَّة معنويَّة ، شعر بذلك ـ الإنسان ـ أَم لا.

٤ـ بيان جواب سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله ، فإِنَّه: «سُئِلَ: مِمَّا خلق الله عزّ وجلّ العقل ؟ قال: **خلقه ملك له رؤوس بعدد الخلائق من خلق ومن يخلق إِلى يوم القيامة ، ولكلِّ رأسٍ وجهٍ ، ولكُلِّ آدميّ رأس من رؤوس العقل ، واسم ذلك الإِنسان على وجه ذلك الرأس مكتوب ، وعلى كُلِّ وجهٍ ستر ملقىٰ لا يُكشف ذلك الستر من ذلك الوجه حتَّى يُولَد هذا المولود ، ويبلغ حدّ الرِّجَال ، أَو حَدّ النِّساء ، فإِذا بلغ كُشِفَ ذلك السِّتر ، فيقع في قلب هذا الإِنسان نُور ، فيفهم الفريضة والسُّنَّة ، والجيِّد والرَّديّ ، أَلَا ومثل العقل في القلب كمثل السِّراج في وسط البيت**». بحار الأَنوار ، ١: ٩٩/ح١٤.

ودلالته قد اِتَّضحت.

٥ـ بيان أَمير المؤمنين عليه السلام ، عن الأَصبغ بن نباتة قال: «كُنتُ مع أَمير المؤمنين عليه السلام فَأَتاه رَجُلٌ فسلَّمَ عليه ، ثُمَّ قال: يا أَمير المؤمنين ، إِنِّي والله لأُحِبُّكَ في الله ، وَأُحِبُّكَ في السِّرِّ كما أُحِبُّكَ في العلانية ، وأُدين الله بولايتكَ في السِّرِّ كما أُدين بها في العلانية. وبيد أَمير المؤمنين عليه السلام عود فتطأطأ (فطأطأ خ. ل) به رأسه ثُمَّ نكت بعوده في الأَرض ساعة ثُمَّ رفع رأسه إِليه ، فقال: ... **وإِنَّ أَرواح المؤمنين تلتقي في الهواء فتشامّ ؛ فما تعارف منها ائتلف ، وتناكر منها اختلف ، ويحكَ! لقد كذبتَ ، فما أَعرف وجهكَ في الوجوه ، ولا اسمكَ في الأَسمآء**. قال: ثُمَّ دخل عليه آخر فقال: يا أَمير المؤمنين ، إِنِّي لأُحِبُّكَ في الله ، وَأُحِبُّكَ في السِّرِّ كما أُحِبُّكَ في العلانية ، وأُدين الله بولايتكَ في السِّرِّ كما أُدين الله بها في العلانية. قال: فنكت بعوده الثانية ثُمَّ رفع أسه إِليه فقال له: **صدقت ، إِنَّ طينتنا طينة مخزونة أخذ الله ميثاقها من صلب آدم**

← **فلم يشذ منها شاذّ ولا يدخل فيها داخل من غيرها ...**». بصائر الدرجات ، ٢: ٢٥٠ ـ ٢٥١/ ح١٣٩١ـ ٢. الاختصاص: ٣١١.

٦ـ بيان الإمام عَلِيّ بن الحسين عليهما السلام: «**إِنَّ في العرش تمثال جميع ما خلق الله**». بحار الأنوار ، ٥٥: ٣٦/ ح٥٨.

٧ـ بيان الإمام الباقر عليه السلام: «**ليس من يوم وليلة إِلَّا وجميع الجنّ والشَّياطين تزور أَئِمَّة الضَّلال ، ويزور أَئِمَّة الهدى عددهم من الملائكة حتَّى إِذا أَتت ليلة القدر فهبط (فيهبط) فيها من الملائكة إِلى أُولي الأَمر خلق الله ، أَو قال: قيَّض الله من الشَّياطين بعددهم ثُمَّ زاروا وليّ الضَّلالة فَأَتوه بالإِفك والكذب حتَّى لعلَّه يصبح فيقول: رأيتُ كذا وكذا ، فلو سُئِلَ وليّ الأَمر عن ذلك لقال: رأيت شيطاناً أَخبرك بكذا وكذا ...**». بحار الأَنوار ، ٦٣: ١٨٤. أُصول الكافي ، ١: ٢٥٣.

٨ـ بيان أَبو جعفر عليه السلام: «**إِنَّ الله خلق مُحَمَّداً وآل محمَّد صلى الله عليه وآله من طينة علِّيِّين ، وخلق قلوبهم من طينة فوق ذلك ، وخلق شيعتنا من طينة دون علِّيِّين ، وخلق قلوبهم من طينة علِّيِّين ، فقلوب شيعتنا من أَبدان آل مُحَمَّد ، وإِنَّ الله خلق عدو آل مُحَمَّد صلى الله عليه وآله من طينة سجِّين ، وخلق قلوبهم من طين أَخبث من ذلك ، وخلق شيعتهم من طين دون طين سجِّين ، وخلق قلوبهم من طين سجِّين فقلوبهم من أَبدان أُولئكَ ، وكُلُّ قلبٍ يحنُّ إِلى بدنه**». بحار الأَنوار ، ٢٥: ٨/ ح١٢. بصائر الدرجات: ٥.

٩ـ بيان الإمام الصَّادق عليه السلام: «**إِنَّ للقلب أُذنين فإِذا هَمَّ العبد بذنبٍ قال له روح الإِيمان: لا تفعل ، وقال له الشَّيطان: افعل ...**». بحار الأَنوار ، ٦٣: ٢٠٦/ ح٣٥. أُصول الكافي ، ٢: ٢٦٧.

١٠ـ بيانه عليه السلام أَيضاً ، عن أَبي عبد الرحمٰن قال: «قُلتُ لأَبي عبدالله عليه السلام: رُبَّما حزنت فلا أَعرف في أَهل ولا مال ولا ولد ، ورُبَّما فرحتُ فلا أَعرف في أَهل ولا مال ولا ولد ، فقال: **إِنَّه ليس من أَحَد إِلَّا ومعه مَلَك وشيطان ، فإِذا كان فرحه كان دنوّ المَلَك منه ، وإِذا كان حزنه كان دنوّ الشيطان منه ، وذلك قول الله تبارك وتعالى:** ←

﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٨]». بحار الأَنوار، ٦٣: ٢٠٥/ ح٣٣. علل الشرائع: ٤٢.

١١ـ بيانه عليه السلام أَيضاً: «**مَا مِنْ مؤمن إِلَّا ولقلبه أُذنان في جوفه: أُذن ينفث فيها الوسواس الخنَّاس، وأُذن ينفث فيها الملك، فيُؤيِّد الله المؤمن بالمَلَك، فذلك قوله: ﴿وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾** [المجادلة: ٢٢]». بحار الأَنوار، ٩٩: ٢٦٧.

١٢ـ بيانه عليه السلام أَيضاً: «**المؤمن أَخو المؤمن كالجسد الواحد إِنِ اشتكىٰ شيئاً وجد أَلم ذلك في سائر جسده، وإِنَّ روحهما من روح الله، وإِنَّ روح المؤمن لأَشدّ اِتِّصالاً بروح الله من اِتِّصال شعاع الشَّمس**». بحار الأَنوار، ٧١: ٢٧٧/ ح٩. الاختصاص: ٣٢.

ودلالة الجميع واضحة.

الثَّالثة: لو يُجمع في كتابٍ ما ذكرته بيانات أَهل البيت عليهم السلام في حقِّ إِبليس لكان كتاباً عظيماً جِدّاً، بل من أَهم الكُتُب العرفانيَّة، لكن عظمته لا لأَجل ـ أَعوذ بالله تعالىٰ ـ عظمة إِبليس ـ نعم هو عظيم في الشُّرور وفي جزاء جهنَّم ـ، بل لعظمة وخطر ما أَصحرت به بيانات أَهل البيت عليهم السلام ـ كبيان خطبة الصَّاعقة لأَمير المؤمنين (صلوات اللّـه عليه) ؛ فإِنَّ فيها عِبَراً من محنة إِبليس الَّتي زلَّ فيها عظيمة للأَصفياء ـ من حقائق مُذهلة جِدّاً تقِ مَنْ يطَّلع عليها ويُراقبها من الارتطام بالزَّيغ والزَّلل والإِنحراف والضَّلال في أَبواب وأَفعال الرياضات الروحيَّة وما شاكلها. والصراط المُستقيم والعاصم يكمن في التَّمسُّك بُمحكمات القرآن الكريم والسُّنَّة الشَّريفة.

الرَّابعة: الثابت في بيانات أَهل البيت عليهم السلام: أَنَّ دولة إِبليس أَعظم دول الشَّرِّ عُنفاً وعتوّاً، ودول شر البشر العظمىٰ صغار بالنِّسبة إِليها، بل هي المُحَرِّك لها، في قبال دولة خليفة الله ؛ بدءاً بدولة النَّبيّ آدم عليه السلام إِلى دولة سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله، ثُمَّ دول أَوصيائه (صلوات اللّـه عليهم) إِلى دولة خاتمهم عجَّلَ الله تعالىٰ فرجه.

ثُمَّ إِنَّ تجنيد دولة إِبليس يكون بطرق خفيَّة ومعلنة ، ولديها شبكة خطيرة ومذهلة لتجنيد المخلوقات لصالحها لا سيما المؤمنين ، أَو لتخذيلهم أَو إِعاقتهم ساعة بعد أُخرىٰ وَإِلهائهم وإِشغالهم عن الإِرتباط بمشروع الإِمام المهدي عجل الله تعالىٰ فرجه ؛ فإِنَّه يحتاج إِلى تجنيد دائم ودائب وعلى طبقات ، وترويض متواصل أَساسه وَأَوَّله: ذكره عجل الله تعالىٰ فرجه والإِستشعار به ، وعدم الغفلة أَو التَّغافل عنه (صلوات اللّـه عليه وعلى آبائه).

الخامسة: أَنَّ دولة إِبليس لا زالت قائمة ؛ وتعمل بفعَّاليَّة عالية ، بل إِلى أُخريات عَالَمَ الرَّجعة ، وكُلَّمَا تقدَّم بها العمر كُلَّمَا ازدادت خبرة وتضلُّعاً.

السَّادسة: أَنَّ كافَّة دول الشَّرِّ والباطل تابعة لدولة إِبليس (عليه اللعنة).

السَّابعة: أَنَّ الثَّابت في بيانات الوحي: (أَنَّ إِبليس كان يَصِل إِلَى السَّماء السَّابعة ، وفي بعضها الآخر: (أَنَّه كان قبل عصيانه وانحرافه يجول ويتعبَّد مع حملة العرش ، بل ومع الكروبيِّين في أَقطار أَرجاء العوالم).

الثَّامنة: هناك أَمواج وطاقات لدى الجنّ والأَبالسة يُوجِّهون بها غرائز الإِنسان النَّازلة.

التَّاسعة: أَنَّ كُلّ قوَّةٍ وغريزةٍ نفسانيَّة لدىٰ الإِنسان مرتبطة بعضو من أَعضاء بدنه ، فهناك تلازم طرديّ بين حالات النَّفس ، بل والرُّوح وحالات البدن.

العاشرة: أَنَّ ما ورد في بيان قوله تعالىٰ حكاية لقول إِبليس: ﴿**وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي**﴾ ـ [إِبراهيم: ٢٢] ـ برهانٌ وحيانيٌّ مُشير إِلىٰ أَنَّ شرَّ إِبليس ناشئ من هوىٰ النَّفس ، فهي الواعز والمُحرِّك نحو الشَّيطان ، فتألفه وتأنس به وبخطواته فتتبعه.

الحادية عشرة: من أَبحاث الفيزياء الحديثة فيزياء الجنّ ، والمراد منها: دراسة طبيعة أَجسامهم وحركاتها وسكناتها وتنقُّلاتها وارتباطاتها وما شاكل ذلك ، فهناك

قوانين فيزيائيَّة تحكمهم وتحكم أَجسامهم ، لكنَّها ليست فيزياء أَجسامنا المعهودة هذه ، بل فيزياء تناسب أَجسامهم ؛ فإِنَّ الثَّابت في علم الفيزياء: أَنَّ لكُلِّ جسم ولكُلِّ عَالَمَ جسمانيّ فيزيائه الخاصَّة به ، فعَالَمَ البرزخ ، وعَالَمَ السَّمآء الأُولىٰ والثانية وهلمَّ جرّاً إِلى عَالَمَ الآخرة الأَبديَّة ، بل وبعدها فيزيائه الخاصَّة به. بل الأَجسام الأَرضيَّة لكُلّ واحدٍ منها فيزيائه الخاصَّة به ، فالنانو ، والكوانتم ، والفيمتو ، والذَّرَّة ، والطاقات السَّابحة والمُتحرِّكة والمُتحكِّمة بأَجسام عَالَمَ الدُّنيا الأُولىٰ ونشأتنا الأَرضيَّة هذه لكُلٍّ منها فيزيائه الخاصَّة به.

وبالجملة: كُلُّ ما يُحيط بالإِنسان في هذه النَّشْأَة الأَرضيَّة من الأَشياء الخفيفة والثقيلة ، والسَّريعة والبطيئة ، والغليظة والكثيفة واللَّطيفة وما شاكلها ـ من أَحكام الجسمـانيَّات المُحيطة بمخلوقات هذه النَّشْأَة الأَرضية ـ له أَحكامه الفيزيائيَّة الخاصَّة به.

وعليه: فمن الخطأ الإِعتقاد أَنَّ للإِنسان فيزياء واحدة.

ومعناه: أَنَّ مبحث الأَجسام خطير جِدّاً في جملة عوالم وعلوم المعارف.

بعد الإِلتفات: أَنَّ علم الفيزياء علمٌ فطريٌّ في الإِنسان.

الثانية عشرة: ورد في بيانات الوحي: أَنَّ جنَّة الجنّ الصَّالحين دون جنَّة الإِنس ؛ لكون قدرة التَّفكير والمستوىٰ العقلي الَّذي يحمله الإِنسان أَعلىٰ شأناً وَأَشَدُّ خطراً من قدرة التَّفكير والمستوىٰ العقلي الَّذي يحمله الجنّ.

نعم ، هذه الجنَّة هي جنَّة فُسَّاق المؤمنين ؛ لكونَّهم حبسوا أَنفسهم على الملاذ الخياليَّة فتضعضعت درجتهم من جنَّة الإِنس إِلى جنَّة الجنِّ.

وهذا ما يوضِّح: كثير من نُكات بيانات الوحي ، منها:

١ـ بيان قوله عزَّ قوله المقتصّ لخبر إِبليس في بداية خلقة آدم عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قال فإِنكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ * إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ

الْمَعْلُومِ * قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ [ص: ٧٩ـ ٨٣].

ودلالته قد اِتَّضحت ؛ فإنَّ المُخلصين بعدما خلصوا وتخلَّصوا من عَالَمَ النَّفس ومشاغبات عَالَمَ الوهم والخيال ؛ وارتقوا إلى عَالَمَ العقل والنُّور والتَّوحيد والَّذي يستحيل على الأَبالسة الارتقاء والوصول إليه ؛ فاذعنوا وتيقَّنوا والتزموا بالحقيقة المُطلقة المشار إليها في بيانات الوحي ، منها: بيان قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ ـ [الأنعام: ٩٤] ـ ؛ فعرفوا أَنَّ الجاه والمنصب وكثرة العشيرة والأموال والأَولاد: ﴿كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ ـ [النور: ٣٩] ـ ، وعرفوا أَيضاً: أَنَّ أُفق نزعات النَّفس: عَالَمَ الوهم والخيال ، فحقائقه خياليَّة مثاليَّة محدودة ، بخلاف حقائق عَالَمَ العقل والنُّور ؛ فإنَّها غير محدودةٍ وغير متناهية ، وهذا ما لا يمكن للجنِّ والشَّياطين والأَبالسة الارتقاء والعروج إليه ، فإبليس استثنىٰ (عباد الله المُخلصين) من الإنس ؛ لكون ما وصلوا إليه وتشبَّثوا به من مراتب عَالَمَ العقل والنُّور خارج عن مكنته (عليه اللعنة) وقدرته.

٢ـ بيان قوله عزَّ من قائل: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ * وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ * إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾ [الشعراء: ٢١٠ ـ ٢١٢] .

ودلالته قد اِتَّضحت.

الثَّالثة عشرة: أَنَّ طبيعة الجنّ أَقوياء في عالم الخيال ، وَأَصحاب باع في الفنون ، وَمِنْ ثَمَّ استعان بهم النَّبي سليمان عليه السلام.

فانظر: بيانات الوحي ، منها:

١ـ بيان قوله جلَّ جلاله: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ﴾[1].

← بيان قوله ﷻ: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ * وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ﴾ [ص: ٣٦ـ٣٧].

ودلالته واضحة.

أَمَّا طبيعة الملائكة فإِنَّهم أَقوياء في البُعد القدسي التلألؤي العقلي ، نعم الملائكة المُقرَّبين عليهم السلام أَعظم باعاً من الجنِّ في عَالَمَ الفنِّ والخيال أَيضاً.

وهذا برهان دالٌّ على أَنَّ أَنواع المخلوقات على طبقات.

إِذَنْ: حركات الجنّ في عَالَمَ المثال وقدراتهم في عَالَمَ الخيال أَشَدُّ قوَّة من قدرات الإِنس ما عدا كُمَّل المخلوقات ـ الأَنبياء ، والأَوصياء ، والأَصفياء ، والأَولياء ـ فإِنَّهم الأَعظم قدرة.

لكن: مع كُلِّ هذا الإِنس أَشرف وَأَعظم ؛ لعظمة الجانب العقلي لديهم.

وبالجملة: تخصُّص الشَّياطين وسائر الجنّ يكمن في عَالَمَ الفنّ والخيال ، وبراعاتهم ومهاراتهم في هذا المجال تفوق براعات ومهارات سائر المخلوقات إِلَّا المعصوم عليه السلام ، ومن ثَمَّ استخدمهم النَّبي سليمان عليه السلام في الفنون المُحلَّلة ، وهي شاملة للعمارة والبناء والقواعد الرياضيَّة.

الرَّابعة عشرة: أَنَّ تطوُّر معلم الحضارة الفرعونيَّة ـ منها: بناء الاهرامات ـ تَمَّ من خلال استعمال السِّحر ؛ وبتوسُّط الشَّياطين والجنّ والإِنس ، فقدرة الشَّياطين والجنّ في عَالَمَ الفنّ وعَالَمَ الخيال أَعظم من قدرة سائر البشر عدا المعصوم عليه السلام ، ومن ثَمَّ استعملهم النَّبي سليمان عليه السلام.

(١) الأنعام: ١٢١.

٢ـ بيان قوله تعالىٰ ذكره: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾(١).

٣ـ بيان قوله تبارك وتعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾(٢).

٤ـ بيان قوله علا ذكره: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ * تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ * يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ﴾(٣).

٥ـ بيان قوله جلَّ ذكره: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾(٤) ـ(٥) يَتِمُّ مِنْ خلال العرض على مُحكمات القرآن الكريم ومُحكمات السُّنَّة الشَّريفة ؛ وعلى لغة بديهيَّات الوجدان ، ولغة الذَّوق ، ولغة بديهيَّات العقل.

---

(١) الأنعام: ١١٢.

(٢) مريم: ٨٣.

(٣) الشعراء: ٢٢١ ـ ٢٢٣.

(٤) ق: ١٦.

(٥) هذه الشَّارطة عدل للشَّارطة المُتقدِّمة قبل كلمة: (منها) ، فتكون العبارة هكذا: «وتمييز هذه النداءات الحقَّة عن غيرها الواردة مِنْ قوىٰ الشَّرِّ والنَّفس والشَّيطنة والـمشار إِليها في بيانات الوحي الإِلٰهيّ الأُخرىٰ يتمُّ مِنْ خلال العرض على مُحكمات ...».

إستنباطات أَهل المعرفة

ثُمَّ إِنَّه ينبغي الِالتفات: أَنَّ جُلَّ استنباطات أَهل المعرفة مبتنية على استنباطات ذوقيَّة وبالعلم الذَّوقي ، مستفادة من بيانات الوحي ، وليست متابعة لمكاشفاتهم ورياضاتهم الخاصَّة[1].

---

(١) يجدر الِالتفات في المقام إِلى الأَمرين التَّاليين:

الأَوَّل: أَنَّ الكثير من أَصحاب الرِّياضات الرُّوحيَّة ـ في بلاد الهند والصين وما شاكلهما ـ القدرة على قراءة الضمائر والخواطر ، والإِخبار عن مِلَفَّات أَعمال الإِنسان وما يجيش في دخيلته ، ولديهم القدرة أَيضاً على طي الأَرض والمشي على الماء ، بل وفي الهواء وما شاكل ذلك ، لكن هذه وأَشباهها ونظائرها وإِنْ كانت أَعمال خير ورحمة ، لكنَّها لا تكشف ولا تدلُّ على صلاح المرتاض ورِضَىٰ الباري ﷻ عنه ؛ لاحتمال أَنْ يكون ما مُتِّعَ به من باب الاستدراج.

فانظر: بيانات الوحي ، منها:

١ـ بيان قوله جلَّ قوله المقتص لخبر عرش بلقيس: ﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ * قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ * قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٣٨ـ٤٠].

٢ـ بيان قوله عزَّ من قائل: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ﴾ [الأَعراف: ١٥٥].

←

٣ـ بيان قوله عزَّ قوله: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه: ١٣١].

٤ـ بيان قوله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ٣].

ودلالة الجميع واضحة.

ثُمَّ إِنَّ رِضَىٰ الله تبارك وتعالىٰ: نظام منظومي طويل الذيل، وبعيد المدىٰ.

وهذا ما تُشير إِليه بيانات الوحي، منها:

أَوَّلاً: بيان قوله عزَّ ذكره: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ [الانشقاق: ٦].

ثانياً: بيان سيِّد الأَنبياء ﷺ في وصيَّته لأَمير المؤمنين (صلوات اللّـه عليه): «**يا عَلِـيّ، إِنَّ هذا الدِّين متين فأَوغل فيه برفق** ...». بحار الأَنوار، ٦٨: ٢١٣ ـ ٢١٤/ ح٨. الكافي، ٢: ٨٧.

كُلّ رياضةٍ لا ترتبط بالسَّاحة الإِلٰهيَّة فلابُدَّ من ارتباطها بالجنِّ والأَبالسة

الثَّاني: هناك ضابطة وقاعدة معرفيَّة مُسلَّمة، عظيمة وخطيرة جِدّاً أُشير إِليها في بيانات الوحي ينبغي صرف النَّظر إِليها، وهي: «أَنَّ كُلَّ رياضةٍ روحيَّةٍ لا ترتبط بالله ﷻ ولا برسوله ﷺ ولا بأَوليائه عليهم السلام فلابُدَّ من ارتباطها ـ تلقائيّاً ـ بالجنِّ والأَبالسة، بل بعموم القوى الشريرة».

ثُمَّ إِنَّ الرِّياضة الروحيَّة منهاج لقوىٰ النَّفس العمليَّة فإِذا لم يُميَّز المنهج العبادي المرتبط بالله تعالىٰ وبرسوله وسائر أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) فلابُدَّ من ارتطام السَّالك بمنزلقات خطيرة.

مراعاة القواعد المعرفيَّة

وينبغي الِالتفات أَيضاً: أَنَّ من الأُمور المعرفيَّة والصِّناعيَّة الَّتي يجدر صرف النَّظر إِليها في علم المعارف: أَنَّ القواعد المعرفيَّة المُبَيَّنة في بيانات أَهل البيت عليهم السلام ـ وهي: قواعد بلغة عقليَّة وذوقيَّة مُبَدَّهة ـ إِذا روعيت في مواطنها ومصاديقها، بل ومع قواعد أُخرىٰ فستكون النتائج لا محالة باهرة مذهلة.

عصارة ما تقدَّم في اللغة والقراءة الذَّوقيَّة

والخلاصة: أَنَّ العلم والعلوم على أَنواع وضروب، منها: (العلم الذَّوقي) وهو ـ وإِنْ كان على درجات، لكنَّه وبجميع درجاته ـ رؤية عيانيَّة وجدانيَّة للحقائق والواقعيَّات، ولا يمكن وصول المخلوق إلى أَعماق فهم الحقائق والواقعيات مِنْ دونه[1].

← **بعد الِالتفات**: أَنَّ لكُلِّ قوَّةٍ من قوىٰ النَّفس ـ سواء أَكانت علميَّة أَو روحيَّة أَو فكريَّة ـ مناهج سويَّة وهادية، ومناهج غويَّة ومردية. وهذه المناهج غالباً ما يتلبَّس الغوي منها بمنهج السَّوي؛ فيقع حينئذٍ الخلط والاشتباه.

بعد الِالتفات أَيضاً: أَنَّه من السَّهل تمييز طبيعة أَفعال الإِنسان الجليَّة والمحسوسة والمُعلنة، لكنَّه من الصَّعب بمكانٍ تمييز طبيعة أَفعاله الخفيَّة وغير المحسوسة، مع أَنَّ ارتباطه بهذا النحو أَكثر من ارتباطه بذلك النحو، لأَنَّ حركة وصدور الخفيَّة سريعة ومهولة جِدّاً فيصعب التَّحَكُّم فيها، ولا طريق للتَّحَكُّم فيها إِلَّا طريق ولغة المُراقبة والمُحاسبة. فلذا يجب على الإِنسان التَّركيز دائماً على قواه غير المرئيَّة.

(١) مرجع الضَّمير: (العلم الذَّوقي).

ومعناه: أَنَّ العلم الذَّوقيّ يُعطي فهماً غائراً وغائصاً.

لب لُباب ما ذكرناه في القراءتين

فتلخَّصَ مِنْ كُلِّ ما ذكرناه: إِنَّ البُعد والعمود الأَصل في بيانات الوحي المعرفيَّة ـ لا سيما العقائديَّة ـ هو البُعد: (العقلي) ، و(الفطري) ، و(التَّكوينيّ) ، ولغتها: (عقليَّة) ، و(فطريَّة) ، و(تكوينيَّة).

تنبيهات:

هناك أُمور وقضايا لتوضيح وتسهيل هضم ما تقدَّم ، منها: بيان بعض معالم حقيقة: العقل ، والفهم ، والذَّات وما يجول فيها ، نذكرها إِجمالاً[1] تحت عنوان: (تنبيهات) :

التَّنبيه الأَوَّل:

العقول مخلوقات جسمانيَّة لطيفة

هناك قضيَّة ضروريَّة جِدّاً ، ينبغي للباحث في أَبواب المعارف وغيرها تحسُّسها وتذوّقها ، لكنَّه يحتاج دهراً ، ومَنْ يدركها فقد عرج وارتقىٰ في سماء عَالَم المعارف غير المتناهية ، حاصلها: أَنَّ العقل: عَالَمٌ وملكٌ وروحٌ ومخلوقٌ مهولٌ[2] ، حيّ شاعر حسَّاس حيويٌّ ناطق ، مِنْ عَالَم الأَجسام ، لطيف ، له

(١) تفاصيل هذه الأَبحاث والتنبيهات تأتي (إِنْ شاء الله تعالىٰ) في أَبوابها الخاصَّة ، فانتظر.

(٢) يجدر الِالتفات إِلى الأُمور التَّالية:

←

مادَّة[1] وصورة ، قابل للتَّكامل ، ومُتَعَلِّق بجسم الطف من جسم الجنَّة

← **الأَوَّل**: أَنَّ المخلوقات لا تقتصر على المعهودة من الإِنس والجنِّ والملائكة والحيوانات والنباتات والجمادات ؛ فإِنَّ هناك مخلوقات أُخرىٰ كثيرة لم تكشف عن أَسمائها بيانات الوحي ، نعم كَنَّت عن بعضها كـ: (يأجوج ومأجوج).

وقد أَثبتت الفيزياء الحديثة كثير من الموجودات الدُّنيويَّة الأَرضية الخفيَّة ؛ الَّتي لم يحسّ ولم يشعر بها البشر في هذه النَّشْأَة الأَرضيَّة ، وعبَّرَ عنها أَصحاب علم الفيزياء بـ (الطَّاقات السَّابحة) ، وما اكتشفوه منها نزر يسير. وأَحد مهام هذه المخلوقات: إِدارة وتدبير نظام منظومة عالمنا ونشأتنا الأَرضيَّة هذه.

الثَّاني: أَنَّ للّٰـه ﷻ في كُلِّ عَالَمٍ من عوالم الخلقة غير المتناهية مخلوقات غير متناهية أَيضاً.

الثَّالث: أَنَّ هناك مخلوقات كثيرة غير مرئيَّةٍ لبني البشر والجنّ والملائكة ؛ فإِنَّ مصنع الله في الخلقة غير متناهٍ.

(١) **ينبغي الإِلتفات** إِلى القضيَّتين التَّاليتين:

الأُولىٰ: أَنَّ مصطلح وعنوان (المادَّة) يُطلق في العلوم العقلية ويُراد منه: جوهر مُتَّصف بأَبعاد الجسم الثلاثة ـ الطول والعرض والعمق ـ ، وحينئذٍ يكون قابلاً للإِنقسام ، فتكون له صورة.

ويُطلق في العلوم التجريبيَّة ويُراد منه: الطاقة المُتكثِّفة.

الثانية: المراد من المادَّة ـ سوآء أَكانت جسمانيَّة أَو غيرها ـ في المباحث العقليَّة: وجود قوَّة وقابليَّة على التَّكامل والنمو والتطوُّر والاشتداد الكمالي. ←

الأَبديَّة.

خلافاً لِـمَا ذهب إِليه ابن سينا ومن جرىٰ على شاكلته إِلى يومنا هذا ؛ فإِنَّهم ذهبوا إلى أَنَّه لاقطة معلومات ، ومرآة عاكسة وجامدة ليس إِلَّا ، ومن عَالَم الـمُجَرَّدات ، ليست فيه حركة وغير قابل للتَّكامل. لكنَّه مخالف لِـمَا صدعت به بيانات الوحي الوافرة الظافرة.

فلاحظ منها:

١ـ بيان سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله الْمُتَقَدِّم ، عن أَمير المؤمنين عليه السلام[١] ، قال: «أَنَّ النَّبيّ صلى الله عليه وآله سُئِلَ مِمَّا خلق الله عزوجل العقل ، قال: **خلقه مَلَك ، له رؤوس بعدد الخلائق ، مَنْ خُلق ، ومَنْ يُخلق إلى يوم القيامة** ...»[٢].

ودلالته واضحة ؛ على أَنَّ العقل من عَالَم الملائكة[٣] ـ لكنَّه أَعظم من

← **وعليه**: فالمادَّة الجوهريَّة لا تلازم الأَبعاد الجسمانيَّة ـ خلافاً لأَكثر الفلاسفة والْمُتكلِّمين ؛ فإِنَّهم بنوا على التَّلازم ـ ومن ثَمَّ يمكن تصوُّر مادَّة عقليَّة تتكامل من خلالها العوالم والنَّشآت قبل هذا العَالَم وبعده.

(١) **ينبغي الإِلتفات**: أَنَّه كلَّما أَتَىٰ أَهل البيت (صلوات اللَّـه عليهم) ببيان لسيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله فدليل على ضربٍ لقاعدةٍ معرفيَّةٍ وحيانيَّة مُهمَّة جِدّاً.

(٢) بحار الأَنوار ، ١: ٩٩/ ح١٤.

(٣) لا بأس بصرف النَّظر في المقام إِلى الأُمور التَّالية:

الأَوَّل: أَنَّ لِلْمَلَك جسم فيه روح وعقل. ←

الثَّاني: هناك فارق بين الإِنسان والمَلَك لا بأس بالإِلتفات إِليه ، حاصله: أَنَّ الإِنسان يُكابد امتحانات تولِّد له تكاملاً أَعظم من تكامل الملك ، بخلاف المَلَك ؛ فإِنَّه لا يُكابد تلك الامتحانات والإِبتلاءات.

الثَّالث: ظاهر كلام العلَّامَّة الطباطبائي في تفسير الميزان: أَنَّ علم الملائكة علم حضوريٌّ ، يعني: مفاهيم ومعاني فحسب. لكنَّه ارتطام بغفلةٍ ، ومخالفة لظاهر بيانات الوحي ، منها:

بيان قوله تعالىٰ: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: ٣١ـ٣٣].

فإِنَّ ما كتمته الملائكة توَهُّم خاطِئ ليس له واقعيَّة. ثُمَّ إِنَّ هناك خلافاً في قبول العلم الحضوري للخطأ ، فذهب المناطقة والفلاسفة والعرفاء والصوفيَّة إِلى عدم قبوله للخطأ.

الرَّابع: الثَّابت في بيانات الوحي: أَنَّ بني البشر كانوا يرون الملائكة إِلى زمان النَّبيّ إِبراهيم عليه السلام. بل الجنّ ترىٰ إِلى الآن بعض الملائكة.

الخامس: أَنَّ لدىٰ مُطلق البشر ـ مؤمنين كانوا أَم كفرة وملحدين ـ أَخذاً وعطاءً مع الملائكة وسائر مخلوقات العوالم ، شعر بذلك الإِنسان أَم لا ؛ بل ويُشاهدون على مدار السَّاعة جملة شؤونه وأَحواله وأَفعاله ومعارفه ومعتقداته وتُبثُّ عليهم بثّاً حيّاً. وطبقات باطن روحه والمُعبَّر عنها بـ: (العقل الباطن) تتعاطىٰ مع ملائكة السَّماوات والأَرضين وسائر مخلوقات تلك العوالم على مدار السَّاعة وفي كُلِّ آن ولحظة فيكون من الطبيعي مَنْ يتقن باب الملائكة وأَبواب سائر المخلوقات سيستفيد كثيراً في التَّكامل الرُّوحي والرُّؤية المعرفيَّة.

الملائكة الـمُقرَّبين كجبرئيل وإِسرافيل وميكائيل وعزرائيل عليهم السلام[1] ـ ، وهي مخلوقات: حيَّة شاعرة ، حسَّاسة ، حيويَّة ، ناطقة ، ومِنْ عَالَمِ الأَجسام اللَّطيفة ، لها مواد وصور ، فتكون قابلة للحركة والتَّكامل ، فكذا العقل.

← **لكن**: أَعرض عن هذه الأَبواب ـ رغم أَهميَّتها وعظيم وخطر فائدتها ـ وغفل أَو تغافل عنها جلَّ أَصحاب المدارس المعرفيَّة البشريَّة ـ كالفلاسفة والمُتكلِّمين والعرفاء ـ .

السَّادس: أَنَّ للملائكة آجال مُختلفة وليسوا على أَجَلٍ واحد.

وهذا ما تُشير إِليه بيانات الوحي ، منها:

بيان الحديث القدسي منضمّاً إِليه بيان سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله الوارد في حادثة مبيت أَمير المؤمنين في فراشه (صلوات اللّـه عليهما وعلى آلهما) ، قال: «**أَوصَىٰ الله إِلى جبرئيل وميكائيل: أَنِّي آخيتُ بينكما وجعلتُ عمر أَحدكما أَطول من عمر صاحبه ، فأَيُّكما يؤثر أَخاه ؟ فكلاهما كرها الموت** ...». بحار الأَنوار ، ٣٦: ٤٢ـ ٤٢/ ح٦. مناقب آل أَبي طالب ، ١: ٢٨٢ ـ ٢٨٣.

(١) إِنَّ معنىٰ اسم (إِسرافيل) في اللُّغة العبريَّة: عبد الله ؛ فإِنَّ: (اسرا) يعني: عبد ، و(فيل) يعني: الله.

ومعنىٰ اسم (جبرئيل) في اللُّغة العبريَّة أَيضاً: قوَّة وبطش الله تعالىٰ ؛ فإِنَّ معنىٰ: (جبرا) يعني: القوَّة والبطش ، ومعنىٰ (ئيل): الله.

ومعنىٰ اسم (ميكائيل) في اللُّغة العبريَّة أَيضاً: مكيال الله ؛ فإِنَّ معنىٰ (ميكا): المكيال ، ومعنىٰ (ئيل): الله.

ومعنىٰ اسم (عزرائيل) في اللُّغة العبريَّة أَيضاً: المهلك الله ؛ فإِنَّ معنىٰ (عزرا): المُهلك ، ومعنىٰ (ئيل): الله.

إِنْ قُلْتَ: إِنَّ الثَّابت لدىٰ أَهل المعقول: أَنَّ الملائكة مخلوقات مُجَرَّدة تَجَرُّداً تامّاً عن الجسميَّة ، والعقل بعدما وصفه سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله بأَنَّه: (ملك) فيكون مجرَّداً تَجَرُّداً تامّاً عن الجسميَّة أَيضاً ، فيبطل القياس ، وحينئذٍ لا يكون قابلاً للتَّكامل ؛ لِانتفاء الحركة والمادَّة.

قلتُ: إِنَّه وإِنْ كان الأَمر كذلك ، لكنَّ الثَّابت في بيانات الوحي الوافرة الباهرة: أَنَّ للملائكة مواد وأَبدان جُسْمَانيَّة ، لكنَّها لطيفة ومجرَّدة عن المادَّة الغليظة ، فتكون قابلة للحركة والتَّكامل على وفق القاعدة ، فكذا العقل.

فانظر: بيانات الوحي ، منها:

أَوَّلاً: بيان قوله جَلَّت آلاؤه: ﴿**جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ**﴾[1].

ثانياً: بيان حديث المعراج: « ... **أَتَىٰ جبرئيل عيناً فتوضأ منها ، ثُمَّ قال: يا محمَّد ، توضأ ، ثُمَّ قام جبرئيل فأَذَّنَ...** »[2].

ثالثاً: ما ورد عن ابن عبَّاس ، قال: « ... **كان جبرئيل** عليه السلام **جالساً عند النَّبيّ** صلى الله عليه وآله **عن يمينه إِذْ أَقبل أَمير المؤمنين** عليه السلام **فضحك جبرئيل** عليه السلام ... »[3].

---

(١) فاطر: ١.

(٢) بحار الأَنوار ، ١٨: ٣٩٤/ح٩٩.

(٣) المصدر نفسه ، ٣٩: ٩٨.

رابعاً: ما ورد عنه أَيضاً ، قال: «**المَلَك الَّذي جاء إِلى محمَّد ﷺ يخبره بقتل الحسين كان جبرئيل الرُّوح الأَمين ، منشور الأَجنحة ، باكياً صارخاً...**»[١].

ودلالة الجميع واضحة على أَنَّ الملائكة مِنْ عَالَمِ الأَجسام ، لها مادَّة تعرض عليها الحركة ، فتكون قابلة للتَّكامل.

بل نقل صاحب البحار ﷺ[٢] إِجماع الإِماميَّة ، بل جميع المسلمين ـ إِلَّا مَنْ شذَّ ـ على ذلك ، ونصُّ عبارته: « إِعلم أَنَّه أجمعت الإِماميَّة ، بل جميع المسلمين إِلَّا مَنْ شَذَّ منهم من المتفلسفين الَّذين أَدخلوا أَنفسهم بين المسلمين لتخريب أُصولهم ، وتضييع عقائدهم على وجود الملائكة ، وأَنَّهم أجسام لطيفة نورانيَّة ، أُوْلِي أَجنحة مَثْنَىٰ وثلاث ورُبَاع وأكثر ، قادرون على التَّشَكُّل بالأَشكال المختلفة ، وأَنَّه سبحانه يورد عليهم بقدرته ما يشاء من الأَشكال والصُّور على حسب الحكم والمصالح ، ولهم حركات صعوداً و هبوطاً ، وكانوا يراهم الأَنبياء والأَوصياء عليهم السلام ، والقول بتجرُّدهم وتأويلهم بالعقول

---

(١) بحار الأَنوار ، ٤٤: ٢٣٧/ ح٢٨.

(٢) لا بأس بالإِلتفات: أَنَّ المجلسي الابن صاحب كتاب البحار مع كونه طوداً ووتداً شامخاً ، ووفِّق لجمع تراث أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) ، لكن مَنْ يُدقِّق في جملةٍ من أَبحاثه فسيجد أَنَّه قد تورَّط ـ كغيره ـ بكلام البشر ، فانشغل بأَقوال الفلاسفة والمُتكلِّمين والمُفسِّرين ، وقصر بيانات الوحي وفهمها على وفق إِدراكات البشر وحبسها عليها. هذا هو حاله فما ظنُّكَ بمَن دونه ، فتأخذهم سكرة الجدال العلمي مع أُفق البشر لتصبح حجاباً مانعاً.

والنُّفوس الفلكيَّة ، والقوىٰ والطَّبائع ، وتأويل الآيات المتظافرة ، والأَخبار المتواترة تعويلاً على شُبُهَات واهية واستبعادات وهميَّة زيغ عن سبيل الهدىٰ ، واتّباع لأَهل الجهل والعمىٰ. قال المُحقِّق الدواني في شرح العقائد: الملائكة أَجسام لطيفة قادرة على التَّشَكُّلات المُختلفة . وقال شارح المقاصد: ظاهر الكتاب والسُّنَّة ـ وهو قول أَكثر الأُمَّة ـ أَنَّ الملائكة أَجسام لطيفة نورانيَّة ، قادرة على التَّشكُّلَات بأَشكال مختلفة. كاملة في العلم والقدرة على الأَفعال الشَّاقَّة. شأنها الطَّاعة... »[1].

٢ـ بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام: « **اعرفوا العقل وجنده ، والجهل وجنده تهتدوا ، ... إِنَّ الله عزوجل خلق العقل ، وهو أَوَّل خلق من الروحانيّين عن يمين العرش من نوره ، فقال له: أَدْبِرْ ، فأَدْبَرْ ، ثُمَّ قال له: أَقْبِلْ ، فأَقْبَلْ ، فقال الله تبارك وتعالىٰ: خلقتك خلقاً عظيماً ، وكرَّمْتُكَ على جميع خلقي** ... »[2].

ودلالته واضحة على أَنَّ العقل من عالم الأَرواح ، وهي أَجسام لطيفة.

فانظر: بيانات الوحي ، منها:

بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام: « ... **والرُّوح جسم رقيق ، قَدْ أُلبس قالباً كثيفاً**... »[3].

---

(١) بحار الأَنوار ، ٥٦: ٢٠٢ ـ ٢٠٣.

(٢) أُصول الكافي ، ١: ١٧/ ح١٤.

(٣) بحار الأَنوار ، ٦: ٢١٦/ ح٨. الاحتجاج ، ٢: ٩٦.

وبالجملة: ما ذكره الإمام الصَّادق عليه السلام في بيان حديث: (جنود العقل والجهل)[١] برهان وحيانيٌّ دالٌّ على معادلة وقاعدة معرفيَّة مستفيضة ، وردت في بيانات الوحي الباهرة ، مطويَّة فيها قواعد معرفيَّة كثيرة ؛ مهولة وخطيرة جِدّاً ، منها :

الأُوْلَىٰ: أَنَّ المراد من عنوان: (العقل) الوارد في بيانات الوحي والعلوم المعرفيَّة ليس الـمُـخ ؛ فإِنَّه آلة جسمانيَّة للعقل ، وإِنَّما مخلوق مهول ، ذو طبيعة ملائكيَّة.

الثَّانية: أَنَّ هناك عَالَمَاً وجوهراً عقليّاً أَلطف مِنْ عَالَمَ الجنَّة الجسمانيَّة الأُخرويَّة الأَبديَّة ، فضلاً عن ما دونها من عوالم الأَجسام والجنَّة البرزخيَّة.

فعَالَمَ الرَّوحانيِّين وإِنْ كان من عَالَمَ الأَجسام اللَّطيفة[٢] ، لكنَّه ملكوت

---

(١) **يجدر الإلتفات**:

أَوَّلاً: أَنَّ حديث: (جنود العقل والجهل) للإمام الصَّادق عليه السلام بيان لفلسفة تشريعات كثيرة ، فيصلح أَنْ يكون بياناً منظوميّاً كبيراً للفلسفة الأَخلاقيَّة في نظام الإِسلام ، ويصلح أَيضاً أَنْ يكون منظومة نظام مُتكامل لفلسفة تشريعات الواجبات والمُحرَّمات في مُطلق العبادات والمعاملات.

ثانياً: أَنَّ الموضة في الفلسفات والاطروحات الغربيَّة تحاول تجنيد جند العقل الجميلة الطبع لصالح الشَّرِّ وجنده ، وهذه مغالطة شنيعة وخطيرة.

(٢) **ينبغي الإلتفات**: إِنَّه وإِنْ لم تكن للعقل أَبعاد الجسم الثَّلاثة ـ الطول والعرض والعمق (الارتفاع) ـ لكنَّ له مادَّة لطيفة وصورة ، لكَّنها ليست صاحبة أَبعاد ←

وغيب لما دونه ، كعَالَمِ الجنَّة الجسمانيَّة الأُخرويَّة الأَبديَّة.

وهذا برهان دالٌّ على أَنَّ العوالم الجسمانيَّة من حيث اللَّطافة والقُوَّة على درجات ومراتب وطبقات إلى ما شاء الله.

الثَّالثة: أَنَّ عَالَمَ الرَّوحانيِّين لا يقتصر على عَالَمِ العقل ، نعم هو أَوَّلها.

الرَّابعة: أَنَّ العَالَمَ العقلي هو: أَوَّل الْعَوالِمِ الْمُجرَّدة عن المادَّة الغليظة.

عصارة ما تقدَّم: أَنَّ الثَّابت لدىٰ الفلاسفة والْمُتكلِّمين والعرفاء: أَنَّ العَالَمَ العقلي فوق عَالَمِ الآخرة الأَبديَّة ، ومُجَرَّدٌ تَجرُّداً تامّاً عن مطلق الجسميَّة والمادَّة ؛ فيكون غير قابلٍ للتكامُّل ، لكنَّه يبقىٰ مُمكناً ومحدوداً.

لكنَّ: الثَّابت في بيانات أَهل البيت عليهم السلام أَنَّه وإِنْ كان فوق عَالَمِ الآخرة الأَبدية ، لكنَّه يبقىٰ من العوالم الجسمانيَّة الْمُمتدَّ فوق عَالَمِ العرش ، وعَالَمِ العقل تحت العرش ، بل بينه وبين العرش عَالَمِ المشيئة ، من ثَمَّ يكون العقل قابلاً للتكامل.

وبعبارة أُخرىٰ: أَنَّ الفلاسفة والعرفاء وإِن ذهبوا إِلى أَنَّ عَالَمَ الخيال والمثال من العوالم الجسمانيَّة المقداريَّة وله أَين وزمان ومكان ومقدار ، لكنَّهم حكموا بتجرُّد عَالَمِ العقل تجرُّداً تامّاً عن الجسميَّة والمقادير ، وهذه غفلة شنيعة وخطأ فاحش ارتطموا به ؛ نتيجة ابتعادهم عن بيانات الوحي ، فإِنَّ

← جغرافيَّة ، فهو وإِنْ لم يكن جسماً بالمعنىٰ الأَوَّل ـ أَي: صاحب الأَبعاد الثَّلاثة ـ لكنَّه جسم بالمعنىٰ الثَّاني ـ أَي: صاحب مادَّة وصورة ـ ، فالتفت ، وتأَمَّل جيِّداً.

الثَّابت فيها: أَنَّ العوالم الجسمانيَّة تمتد إِلى عَالَم العقل ، بل وفوقه إِلى سدرة المُنتهىٰ ، بل وفوقها. وكُلُّها عوالم جسمانيَّة وماديَّة ، نعم بينها تفاوت في الغلظة واللطافة ، وهذا التفاوت في الأَجسام والمقادير وكيفيَّات المادَّة لا يمكن دركه بآليَّات الأَجسام الأَغلظ ، ومن ثَمَّ تظن مخلوقات العوالم الجسمانيَّة النَّازلة والأَغلظ في حقِّ العوالم الجسمانيَّة ومخلوقاتها الصَّاعدة والأَلطف أَنَّها عوالم نوريَّة ومُجرَّدة تجرُّداً تامّاً عن الجسميَّة والمادَّة ؛ فتكون حركتها دفعيَّة.

التَّنبيه الثَّاني:

العقل مُتَّصل ومُنفصل

أَنَّ العقل تارة يكون مُتَّصل ، وهو: العقل الحصولي ؛ صاحب المفاهيم الحصوليَّة ، وإِليه أَشار بيان أَمير المؤمنين (صلوات اللّٰـه عليه): «... **والفكر مرآة صافية** ...»[1].

وأُخرىٰ منفصل ، وهو: عَالَمٌ مُستقلٌ ، فوق عَالَم الآخرة الأَبديَّة ، يرتبط به الإِنسان عن طريق طبقات حقيقته ـ أَي: حقيقة الإِنسان ـ الصَّاعدة، كطبقة: القلب ، والسِّرِّ ، والخفي والأَخفىٰ ، بعد تعلُّق العقل بأَلطف أَجسام الإِنسان ، وهو: جسم أَلطف من جسم الجنَّة الأَبديَّة ، والعلمُ

(١) بحار الأَنوار ، ١: ١٦٩/ح٢٠. نهج البلاغة ، باب: المختار من حِكَم أَمير المؤمنين عليه السلام ومواضعه ، ٢: ٤٨٩.

المُتحصَّل عن طريق هذه الطَّبقات يكون علماً حضوريّاً.

التَّنبيه الثَّالث:

العقل أَحَد مواليد العرش

إِنَّ الثَّابت في بيانات الوحي: أَنَّ هناك عوالم تكوينيَّة مخلوقة فوق عَالَم العقل.

بل الثَّابت أَيضاً: أَنَّ العَالَم العقلي قطرة في بحور مخلوقات مهولة.

لكن: هذا المبحث غفلت عنه مدارس البشر المعرفيَّة كالفلسفيَّة والعرفانيَّة ، إِلَّا بعض فلاسفة الإِماميَّة الَّذين اسْتَشَفُّوا ذلك من بيانات الوحي.

بل الثَّابت في بيانات الوحي: أَنَّ العقل أَحَد مواليد العرش.

التَّنبيه الرَّابع:

تجرُّد المعرفة عن الزَّمان

إِنَّه بعدما كانت جملة من طبقات حقيقة ذات الإِنسان ليست زمانيَّة فبالضَّرورة لا تكون المعرفة زمانيَّة.

التَّنبيه الخامس:

تخطي الحدود الإِمكانيَّة لعَالَم العقلي

إِنَّ الثَّابت في بيانات الوحي: أَنَّ هناك حدوداً إِمكانيَّة مخلوقيَّة فوق عَالَم

العقل.

لكن: هذه القضيَّة لم يقرَّ بها الفلاسفة ـ منهم: المُلا صدرا ـ ، بل لايتقبَّلون تصوِّرها ، وذلك لأُمورٍ ، منها:

أَوَّلاً: إبتعادهم عن بيانات الوحي الَّتي من تقدَّمها غرق في بحر الإفراط ، ومن تأَخَّر عنها زهق في بَرِّ التفريط ، النَّاموس الأَنور ، والسراج الأَزهر ، نور الأَنوار ، ومحل سرّ الأَسرار ، وعنصر الأَبرار ، الجادَّة الوسطىٰ الَّتي لا تخرج إِلى عوجٍ ، ولا تُزيل عن منهج الحقّ ، وَمَنْ أَتاها وذلَّل لها فهمه، واشغل لها قلبه شمَّ برق النجاة ، وعرف من أَين تُؤكل الكتف ، نعم ، هي دقيقة الوزن ، حادَّة اللسان ، صعبة الترقِّي حتَّى على الحاذق البصير ، وَمَنْ تخلَّف عنها خادع نفسه ، وغالط وجدانه ، وكان حاله كمَنْ يتمسَّك بنسيج العنكبوت للعروج إِلى أَسباب السَّماوات ، وتاه في بحورٍ موَّاجة لا يُدرىٰ ما غورها ولا نهايتها.

ثانياً: ذهابهم إِلى أَنَّ الصِّفات الإِلٰهيَّة الذَّاتيَّة هي عين الذَّات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة تحقُّقاً ، مع أَنَّ الثَّابت في بيانات الوحي أَنَّها عين الذَّات الإِلٰهيَّة المُقدَّسة حكاية ، أَي: أَنَّها مخلوقات إِلٰهيَّة شريفة وعظيمة ومهولة جِدّاً من مخلوقات عَالَم الأَسمآء والصِّفات الإِلٰهيَّة عَالَم السرمد والأَزل ، تحكي الذَّات الإِلٰهيَّة المُقدَّسة من وجهٍ[1].

---

(١) لا بأس بالإِلتفات في المقام إِلى أَنَّ أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) ذكروا أَسماء وصفات إِلٰهيَّة لم يذكرها من قَبْل مخلوق قَطُّ. وهذا يدلُّ على علوِّ: إِمامتهم ←

وبالجملة: مُطلق الفلاسفة ـ سوآء أَكانوا مشَّاء أَم اشراق أَم حكمة مُتعالية ـ مُشركون ومشبِّهون بشركٍ وتشبيهٍ خفي من حيث لا يشعرون ، ومشمولون ببيان قوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾[1] ؛ وذلك لاعتقادهم: (أَنَّ الصفات الإِلٰهيَّة الذاتيَّة عين الذات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة تحقُّقاً) ؛ فإِنَّ لازمه ـ والعياذ بالله تعالى ـ حصول شرك وشراكة في داخل الذات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة ، واكتناه المخلوق للذات المُقدَّسة وتحديدها ، والتشبيه الخفي.

والحقُّ: أَنَّها عين الذات المُقدَّسة حكاية ومن وجهٍ ، ومن ثَمَّ لا يُقام التَّوحيد ولا يتمّ ولا يكمل إِلَّا بالتوسُّل بالآيات والأَسمآء والصفات الإِلٰهيَّة وسائر مرادفاتها الإِلٰهيَّة العقليَّة ، وأَعظم هدف وثمرة يُحقِّقها التَّوسُّل بالآيات الإِلٰهيَّة ومرادفاتها العقليَّة: تنزيه الذَّات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة عن الشرك والاكتناه والتحديد والتشبيه.

ثالثاً: ذهابهم أَيضاً إِلى تجرُّد العقل وعالمه تجرُّداً تامّاً.

وغير خفي على النيقد البصير أَنَّ جميع ذلك مخالف لصريح بيانات الوحي ، كما سيأتي (إِنْ شاء الله تعالىٰ) تحقيق ذلك ؛ واستعراض الأَدلَّة في

← وعصمتهم وهيمنتهم ومقاماتهم وفضائلهم وكمالاتهم وشؤونهم ، وتقدُّمهم على جملة المخلوقات.

(١) يوسف: ١٠٦.

محالها. فانتظر.

التَّنبيه السَّادس:

الحُجَج ظاهرة وباطنة

إِنَّ الحُجَج تارة تكون ظاهريَّة، وأُخرىٰ باطنيَّة، ووجه التَّسمية واضح؛ فإِنَّ الأُولىٰ ظاهرة للعيان، وتُحسُّ بأَحد الحواس الخمس، بخلاف الثَّانية؛ فإِنَّها غير محسوسةٍ بأَحد الحواس الخمسة، وإِنَّما تُحسُّ بأَحد الحواس الباطنة كالعقل والوجدان، وطبقات حقيقة الإِنسان الخفيَّة كثيرة جِدّاً، وهي الَّتي تُسيِّره وتُبرمج حياته ومسيرته من حيث لا يشعر.

ثُمَّ إِنَّ هناك تعاضد أَكيد بين هٰذين النحوين من الحُجج.

التَّنبيه السَّابع:

القوى العقليَّة المزوَّد بها الإِنسان

إِنَّ القوىٰ العقليَّة المزوَّد بها الإِنسان تفوق القوىٰ العقليَّة المُزوَّد بها الجنّ؛ بل إِذا استقام الإِنسان صارت قواه العقليَّة فوق القوَّة العقليَّة المزوَّد بها جملة من طبقات الملائكة، بل لو كان من كُمَّل البشر لفاقت قواه العقليَّة القوىٰ العقليَّة لكافَّة الملائكة.

ومعناه: أَنَّ العقل وإِدراكاته ورؤياه على مراتب وطبقات.

التَّنبيه الثَّامن:

حقيقة الرُّؤية العقليَّة

مَنْ يُرَكِّز على رؤية العقل فسيراها من عَالَمٍ يختلف عن عوالم قواه الأُخرىٰ ، ومن سنخ موجات وذبذبات أُخرىٰ ، والبشر يتعاطىٰ بها في الأَقَلِّ من اللحظة ، لكنَّه لا يستشعر بهذا التَّعاطي.

وهذه الرؤية العقليَّة هي المُتحكِّمة وغرفة التَّحَكُّم في حسٍّ وخيال ووهم صاحبها.

التَّنبيه التَّاسع:

الحاسَّة السَّادسة

المراد من (الحاسَّة السَّادسة) في اصطلاح علم الفيزياء وعلم النَّفس والعلوم التَّجريبيَّة وما شاكلها من العلوم الحديثة: قوىٰ حسّ غير مرئيَّة ، أَي: كُلّ ما ليس من الحواس الخمسة ، وإِنْ بلغ عددها المليارات.

التَّنبيه العاشر:

دمج المعاني وتحليلها

إِنَّ دمج المعاني وتركيبها وتحليلها وبسطها وتفكيكها ـ وما يُعبَّر عنه قديماً بـ «صناعة التَّحليل والتَّركيب» ـ قدرة عظيمة وعجيبة ، أَودعتها يد السَّاحة الإِلٰهيَّة في عقل الإِنسان وخياله ، بل وفي قواه الواهمة.

التَّنبيه الحادي عشر:

العقول وارتباطها بالنُّفوس

إِنَّ العقل الكُلِّي يُؤثِّر على النَّفس الكُليَّة ويُدير ويُدبِّر أُمورها وشؤونها وتوابعها. والنَّفس الكُليَّة هي النَّفس المرتبطة بأَرفع الأَجسام وأَعلاها وأَوسعها.

وهكذا العقول المتوسِّطة ؛ فإِنَّها تُؤثِّر على النُّفوس المُتوسِّطة وتُدير وتُدبِّر أُمورها وشؤونها وتوابعها. والنُّفوس المُتوسِّطة هي النُّفوس المرتبطة بأَجسام متوسِّطة.

وكذا العقول الجزئيَّة ؛ فإِنَّها تُؤثِّر على النُّفوس الجزئيَّة وتُدير وتُدبِّر أُمورها وشؤونها وتوابعها. والنُّفوس الجزئيَّة هي النفوس المرتبطة بأَجسام جزئيَّة.

النُّفوس وارتباطها بالأَجساد

ومنه يتَّضح: حال النُّفوس الكُليَّة ؛ فإِنَّها تُؤثِّر على الأَجسام الكُليَّة والنُّفوس المُتوسِّطة وتُدير وتُدبِّر أُمورها وشؤونها وتوابعها.

وهكذا النُّفوس المُتوسِّطة ، فإِنَّها تُؤثِّر على الأَجسام المُتوسِّطة والنُّفوس الجزئيَّة وتُدير وتُدبِّر أُمورها وشؤونها وتوابعها.

وكذا النُّفوس الجزئيَّة ؛ فإِنَّها تُؤثِّر على الأَجسام الجزئيَّة فحسب وتُدير وتُدبِّر أُمورها وشؤونها وتوابعها.

ثُمَّ إِنَّ العقول والنُّفوس والأَجسام المُتوسِّطة على مراتب وطبقات لا حصر لها ، فمثلاً: الأَرض وما يُحيط بها من مجرَّات وكواكب ، والسَّمآء الأُولىٰ وتوابعها إِلى السَّمآء السَّابعة وتوابعها والجنَّة والنَّار وهلمَّ جرّاً أَجسام متوسِّطة.

النَّفس الكُليَّة طبقة من طبقات حقيقة فاطمة الزهراء عليها السلام الصَّاعدة

ثُمَّ إِنَّ النَّفس الكُليَّة الأُولىٰ وَأَكبر النُّفوس على الإِطلاق ـ بعد نفس سيِّد الأَنبياء ونفس أَمير المؤمنين (صلوات اللّٰـه عليهما وعلى آلهما) ـ والَّتي تقوم بدور إِثبات جملة التقادير وأَلواح القدر لِـمَا دونها ليست هي إِلَّا نفس واحدة ، وهي المُعبَّر عنها في بيانات الوحي بـ: (ليلة القدر) ، وهي نفس البضعة الطَّاهرة فاطمة الزَّهراء (صلوات اللّٰـه عليها) ، ومن ثَمَّ ورد في حقِّها في بيانات الوحي: أَنَّ روَّاد القرون الأُولىٰ ـ وفي العوالم السَّالفة ومن بداية الخلقة ـ من كُمَّل المخلوقات كالأَنبياء والمرسلين والأَوصياء والأَصفياء عليهم السلام دارت إِمتحاناتهم واختبار معرفتهم ومعارفهم واعتقاداتهم على قطبٍ محوريّ معرفيّ ، وهو: معرفة حقيقتها (صلوات اللّٰـه عليها) ؛ ليُعطىٰ كُلّ مخلوقٍ حقَّه ومسؤوليَّاته الإِلٰهيَّة المستقبليَّة وفي جملة عوالمه المارّ بها ، وأَحد المهام الإِلٰهيَّة المُلقاة على عاتق إِحدىٰ مراتب حقيقتها (صلوات اللّٰـه عليها) الصَّاعدة ـ وهي: مرتبة النَّفس الكُليَّة ـ: قيامها بجملة تقادير عَالَم الإِمكان والوجود وجملة عوالمه ومخلوقاته غير المتناهية من بداية الخلقة إِلى ما لا نهاية له.

وإِلى كُلِّ هذا أَشارت بيانات الوحي ، منها:

١ـ بيان الحديث القدسي ، عن أَبي عبد الله عليه السلام ، قال: «**قال الله تبارك وتعالىٰ: يا مُحَمَّد ، إِنِّي خلقتكَ وعَلِيّاً نوراً ـ يعني: روحاً ـ بلا بدن قبل أَنْ أَخلق سماواتي وأَرضي وعرشي وبحري ، فلم تزل تهللني وتمجدني ، ثُمَّ جمعتُ روحيكما فجعلتهما واحدة ، فكانت تمجِّدني وتقدّسني وتهللني ، ثُمَّ قسَّمتها ثنتين ، وقسَّمتُ الثنتين ثنتين ، فصارت أَربعة: مُحَمَّد واحد ، وعَلِيّ واحد ، والحسن والحسين ثنتان ، ثُمَّ خلق الله فاطمة من نورٍ ابتدأَها روحاً بلا بدن ، ثُمَّ مسحنا بيمينه ، فأفضىٰ نوره فينا**»[1].

٢ـ بيان سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله: «**... إِنَّ الله تعالىٰ خلقني وخلق عَلِيّاً والحسن والحسين من نور قدسه ، فلَمَّا أَراد أَنْ ينشئ خلقه فتق نوري ... فضجَّت الملائكة ونادت: إِلٰهنا وسيِّدنا بحقِّ الأَشباح الَّتي خلقتها إِلَّا ما فرَّجت عنَّا هذه الظُّلمة ، فعند ذلك تكلَّم الله بكلمةٍ أُخرىٰ فخلق منها روحاً ، فاحتمل النُّور الرُّوح ، فخلق منه الزَّهراء فَأَقامها أَمام العرش ، فأَزهرت المشارق والمغارب ...**»[2].

ودلالته ـ كدلالة سابقه ـ واضحة ، بعد الِالتفات: أَنَّ حقيقة النَّفس والرُّوح واحدة ـ كما دلَّت على ذلك بيانات الوحي ـ وهي على مراتب

---

(١) بحار الأَنوار ، ١٥: ١٨ ـ ١٩/ ح٢٨. الأُصول ، ١: ٤٤٠.

(٢) بحار الأَنوار ، ٣٦: ٧٣ ـ ٧٤/ ح٢٤. كنز جامع الفوائد (مخطوط).

وطبقات ، طبقاتها الصَّاعدة تُسَمَّىٰ روح من التروُّح والتَّلَطُّف ، وطبقاتها النَّازلة تُسَمَّىٰ نفس.

٣ـ بيان الإمام الباقر عليه السلام: «**إِنَّ فاطمة هي ليلة القدر ، مَنْ عَرفَ فاطمة حقّ معرفتها فقد أَدرك ليلة القدر ، وإِنَّما سُمِّيت فاطمة لأَنَّ الخلق فطموا عن معرفتها ، ما تكاملت النُّبُوَّة للنَّبيّ حتَّى أَقَرَّ بفضلها ومحبَّتها ، وهي الصدِّيقة الكُبرىٰ ، وعلى معرفتها دارت القرون الأُولَىٰ**»[١].

٤ـ بيانه عليه السلام أَيضاً: «**... ولقد كانت (صلوات اللّـه عليها) طاعتها مفروضة على جميع من خلق من الجن والإِنس ، والطَّير والبهائم ، والأَنبياء والملائكة**»[٢].

٥ـ بيان تفسير الإِمام الصَّادق عليه السلام ، قال: «**﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾[٣] الليلة: فاطمة ، والقدر: الله ؛ فَمَنْ عرف فاطمةَ حقّ معرفتها فقد أَدركَ ليلة القدرة ، وإِنَّما سُمِّيت فاطمة ؛ لأَنَّ الخلق فطموا عن معرفتها**»[٤].

٦ـ بيان تفسيره عليه السلام أَيضاً: «**... وَأَمَّا قوله: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾[٥] يعني: فاطمة عليها السلام ، وقوله: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا﴾[٦]... والرُّوح:**

---

(١) بحار الأَنوار ، ٤٣: ١٠٥. تفسير فرات الكوفي ، سورة القدر.
(٢) دلائل الإِمامة ، الطبري: ١٠٦.
(٣) القدر: ١.
(٤) بحار الأَنوار ، ٤٣: ٦٥/ح٥٨.
(٥) القدر: ٣.
(٦) القدر: ٤.

روح القدس ، وهو في فاطمة عليها السلام ...»[١].

ودلالة الجميع واضحة.

التَّنبيه الثَّاني عشر:

عدم اِختصاص صور العقل النَّظري بالجسمانيَّة

إِنَّ ما ورد في بيان أَمير المؤمنين (صلوات اللّـه عليه)[٢]: «... **والفِكْرُ مِرآةٌ صافِيَةٌ ...**»[٣] برهانٌ وحيانيٌّ مُشير لقوَّة الفكر والعقل النظري ، وهو انعكاس لصورٍ ؛ فإِنَّه وإِنْ كان المراد منه في بحث التصوُّر من المباحث العقليَّة اختصاصه بالصُّور المقداريَّة الجسمانيَّة ، لكنَّ الحقَّ عدم الاختصاص بذلك ، فكما أَنَّ الفكر والعقل النَّظري يتعلَّق بالصُّور الجسمانيَّة يتعلَّق أَيضاً بغيرها ، كصورة ومفهوم: (الحبّ) ، و(الكراهية) ، و(الخوف) ؛ فإِنَّ هذه وما شاكلها صور ومفاهيم ، لكنَّها ليست جسمانيَّة ؛ لانتفاء مقدارها

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢٥: ٩٧/ ح٧٠.

(٢) **ينبغي الإِلتفات**: أَنَّ أَمير المؤمنين (صلوات اللّـه عليه) سُمِّيَ بذلك لكونه يمير العلم على المخلوقات ويُقسِّمه على النُّفوس والأَرواح. بعد الإِلتفات: أَنَّ حصول حقيقة العلم لا تقتصر على الأَمواج الصوتيَّة وما شاكلها فحسب ، بل وعلى الفهم من خلال عَالَمَ الرُّوح وما وراء الأَثير.

(٣) بحار الأَنوار ، ١: ١٦٩/ ح٢٠. نهج البلاغة ، المختار من حِكَم أَمير المؤمنين عليه السلام/ الحكمة رقم (٢): ٤٨٩.

وأَبعادها الثلاثة ـ الطول ، والعرض ، والعمق ـ.

إِذَنْ: الفكر قوَّة عقليَّة ، لكن ليست بالضَّرورة أَنْ تكون صورها صوراً جسمانيَّة. وهذه توسعة في عَالَمَ الإثبات.

التَّنبيه الثَّالث عشر:

عدم إِنحصار العلم بقوَّة العقل النَّظري

ما تمرُّ به البشريَّة في العصر الرَّاهن مِنْ أَزمات ناشئة من إِعتقادها بـ: اِنحصار العلم بقوَّة الفكر والعقل النَّظري.

لكنَّ الحقَّ وما عليه بيانات الوحي الوافرة الباهرة: أَنَّ العلم على طبقات ودرجات ، أَحَدها: المحبَّة في الجانب الرُّوحي والوجداني والعاطفي، وهذه أَعظم شأناً من العلم الفكري والعقل النَّظري ، بل ليس هو إِلَّا مُقَدِّمة لها ، وللعقل العملي.

وهذا بند وركن مُهِمٌّ في حقيقة العقل العملي وبُناه ، ينبغي للإِنسان تفقُّده دائماً.

إِذَنْ: البناء الفكري وإِنْ كان أَمراً راجحاً ، وثروة عظيمة ، لكنْ لا يصحُّ العكوف عليه ، بل لابُدَّ للعاقل من الإِنتقال إلى عرصات وعَالَمَ العقل العمليّ والرُّوح ؛ لينظر من خلال برج المراقبة إلى ميول وجذبات النَّفس ونفرتها ، فإِذا كانت في غير محلِّها وجب عليه ترويضها.

التَّنبيه الرَّابع عشر:

التَّفرقة بين آثار العقل النَّظري والعملي

إِنَّ البحث والتَّفرقة بين أَفعال العقل النَّظري وأَفعال العقل العملي ذو آثار وثمار مترامية الأَطراف: في المعرفة ، وفي المنهج المعرفي ، وفي اختلاف المدارس والمشارب المعرفيَّة.

وهذا الأَخير[1] بحث حسَّاس للغاية.

التَّنبيه الخامس عشر:

للعقل العملي جهات وآليَّات وبنود

إِنَّ للعقل العملي عِدَّة صفات ومُـمَيِّزات ، وله عِدَّة آليَّات وبنود وجهات وفصول وأَقسام ، وقد يكون بعضها نشيطاً ومُفعَّلاً والآخر مُجَمَّداً ؛ فيكون صاحبه عاقلاً أَو أَعقل من جهة ، وليس بعاقل أَو أَعقل من جهة أَو جهات أُخرىٰ.

نعم ، فَعَّلَ جميع صفاته ومُـمَيِّزاته وآليَّاته وبنوده وجهاته وفصوله وأَقسامه كُمَّل المخلوقات: الأَنبياء والأَوصياء والأَصفياء والأَولياء ، ومِنْ ثَمَّ تجتمع في حقِّهم جملة العلوم من جميع الجهات والأَقسام ؛ فلذا كانوا

---

(١) أَي: آثار وثمار البحث والتَّفرقة بين أَفعال العقل النَّظري وأَفعال العقل العملي ، تظهر في اختلاف المدارس والمشارب المعرفيَّة والتَّفرقة بينها.

الأَعقل في كافَّة الإِتِّجاهات.

ومن جملة خِصال العقل العملي: أَنَّ جملة من بنوده ليست فكريَّة فحسب ، بل إِدراكيَّة ووجدانيَّة ، وعليه: فقد يُدرِك الإِنسان الأُمور والقضايا بفكره ، لكنَّ وجدانه في حالة غفلةٍ وسُباتٍ ، فيكون أَعمىٰ قلباً وروحاً ووجداناً وإِنْ كان يقظاً فكراً ومفهوماً ، ويُعبَّر عنه في بيانات الوحي بـ: (عليم اللسان).

وبالجملة: مهما بلغ غير المعصوم فلابُدَّ أَنْ تكون أُميَّة في بعض طبقات ذاته ومراتبها.

وهذه الأُميَّة أزمة البشر ومشكلتهم في العصر الرَّاهن.

التَّنبيه السَّادس عشر:

الْقِوى الإِدراكيَّة المُسَلَّحَة لدى الإِنسان

إِنَّ للعقل عين مُسَلَّحَة وثاقبة تُدْرِك ما لا تُدرِكه العين الحسيَّة الدُّنيويَّة المرئيَّة ، بل تُدرِك ما لا يُدرِكه الحسّ الجسماني ـ أَي: العين الدُّنيويَّة غير المرئيَّة ـ بل وتُدرِك ما لا يُدرِكه أَهل البرزخ بعين الجسم البرزخي ، بل وتُدرِك ما لا يُدرِكه أَهل الآخرة الأَبديَّة بعين الجسم الأُخروي الأَبدي.

ومعناه: أَنَّ للإِنسان أَجساماً وأَعضاءً وحواسّاً مختلفة ، ومُجَهَّز بأَدوات إِدرَاك ضخمة ، تتلَطَّف وتشتدُّ وتَقْوَىٰ كلَّما لطفت واشتدَّت وقويت عوالمها الصَّاعدة ، فهناك عين عقليَّة فوق عين العقل النَّظري ، وعين قلبيَّة فوق عين

العقل العملي ، وعين السِّرّ فوق عين القلب ، وعين الخفي فوق عين السِّر ، وعين الأَخفىٰ فوق عين الخفي.

وقد يُطلق (عنوان العقليَّة بالمعنىٰ الأَعم) في بيانات المعارف على جميع هذه الطَّبقات.

التَّنبيه السَّابع عشر:

عَالَم رؤية العقل

إِنَّ مَنْ يُرَكِّز على رؤية العقل فسيراها من عَالَمٍ آخر ؛ غير عَالَمَ الحسِّ وعَالَمَ الخيال وما شاكلهما ، ومِنْ سنخ وموجات وذبذبات أُخرىٰ ، والبشر يتعاطاها ويتعامل بها كلمح البصر ، ومِنْ ثَمَّ لا يُركِّز ولا يستشعر بتلك الحركة.

وهذه الرُّؤية العقليَّة هي المُتحكِّمة ؛ وغرفة التَّحَكُّم بِعَالَمَ حسِّ صاحبها وخياله وما شاكلهما.

التَّنبيه الثَّامن عشر:

قِوَى الإِنسان العقليَّة تفوق قوى سائر المخلوقات العاقلة

إِنَّ القوىٰ العقليَّة المودعة في ذات الإِنسان تفوق القوىٰ العقليَّة المزوَّد بها الجن ، بل وتفوق القوىٰ العقليَّة المزوَّد بها جملة الملائكة ، فإِذا استقام الإِنسان تخطَّت قواه العقليَّة بالفعل القوىٰ العقليَّة الَّتي زوِّدت بها جملة من طبقات الملائكة ، بل لو كان من كُمَّل المخلوقات ـ كأَهل البيت عليهم السلام ـ

فاقت قواه العقليَّة بالفعل جملة قوىٰ الملائكة العقليَّة منهم المقرَّبين كجبرئيل وإسرافيل عليهما السلام ؛ وسجدوا له.

ومعناه: أَنَّ الإِدراك العقلي والرؤية العقليَّة على درجات وطبقات ومراتب غير متناهية.

التَّنبيه التَّاسع عشر:

عين العقل المُسَلَّحَة

إِنَّ الدِّقَّة العقليَّة عين مسلَّحة ، أَشرس قوَّة ، وأَبعد غوراً ، وأَعظم وغولاً من الدِّقَّة الرِّياضيَّة والهندسيَّة ؛ لإِعتمادهما على قوَّة الخيال ، بخلاف الأُولىٰ ؛ فإِنَّها تعتمد على قوَّة العقل ، وهي الأَرفع.

وهذه نتفة معرفيَّة نفيسة.

ومِنْ ثَمَّ لا يمكن رياضياً ولا هندسياً ولا جغرافيّاً تصوُّر وشَمّ رائحة قواعد وبيانات الوحي المعرفيَّة والعلميَّة الواردة بلغة العقل.

مثاله: بيان سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله ، عن أَبي عبدالله عليه السلام ، قال: «إنَّ يهوديّاً يقال له: (سِيَخْتُ) جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله! جِئْتُ أَسأَلُكَ عن رَبِّكَ ، فإِنْ أَنْتَ أجبتني عمَّا أَسأَلُكَ عنه وإِلَّا رَجَعْتُ ، قال: «**سَل عمَّا شِئتَ**» ، قال: أَيْـنَ رَبُّـكَ؟ قال: «**هو في كلِّ مكانٍ وليس في شيءٍ من المكانِ المحدُودِ...**»[1].

---

(١) أُصول الكافي ، ١: ٦٧/ح٩.

وهذه قاعدة معرفيَّة عقليَّة ، لا يمكن لعلم الرياضيَّات وعلم الهندسة وما شاكلهما ضربها وتقنينها ، وإِنَّما يُمكن ذلك لنابها الأَكبر: (العقل الوحيانيّ)[١].

التَّنبيه العشرون:

تفعيل قُوَّة العقل

إِنَّ مَنْ يُفَعِّل قوَّة العقل والفكر لديه سينظر تلقائيّاً في ما يصدر عن الطَّرف إلى ما قيل ، ولا ينظر إِلى مَنْ قال.

وهذه القضيَّة شاملة لبيانات المعصومين عليهم السلام. وإلى هذا تُشير بيانات الوحي الباهرة ، منها :

بيان الإِمام الباقر عليه السلام: «**إِذا حدثتكم بشيءٍ فسألوني عنه في كتاب اللَّه** ... »[٢].

التَّنبيه الحادي والعشرون:

قُوَّة العقل تُدرِك الأَشياء بصورتها الواقعيَّة

إِنَّ تكامل: (الرؤيَّة العقليَّة) ، و(العلم العقلي) ، و(العقل) لا يقف ولا ينتهي في عَالَم من العَوالم ، بل الآن رؤيتها تخترق الحُجُب ، فترىٰ الأَشياء

---

(١) العقل ـ كما مرَّ في بيان سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله ـ مَلَك مهول ، أَعظم من جبرئيل وميكائيل عليهما السلام.

(٢) بحار الأَنوار ، ٨٩: ٩٠ ـ ٩١/ ح٣٦.

بصورتها الحقيقيَّة والواقعيَّة ، بخلاف قـوىٰ النَّفس الإِدراكيَّة الـنَّازلة ـ كـقوَّة: (الحسِّ) ، و(الخيال) ـ ؛ فإِنَّها ترىٰ وجهاً من وجوه الحقيقة والواقعيَّة، بل هناك طاقات وحقائق وواقعيَّات مهولة ؛ بعضها تتمتَّع بها ذات الإِنسان ، لا ينالها ولا يحسُّها ولا يشمُّ رائحتها حسٌّ ولا خيالٌ ، لكنَّها تُنال بصورتها الـواقعيَّة بـقوىٰ ذات الإِنسان الأُخرىٰ كـقوَّة العقل ، فحقيقـة: (الـحبّ) و(البغض) ـ مثلاً ـ وسائر الأَحاسيس النَّفسانيَّة الأُخرىٰ لا تُدرِك تمام حقيقتها قوَّتا الحسِّ والخيال ، ومُدرِكها: قوَّة العقل وما فوقها.

التَّنبيه الثَّاني والعشرون:

بث المعلومات قائم على قدم وساق

إِنَّ جملة الدِّين: علم ومعارف ، وعمليَّة البث المعلوماتي قائمة على قدم وساق في طُرِّ العوالم والنَّشَآت.

وعليه: فلابُدَّ أَنْ يكون العقل ولاقطته فعَّالاً في اليقظة والمنام ، وحينئذٍ تصير في العبادة رُوح ونور ونبض وهَّاج.

التَّنبيه الثَّالث والعشرون:

الموازنة بين قوى النَّفس وتجاذباتها

إِنَّ عمل الرُّوح وموازنة قوىٰ النَّفس مُؤثِّرٌ جِدّاً في قُوَّة إِدراك الإِنسان وحسن عقله وبصيرته.

ومعناه: أَنَّ لعقل الإِنسان القابليَّة على الإِزدياد ، والإِشتداد ، والنَّقص ، والتَّسافل غير المتناهي.

وإِلى هذا أَشارت بيانات الوحي ، منها:

بيان الإِمام موسىٰ بن جعفر عليهما السلام: « ... **مَنْ سَلَّطَ ثلاثاً على ثلاثٍ فكأَنَّما أَعان على هدم عقله: من أَظْلَمَ نُورُ تَفَكُّره بِطُولِ أَمَلِهِ ، وَمَحَا طرائف حكمته بفضول كلامه ، وأَطفأ نُورَ عِبْرَتِهِ بشهوات نفسه ، فكأَنَّمَا أَعَانَ هَوَاهُ على هَدْمِ عَقْلِهِ ، وَمَنْ هَدَمَ عَقْلَهُ أَفْسَدَ عليه دِيْنَهُ وَدُنْيَاهُ...** »[1].

وهذه من بدائع معارف بيانات الوحي الإِلٰهيّ الشَّريف.

وعليه: فلا يُخَيَّل للإِنسان أَنَّ عقله على وتيرة واحدة ، بل بقدر ما يستقيم الإِنسان يزداد عقله بريقاً ، والعكس بالعكس.

ومنه يتَّضح: أَنَّ الإِدراك ليس هو حركة الفكر من المعلوم إِلى المجهول فحسب ، بل هناك أَمر آخر ، له مدخليَّة في الإِدراك أَعظم من حركة الفكر ، وهو: الموازنة بين قوىٰ النَّفس وتجاذباتها.

التَّنبيه الرَّابع والعشرون:

الخلط بين المعاني العقليَّة والمعاني الذِّهنيَّة

ينبغي أَنْ لا يُخلط بين المعاني العقليَّة وبين المعاني الذِّهنيَّة والفكريَّة

---

(١) أُصول الكافي ، ١: ١٣/ح١٢.

المتبادرة في الأَذهان ؛ لأَنَّ العالم العقلي ليس ما نتوهمه ويتبادر إِلى أَذهان عامَّة البشر ؛ من أَنَّه صقع وموجود فكري وإِدراك ذهنيّ ، وإِنَّما هو جوهر وحقيقة تكوينيَّة ، مُنْفَكَّة ومُنحَازة عن ذواتنا ، وله عالمه الخاصّ ، وهو فوقَ عَالَمَ الجنَّة الأَبديَّة ، ومهمين على ما دونه من العوالم ، فهو داخل فيها ، لكن لا بالممازجة والمزاولة ، وخارج عنها ، لكن لا بالمباينة والمزايلة ، ومعناه: أَنَّه آية من آيات هيمنة الذَّات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المُقَدَّسَة ، فتكون معانيه: جواهر ووجودات تكوينيَّة خارجة ومُنحازة ومُنْفَكَّة عن ذواتنا.

فأعدِ الكَرَّة ، ولاحظ ما تقدَّم من بيانات الوحي وغيرها فستجد صِدْقَ ما ذكرناه واضحاً.

ومنها يتَّضِح: أَنَّ العين العقليَّة والإِدراك العقلي: جوهر وأَمر تكوينيّ ، وليس هو الفكر والصُّوَر الذِّهنيَّة ، فإِنَّ الفكر والتَّفَكُّر آليَّة العين العقليَّة ، وواقع المرئي بها[1]: صقع عقليّ واسع وشاسِع ومهيمن على ما دونه. نعم لا يمكنها إِدراك كُنْه العَالَمَ العقليّ والإِحاطة به ، وإِنَّما إِحاطتها بمساحات وبُقَعٍ منه.

وهذه القضيَّة مِنْ أَوَّليَّات بحوث المعارف ، لا يمكن للباحث في أَبواب المعارف تخطِّيها.

---

(١) مرجع الضَّمير في كلمة: (بها) و (لا يمكنها): العين العقليَّة.

التَّنبيه الخامس والعشرون:

المخلوق قابل لأَفعاله وليس فاعلاً لها

هناك بحثٌ معرفيٌّ لطيف ينبغي صرف النَّظر إِليه ، حاصله: «أَنَّ المخلوق بالدِّقَّة العقليَّة قابل ومنفعل دائماً ، سوآء أَكان في مقام الجسم والأَفعال الجسمانيَّة أَو في مقام الأَفعال النَّفسيَّة والرُّوحيَّة ، والفاعل الحقيقي ليس هو إِلَّا الله ـ المُسمَّىٰ ـ تقدَّس ذكره».

وليس لهذه القضيَّة صلة بالجبر.

وبالجملة: كُلُّ عملٍ يقوم به المخلوق ليس هو المفيض له حقيقة وفاعله استقلالاً ، بل تقابل ، والفاعل حقيقة وصاحب المشيئة والتَّقدير ليس هو إِلَّا الباري ـ المُسمَّىٰ ـ جلَّ وتقدَّس.

وإِلى هذا تُشير بيانات الوحي ، منها:

بيان قوله تعالىٰ: ﴿**وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا**﴾[1].

ودلالته واضحة.

نعم ، الشرور والسَّيِّئات بعدما كانت إِعدام للخير كانت من المخلوق.

---

(١) النساء: ٧٨.

وهذا ما تُشير إِليه بيانات الوحي الأُخرىٰ ، منها:

بيان قوله عزَّ من قائل: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾[1].

ودلالته واضحة أَيضاً.

التَّنبيه السَّادس والعشرون:

حقيقة العلم: تذكُّر

التَّذَكُّر ـ بحسب ما يُستفاد من بيانات الوحي ـ أَعظم فعل يقوم به المخلوق.

وقد وقع خلاف في حقيقة العلم بين قدماء الفلاسفة ، فذهب افلاطون إِلى أَنَّه تذكُّر ، واستفاد ذلك ـ بحسب الظَّاهر ـ من بيانات الأَنبياء السَّابقين.

والمناسب وما عليه بيانات الوحي والتَّحقيق: أَنَّ للعلم جنبتين:

إِحداهما: اكتساب.

والأُخرىٰ: تذكُّر.

والعلم الكسبي ليس بعلمٍ حقيقيٍّ ، وإِنَّما إِعداديّ للعلم التَّذكيري ، وهو العلم الحقيقي. والتَّذكُّر علم حضوريّ.

---

(١) النساء: ٧٩.

وإلى هذا أشارت بيانات الوحي ، منها:

بيان خطبة أمير المؤمنين عليه السلام: «... **فبعث فيهم رُسُلَهُ ، وواتر إليهم أنبياءه ، ليَسْتَأدُوهُمُ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ ، ويُذكِّرُوهُم مَنْسِيَّ نِعْمَتِهِ ... وَيُثِيرُوا لَـهُمْ دَفَائن العُقول ، وَيُرُوهُم آيات المَقدِرَةِ ...**»[1].

فأمير المؤمنين (صلوات اللّـه عليه) يصف العقل كأَنَّه كنزٌ مدفون ، ودور الرُّسل والأَنبياء عليهم السلام إظهاره وإثارة جواهره ولآلؤه.

وهذا ما يوضِّح كثير من بيانات الوحي ، منها:

بيان قوله تعالىٰ مُخاطباً النَّبيّ موسىٰ وأَخاه النَّبيّ هارون عليهما السلام: ﴿**اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى**﴾[2].

فإِنَّه برهانٌ وحيانيٌّ دالٌّ على أَنَّ لفرعون مع ما يعيشه من غطرسةٍ وعتوٍّ وتكبُّر لكنَّه لازال يتمتَّع بفطرة إِلٰهيَّة وخزين إِلٰهيٍّ إِن فعَّله واستثمره طار به إِلى الخُلد والرِّضوان.

التَّنبيه السَّابع والعشرون:

وجود ترابطات وثيقة في دخيلة ذات الإِنسان

هناك ترابط في دخيلة ذات الإِنسان وثيق ودائم وأَكيد ، وامتزاج

---

(١) نهج البلاغة ، خ١: ٤٥ ـ ٤٦.

(٢) طٰه: ٤٣ـ٤٤.

حيوي بين التنظير والتطبيق ، وبين العلم والعمل ، وبين العواطف والأَفكار، وبين الخواطر والهمم والغرائز وهلمَّ جرّاً في أَبعاد مُتعدِّدة ، ومن تلك الأَبعاد: التَّرابط بين التواضع والحقّ والعقل ، وهذا ما تُشير إِليه بيانات الوحي منها:

بيان الإِمام الكاظم (صلوات اللَّـه عليه) ، عن هشام بن الحكم ، قال: «قال لي أَبو الحسن موسىٰ بن جعفر عليه السلام ... **يا هشام: إِنَّ لقمان قال لابنه: تواضع للحقِّ تكن أَعقل النَّاس** ...»[1].

ومعناه: أَنَّ للتَّواضع صلة وطيدة بالعقل ، وهذا سير ومسير علميّ.

إِذَنْ: هناك جنبة عمل في التَّواضع ، لكنَّها ليست بهيميَّة أَو حيوانيَّة أَو نباتيَّة ، وإِنَّما عقليَّة وعقلائيَّة ؛ فما يصدر من التَّواضع عمل لكنَّه ليس عمل بدنيّ محض ولا نفسانيّ بحت ولا غرائزيّ فحسب ، وإِنَّما على مراتب بعضها جوارحيَّة بدنيَّة ، والأُخرىٰ جوانحيَّة عقليَّة وقلبيَّة ومعرفيَّة وعقائديَّة يتعقَّب بعضها أَثر الآخر ، ومن ثَمَّ ورد في بيانات الوحي: أَنَّ ذات الإِنسان في حالة سير دائم لن يتوقَّف أَبداً ، تطوي من خلاله مساحات أَنفسيَّة وعواليَّة شاسعة ومهولة وخطيرة جِدّاً ؛ ومترامية الأَطراف لا تُقاس أَبداً بسير البدن ، بل ولا تقاس بمسافات ومساحات السَّماوات والأَرضين السبع والآخرة الأَبديَّة.

---

(١) أُصول الكافي ، ١: ١٣ ـ ١٧/ ح١٢.

التَّنبيه الثَّامن والعشرون:

العقوبة العقليَّة أَعظم خسارة يُصاب بها العاصي

إِنَّ ما ورد في بيانات الوحي، منها:

١ـ بيان سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله: «**مَنْ قَارفَ ذنباً فارقه عقل لا يرجع إِليه أَبداً**»(١).

٢ـ بيان الإِمام الباقر عليه السلام: «**ما مِنْ عَبدٍ إِلَّا وفي قلبه نكتة بيضاء، فإِذا أَذنب ذنباً خرج في النكتة نكتة سوداء، فإِنْ تاب ذهب تلك السَّواد، وإِنْ تمادىٰ في الذُّنوب زاد ذلك السَّواد حتَّى يُغطِّي البياض، فإِذا غطَّىٰ البياض لم يرجع صاحبه إِلى خيرٍ أَبداً، وهو قول الله عزَّوجلَّ: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾(٢)**»(٣).

٣ـ بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام: «**إِذا أَذنب الرَّجُل خرج في قلبه نكتة سوداء فإِنْ تاب انمحت، وإِنْ زاد زادت حتَّى تغلب على قلبه فلا يفلح بعدها أَبداً**»(٤).

---

(١) المحجَّة البيضاء، ٨: ١٦٠.

(٢) المطففين: ١٤.

(٣) بحار الأَنوار، ٧٠: ٣٣٢/ح١٧. الكافي، ٢: ٢٧٣.

(٤) بحار الأَنوار، ٧٠: ٣٢٧/ح١٠. الكافي، ٢: ٢٧١.

براهين وحيانيَّة دالَّة على أَنَّ أَعظم خسارة يُصاب بها العاصي: العقوبة العقليَّة ، لا الأُخرويَّة الجسديَّة.

ودالَّة أَيضاً على وجود ترابط بين ارتكاب الكبائر ونقص وقلَّة العقل.

وهذا ما تُشير إِليه بيانات الوحي الأُخرىٰ ، منها:

بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام ، عن المُفضَّل بن عمر ، قال: «... ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾[1] ؛ عدلاً منه تقدَّست أَسماؤه وجلَّت آلاؤه ، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[2] ، يشهد بذلك قوله جلَّ قدسه: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[3] ؛ في نظائر لها في كتابه الَّذي فيه تبيان كُلّ شيءٍ ، ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[4] ؛ ولذلك قال سيِّدنا مُحَمَّد (صلوات اللّٰه عليه وآله): «إِنَّما هي أَعمالكم تردُّ إِليكم». ثُمَّ أَطرق هنيئة ، ثُمَّ قال: يا مُفضَّل ، الخلق حيارىٰ عمهون سكارىٰ في طغيانهم يتردَّدون ، وشياطينهم وطواغيتهم

---

(١) النجم: ٣١.

(٢) يونس: ٤٤.

(٣) الزلزلة: ٧ ـ ٨.

(٤) فصِّلت: ٤٢.

يقتدون ، بصراء عميٌ لا يُبصرون ، نطقاء بكمٌ لا يعقلون ، سمعاء صمٌّ لا يسمعون ، رضوا بالدون ، وحسبوا أَنَّهم مهتدون ، حادوا عن مدرجة الأَكياس ، ورتعوا في مرعىٰ الأَرجاس والأَنجاس ، كأَنَّهم من مفاجأة الموت آمنون ، وعن المجازات مزحزحون ، يا ويلهم ما أَشقاهم وَأَطول عناءهم ، وأَشدّ بلاءهم ، يوم لا يُغني مولىٰ عن مولىٰ شيئاً ولا هم ينصرون إِلَّا مَنْ رحم الله. قال المُفَضَّل: فبكيتُ لَـمَّا سمعتُ منه ، فقال: **لا تبك ، تخلَّصت إِذ قبلتَ، ونجوتَ إِذ عرفتَ ...»**[1].

ودلالته واضحة.

التَّنبيه التَّاسع والعشرون:

التَّجاذبات بين العقل العملي وسائر قوى النَّفس

إِنَّ ما ورد في بيان الإِمام موسىٰ بن جعفر عليهما السلام: «... **إِنَّ العاقل الَّذي لا يَشغَلُ الحلالُ شُكرَهُ ، وَيَغْلبُ الحرامُ صَبْرَه ...»**[2] برهانٌ وحيانيٌّ تُصوَّر فيه حالة الصراعات والتَّجاذبات الموجودة في دخيلة ذات الإِنسان بين العقل العملي ـ من جهة ـ ، والشَّهوات واللَّذائذ من جهة أُخرىٰ. وقوَّة العقل وهيمنته تكمن في أَنْ لا تلهيه الشَّهوات واللَّذائذ المُحلَّلة فضلاً عن المُحرَّمة ،

---

(١) بحار الأَنوار ، ٣/ الخبر المُشتهر بتوحيد المُفضَّل: ٩٠.

(٢) أُصول الكافي ، ١: ١٣ ـ ١٧/ ح١٢.

ولا تضعضعه ، بل لا يُشغله شأن عن القيام بشكر الله تعالىٰ والتَّوجُّه إِليه ، وهذه علامة قوَّته.

ثُمَّ إِنَّه إِذا حصلت لدىٰ ذات الإِنسان قوَّة توجُّه فوقيَّة نحو باريه تقدَّس ذكره اِتَّصَفَ صاحبها بصفة من صفاته (عظمت آلاؤه) ، فإِنَّه (عزَّ ذكره) لا يشغله شأن عن شأن ؛ فكذا العبد إِذا وصل إِلى هذه المرتبة ؛ فإِنَّه مأمور بالتَّخَلُّق بأَخلاق الله (تعالىٰ ذكره) ، ومن ثَمَّ ورد في الحديث القدسي: «**عبدي أَطعني حتَّى أَجعلكَ مِثْلي (أَو مَثَلي) ؛ أَقول للشيء كن فيكون وتقول للشيء كُن فيكون**»[1].

وهذا بيان وتعريف للعقل العملي ؛ فإِنَّ طبيعته وطبيعة عبادته: عملٌ وحركة روحيَّة دؤوبة ممزوجة بالعلم.

لكنَّ: أَصحاب المدارس المعرفيَّة البشريَّة ـ كالمناطقة والفلاسفة ـ لم يأخذوا هذه الطبيعة في تعريفه.

التَّنبيه الثَّلاثون:

لحالة الكفر والشرّ بالغ التَّأثير على العقل

إِنَّ ما ورد في بيان أَمير المؤمنين (صلوات اللَّـه عليه) «... **ما تَمَّ عقل**

---

(١) بحار الأَنوار ، ١٠٢: ٦٦٥.

أمرئٍ حتَّى يكون فيه خِصَالٌ شتَّىٰ: الكُفر والشَّرُّ منه مأمونان ، والرُّشدُ والخيرُ منه مأمولان ...»[1] برهانٌ وحيانيٌّ دالٌّ على أَنَّ لحالة الكفر تأثير بالغ على عقل الإِنسان ؛ لنكرانه لأَعظم معلومة على الإِطلاق ، وهي العلم بالتَّوحيد ، وهذا ما تُشير إِليه بيانات الوحي الأُخرىٰ ، منها:

بيان قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾[2].

ودالٌّ أَيضاً على أَنَّ لحالة الشَّرّ بالغ التَّأثير على عقل صاحبها ، بل وتكشف عن حالة نقص وعوار في عقله.

بخلاف حالة الخير ؛ فإِنَّها تولِّد لدىٰ صاحبها كمال[3] ورقي ذاته وروحه وعقله وجوهره ، ومن ثَمَّ اشترطت مدرسة أَهل البيت عليهم السلام في الإِمام أَنْ يكون ذا عقل راجح على جميع أَهل زمانه.

التَّنبيه الحادي والثَّلاثون:

الإِنسان هو الصَّانع لجوهر ذاته والحائك لها

إِنَّ ما ورد في بيان الإِمام الكاظم (صلوات اللّٰـه عليه): «... إِنَّ الله تبارك وتعالىٰ بشـر أَهل العقل والفهم في كتابه فقال: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ

(١) المصدر نفسه ، ١: ١٤٠. أُصول الكافي ، ١: ١٣ ـ ١٧/ ح١٢.

(٢) النساء: ١١٦.

(٣) الكمال أَمر وجوديّ وتكوينيّ.

﴿يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[1]... ثُمَّ ذَمَّ الَّذين لا يعقلون فقال: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾[2]، وقال: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾[3]، وقال: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ﴾[4]، وقال: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾[5]...»[6] براهينٌ وحيانيَّة مُشيرة لسبب خسران الإِنسان لعقله وذاته، ويتولَّد منه عدم تعقُّله، وكُلّ هذا وغيره حاصل باختياره، ومن ثَمَّ يكون الإِنسان هو الصَّانع لجوهر ذاته، فلذا ورد في بيان سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله: «**إِنَّ الله لا ينظر إِلى صوركم وأَعمالكم، وإِنَّما ينظر إِلى قلوبكم**»[7].

---

(١) الزمر: ١٧ ـ ١٨.

(٢) البقرة: ١٧٠.

(٣) البقرة: ١٧١.

(٤) يونس: ٤٢.

(٥) الفرقان: ٤٤.

(٦) أُصول الكافي، ١/ كتاب العقل والجهل: ١٣/ ح١٢.

(٧) بحار الأَنوار، ٦٧: ٢٤٨/ ح٢١. جامع الأَخبار: ١١٧.

إِذَنْ: حقيقة الإِنسان ومصنع صنع ذاته ولباسه الدَّائم: أَعماله الإِختياريَّة وما يحوكه بيده.

وعليه: فعمليَّة التَّعقُّل ، بل ومحاولتها تُنمِّي في صاحبها جوهر عقله ، وهذا بخلاف الإِعراض عنها والإِنغماس في الشَّهوات.

التَّنبيه الثَّاني والثَّلاثون:

حركات الإِنسان وسكناته تُؤثِّر على عقله

إِنَّ ما ورد في بيان الإِمام موسىٰ بن جعفر عليهما السلام: «... مَنْ سَلَّطَ ثلاثاً على ثلاثٍ فكأَنَّما أَعان على هَدْمِ عقله: مَنْ أَظْلَمَ نُورُ تَفَكُّرِهِ بطول أَمَلِهِ ، ومَحَا طرائف حكمته بفضول كلامه ، وَأَطْفأَ نُورَ عِبْرَتِهِ بشهوات نفسه ؛ فكأَنَّما أَعَانَ هواه على هدم عقله ، وَمَنْ هَدَمَ عقله أَفسَدَ عليه دينه ودنياه ...»[1] برهانٌ وحيانيٌّ دالٌّ على أَنَّ يوميَّات الإِنسان ، بل جملة حركاته وسكناته ، والأَحداث والظواهر المارَّة عليه مُؤثِّرة على عقله: أَمَّا إِيجاباً وتزيد في كماله ورقيِّه وتطوِّره ، أَو سلباً وتَحطُّ منه وتُجمِّده.

وعليه: فينبغي للإِنسان كما يتكئ على ماضيه أَنْ يتكئ على حالته الفعليَّة وزمانه الرَّاهن ، فهو وإِنْ كان ابن ماضيه لكنَّه ابن حاضره أَيضاً.

---

(١) أُصول الكافي ، ١: ١٥/ح١٢.

التَّنبيه الثَّالث والثَّلاثون:

العقل العملي منبع الحيويَّة في الإِنسان

إِنَّ ما ورد في بيان الإِمام موسى بن جعفر عليهما السلام: «... **إِنَّ العاقل نظر إِلى الدُّنيا وإِلى أَهلها ؛ فَعَلِمَ أَنَّها لا تُنَالُ إِلَّا بالمشَقَّة ، ونظر إِلى الآخرة فَعَلِمَ أَنَّها لا تُنَالُ إِلَّا بالمشَقَّة ؛ فطلب بالمشقَّة أَبقاهُما** ...»[1] برهانٌ وحيانيٌّ من قوَّة العقل العملي ، دالٌّ: على ضرورة لزوم الدِّين والطَّاعة ، بل وعلى ضرورة التَّوحيد والنُّبوَّة والإِمامة والمعاد.

ودالٌّ أَيضاً: على أَنَّ في الوصول إِلى الغاية الأَبقىٰ والأَدوم مرارة - كالوصول إِلى حلاوة الدُّنيا ـ لابُدَّ للمرء من تَجرُّعها ؛ لأَنَّها الأَعظم حكمة وإِتقاناً.

وهذا التَّرجيح يلتفت إِليه ويقوم به العقل العملي من دون ريب ولا تردُّد منه ، والمُشكلة إِنْ كانت فهي في غفلة صاحبه أَو نسيانه.

وإِلى كُلِّ هذا أَشارت بيانات الوحي الأُخرىٰ ، منها :

بيان قوله تعالىٰ: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾[2].

---

(١) أُصول الكافي ، ١: ١٦/ح١٢.

(٢) القيامة: ٣٦.

وهذه نتفة مُهمَّة جِدّاً ؛ فإِنَّ منبع الحيوية في الإِنسان: عقله العملي[١] ، وهو لغة الأَنبياء والأَوصياء والأَصفياء والأَولياء عليهم السلام ؛ لأَنَّ فيه مسائلة ومداينة.

---

(١) **ينبغي الإِلتفات** في المقام إِلى الأَمرين التَّاليين:

الأَوَّل: أَنَّه بعد أَنْ وصلت النوبة إِلى ابن سينا تحوَّلت الحكمة والفلسفة من نظريَّة وعمليَّة إِلى نظريَّة فحسب ، وهو تَحوُّل خطير ؛ صيَّر مسارها أَضعف من سابقه ؛ لأَنَّه أَقصى العقل العملي ودليله.

وقد سَدَّ المُتكلِّمون هذا النقص الطارئ على الأَدلَّة العقليَّة ، لإِعتمادهم غالباً على براهين أُخذت موادَّها من قوَّة العقل العملي ، فمادَّتا الحسن والقبح ـ وهما أَساس العقل العملي ـ موادٌ برهانيَّة.

وما ذهبت إِليه الأَشاعرة من التَّفكيك بين الكمال والنقص ، والمدح والذَّم ، والملائم وغير الملائم ، وقالوا: إِنَّ الحسن يُطلق على معانٍ ثلاثةٍ مغالطة في غير محلِّها ، لكنَّها انطلت على ابن سينا ومن جاء من بعده إِلى يومنا هذا ، والحال أَنَّه لا يوجد مدح صادق من دون كمال ، ولا ذمّ صادق من دون نقص ، وهل يوجد فعل في الكون لا يلائمه الكمال ولا ينافره النقص؟!

الثَّاني: تعتمد الفلسفة الغربيَّة في العصر الرَّاهن على قوَّة العقل النَّظري في التَّوصُّل إِلى النتائج من دون الإِعتماد على قوَّة العقل العملي ؛ وذلك إِغراءً للشعوب واستعبادها بعد شلِّ الضمائر وإِماتتها ؛ من خلال بث ثقافتهم المسمومة ، لاسيما في الوسط الشَّبابي ، فيُروِّجون بينهم المطالبة بالحقوق مع عدم تحمُّل المسؤوليَّة والوظائف والواجبات.

التَّنبيه الرَّابع والثَّلاثون:

كلَّمَا تزايدت مراحل الاستنتاج كُلَّمَا ابتعدت النتيجة عن البداهة

إِنَّ العلم الرياضي من أَقوىٰ العلوم البرهانيَّة باعتراف أَصحاب المدارس البشريَّة المعرفيَّة والعقليَّة ـ كـ: المناطقة والفلاسفة والمتكلِّمين ـ ؛ فإِنَّهم يعترفون: أَنَّ من أَبْدَه العلوم سهولة في البرهان علم الرِّياضيَّات.

لكن: ينبغي الِالتفات: أَنَّه كُلَّمَا توغَّل البحث الرِّياضي ترامياً في الخطوات تبدَّل ـ البحث الرياضي البرهاني ـ من برهانٍ بديهيٍّ إِلى برهانٍ نظريٍّ.

إِذَنْ: كُلَّما تزداد مراحل الاستنتاج كُلَّمَا ابتعدت النتيجة عن البداهة وصار وغول وتوغُّل في النَّظريَّة أَكثر فأَكثر.

وهذه القضيَّة تأتي في جملة علوم البشر المعرفيَّة والعقليَّة وغيرها ـ كـ: علم: الفلسفة ، والكلام ، والعرفان ـ فما كانت مادَّته وصورته برهاناً يقينيّاً إِذا ازدادت مراحل الاستنتاج وتوغَّل الاستدلال أَكثر ابتعد عن عاصمة البداهة ودخل دائرة النَّظريَّات وصار واقعه ظنّاً عقليّاً.

وبالجملة: أَيُّ علمٍ يترامىٰ فيه الاستدلال بعيداً عن عاصمة البداهة إِلى ضواحي أَرياف وقصبات بعيدة في البحث العلمي فلابُدَّ أَنْ تشوبه ظلمة الظَّنّ بدل نور اليقين والقطع ، وكُلَّمَا ترامت مراحل الاستدلال كُلَّمَا ازدادت ظلمة الظَّنّ وخبت نور اليقين ليتحوَّل مع ترامي وازدياد مراحل الإِستدلال إِلى شكٍّ ووهم واحتمال.

وهذه أَزمة معرفيَّة وعلميَّة وعقليَّة ارتطم بها أَصحاب المدارس البشريَّة المعرفيَّة والعلميَّة والعقليَّة ـ كالفلاسفة والمُتكلِّمين والعرفاء ـ فيحسبون ما صور ته يقين: عيون صافيه ، ودلائل ظاهرة ، وبراهين تفوح دلالة واضحة باهرة ، وحجج يقينيَّة عقليَّة بالغة قاطعة ساطعة ، لكن مَنْ يَطَّلع على واقعها يراها ظنون لا تُسْمِنُ ولا تُغْنِي من جوع في مقام الاستدلالات العقليَّة.

وهذا ما يوضِّح نُكتة اختلاف مدارس البشر المعرفيَّة والعقليَّة ـ كالمدارس الفلسفيَّة ؛ مشاء ، وإِشراق ، وحكمة متعالية وغيرها ـ ؛ فإِنَّ أَصحابها يُقيمون براهين يدَّعونها عقليَّة يقينيَّة وقطعيَّة على حقانيَّة مسلكهم ومدرستهم ، وفساد ما عداها ، لكن يجد واقعها النَّاقد البصير عندما يعمل نظره في ملحمة التَّحليل وسندان التعمُّق أَنَّها ظنون للعقل منها نبوة.

وهذه من أَزمات المناهج ، وقضيَّة مُهمَّة لابُدَّ من الإِلتفات إِليها ، وتكون حاضرة دائماً في ساحة مَنْ يبغي الوصول إِلى الحقيقة ، وتكون طريَّة في العقل والفكر البشري دائماً.

التَّنبيه الخامس والثلاثون:

قاعدة: (التَّوقيتيَّة والتَّوقفيَّة)

إِنَّ قاعدة: التَّوقيتيَّة والتَّوقفيَّة والتَّعَبُّديَّة لا تعني ما تخيَّله وتوَهَّمَه الكثير ؛ منهم بعض الإِخباريِّين والأُصوليِّين ، فإِنَّ التَّقييد بالنَّصِّ الوحياني في قِبَال مدرسة الإِستحسان والرأي لا يعني: الجمود على سطح وظاهر

ألفاظ بيانات الوحي ، وإِنَّما يعني: التَّمَسُّك بقوالبها ؛ والغور والغوص في بطونها وبحور معانيها وحقائقها غير المتناهية ؛ والوغول في بحار معارف الدِّين والحقيقة والعوالم الغيبيَّة الملكوتيَّة غير المتناهية ؛ بالشَّواهد والدلائل والموازين الوحيانيَّة والعلميَّة.

وهذا أَحَد المعاني الخفيَّة والرَّقيقة واللَّطيفة جِدّاً لقاعدة: «**لا جبر ولا تفويض ، إِنَّما أَمر بين أَمرين**».

التَّنبيه السَّادس والثلاثون :

هويَّة الرَّاوي مؤثِّرة في فهم الرُّوايَّة

هناك أَمرٌ مُهِمٌّ في تفسير بيانات الوحي الصَّادرة عن المعصوم عليه السلام ، ينبغي الإِلتفات إِليه ومراعاته ، حاصله: أَنَّ هويَّة الرَّاوي ، واتِّجاهه الفكري ، وذهنيَّته مُؤثِّرةٌ في فهم بيانات المعصوم عليه السلام ، لأَنَّه عليه السلام حينما يُخاطب الطَّرف يُلاحظ عقليَّته ونزعته واتِّـجاهه.

* القرآن الكريم.

١. الاحتجاج ، أَبي منصور أحمد بن عَلِيّ بن أَبي طالب الطبرسي.

٢. الاختصاص ، الشَّيخ محمّد بن محمّد بن النعمان العكبري البغدادي المفيد.

٣. أُصول الكافي ، الشَّيخ محمَّد بن يعقوب الكليني.

٤. الأَمالي ، الشَّيخ ، أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي.

٥. بحار الأَنوار ، الشَّيخ محمَّد باقر المجلسي.

٦. بشارة المُصطفى لشيعة المرتضى ، الشَّيخ عماد الدين أبو جعفر محمَّد بن أبي القاسم الطبري.

٧. بصائر الدَّرجات ، الشَّيخ محمَّد بن الحسن الصفَّار.

٨. تأويل الآيات ، السيِّد علي الحسيني الإسترابادي النجفي.

٩. تحف العقول ، الحسن بن عَلِيّ بن شعبة الحراني.

١٠. تفسير العيَّاشي ، محمد بن مسعود العياشي.

١١. التفسير المنسوب إِلى الإِمام العسكري عليه السلام.

١٢. تفسير فرات الكوفي ، فرات بن إِبراهيم الكوفي.

١٣. تهذيب الأَحكام ، أبي جعفر محمَّد بن الحسن الطوسي.

١٤. التوحيد ، الشَّيخ الصدوق محمَّد بن علي ابن بابويه القمي.

١٥. جامع الأَخبار ، الشيخ الصدوق محمَّد بن علي ابن بابويه القمي.

١٦. الجامع لأَحكام القرآن ، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي.

١٧. دلائل الإِمامة ، محمَّد بن جرير بن رستم ، الطبري.

١٨. صحيح البخاري ، أَبي عبد الله ، محمَّد بن إسماعيل البخاري.

١٩. صحيفة الأَبرار ، الميرزا محمد تقي الممقاني.

٢٠. علل الشرائع ، الشيخ الصدوق محمَّد بن علي ابن بابويه القمي.

٢١. عوالم العوالم ، الشيخ عبدالله البحراني.

٢٢. عيون أَخبار الرضا عليه السلام ، الشيخ الصدوق محمَّد بن علي ابن بابويه القمي.

٢٣. غرر الحكم ، الشَّيخ عبد الواحد بن محمَّد التميمي الآمدي.

٢٤. الفضائل ، شاذان بن جبرئيل.

٢٥. الكافي ، الشَّيخ محمَّد بن يعقوب الكليني.

٢٦. كنز الفوائد ، الشيخ أبوالفتح محمَّد بن عَلِيّ الكراجكي الطرابلسي.

٢٧. كنزل العمَّال ، علاء الدين علي المتقى بن حسام الدين الهندي.

٢٨. المحاسن ، الشَّيخ أبي جعفر أحمد بن محمد بن خالد البرقي.

٢٩. المحتضر ، الشَّيخ عزِّ الدِّين أبي محمَّد الحسن بن سليمان بن محمَّد الحليّ العامليّ.

٣٠. المحجَّة البيضاء ، المولى محسن الفيض الكاشاني.

٣١. مختصر البصائر ، الشَّيخ عزِّ الدِّين أبي محمَّد الحسن بن سليمان بن محمَّد الحليّ العامليّ.

٣٢. مشارق أَنوار اليقين ، الحافظ رجب البرسي.

٣٣. مناقب آل أَبي طالب ، الشَّيخ أبي جعفر محمَّد بن عَلِيّ بن شهرآشوب.

٣٤. ميزان الحكمة ، محمَّد الريشهري.

٣٥. نهج البلاغة ، الـمختار من حِكَم أَمير المؤمنين عليه السلام ، الشريف أَبو الحسن محمَّد بن الحسين الرضيّ.

٣٦. الهداية الكبرى ، الحسين بن حمدان الخصيبي.

٣٧. اليقين في أُمرة أَمير المؤمنين ، رضي الدِّين أَبي القاسم عَلِيّ بن موسى بن جعفر بن محمَّد بن طاووس.

الْمُقَدَّمَة ٧

المنهج المختار في قراءة بيانات الوحي ١١

الأُوْلَى: اللغة والقراءة العقليَّة ١١

إحداث العلم والمعلومة الحقَّة لأَهل البيت عليهم السلام ٢٢

ضحالة منهج: (حصر طريق المعرفة بالظَّنِّ التَّعَبُّدِي) ٤٤

الحُجَج والمُحْكَمَات على مراتب طوليَّة ٤٦

حجِّيَّة الخبر ٤٩

ضرورة التَّمسُّك بقوالب بيانات الوحي والغور في أَعْمَاقها غير المتناهيَّة ٥٤

قاعدة التَّوقيفيَّة شاملة لكافَّة المعارف الإلهيَّة ٥٤

معنى قاعدة التَّوقيفيَّة: التَّمسُّك بأَلفاظ الوحي والغور في بحور معانيها ٥٤

خلاصة ما تقدَّم ٥٥
إِشكال وجواب ٥٧
المراد من الجهة الثانية من جهات الحُجِّيَّة ٥٨
مراد الفقهاء من صحَّة وحُجِّيَّة الكتاب ٥٨
نُكتة تقدُّم الجهة الأُولى والثانية على الثالثة : ٥٩
أَدلَّة تراتب الحُجَج الثلاث ٦٣
عصارة ما تقدَّم ٧١
اللغَة والقراءة الثَّانية : (اللغَة والقراءة الذَّوقيَّة) ٧١
إِستنباطات أَهل المعرفة ١١٣
مراعاة القواعد المعرفيَّة ١١٥
عصارة ما تقدَّم في اللغة والقراءة الذَّوقيَّة ١١٥
لب لُباب ما ذكرناه في القراءتين ١١٦
تنبيهات : ١١٦
التَّنبيه الأَوَّل : ١١٦
العقول مخلوقات جسمانيَّة لطيفة ١١٦
التَّنبيه الثَّاني : ١٢٦

العقل مُتَّصل ومُنفصل ١٢٦
التَّنبيه الثَّالث: ١٢٧
العقل أَحَد مواليد العرش ١٢٧
التَّنبيه الرَّابع: ١٢٧
تجرُّد المعرفة عن الزَّمان ١٢٧
التَّنبيه الخامس: ١٢٧
تخطي الحدود الإِمكانيَّة لعَالَم العقلي ١٢٧
التَّنبيه السَّادس: ١٣٠
الحُجَج ظاهرة وباطنة ١٣٠
التَّنبيه السَّابع: ١٣٠
القوى العقليَّة المزوَّد بها الإِنسان ١٣٠
التَّنبيه الثَّامن: ١٣١
حقيقة الرُّؤية العقليَّة ١٣١
التَّنبيه التَّاسع: ١٣١
الحاسَّة السَّادسة ١٣١
التَّنبيه العاشر: ١٣١

دمج المعاني وتحليلها ١٣١
التَّنبيه الحادي عشر: ١٣٢
العقول وارتباطها بالنُّفوس ١٣٢
النُّفوس وارتباطها بالأَجساد ١٣٢
النَّفس الكُليَّة طبقة من طبقات حقيقة فاطمة الزهراء ÷ الصَّاعدة ١٣٣
التَّنبيه الثَّاني عشر: ١٣٦
عدمِ اختصاص صور العقل النَّظري بالجسمانيَّة ١٣٦
التَّنبيه الثَّالث عشر: ١٣٧
عدمِ إنحصار العلم بقوَّة العقل النَّظري ١٣٧
التَّنبيه الرَّابع عشر: ١٣٨
التَّفرقة بين آثار العقل النَّظري والعملي ١٣٨
التَّنبيه الخامس عشر: ١٣٨
للعقل العملي جهات وآليَّات وبنود ١٣٨
التَّنبيه السَّادس عشر: ١٣٩
الْقِوى الإِدراكيَّة المُسَلَّحَة لدى الإِنسان ١٣٩
التَّنبيه السَّابع عشر: ١٤٠

عَالَم رؤية العقل ١٤٠
التَّنبيه الثَّامن عشر: ١٤٠
قِوَى الإنسان العقليَّة تفوق قوى سائر المخلوقات العاقلة ١٤٠
التَّنبيه التَّاسع عشر: ١٤١
عين العقل المُسَلَّحَة ١٤١
التَّنبيه العشرون: ١٤٢
تفعيل قُوَّة العقل ١٤٢
التَّنبيه الحادي والعشرون: ١٤٢
قُوَّة العقل تُدرِك الأَشياء بصورتها الواقعيَّة ١٤٢
التَّنبيه الثَّاني والعشرون: ١٤٣
بث المعلومات قائم على قدم وساق ١٤٣
التَّنبيه الثَّالث والعشرون: ١٤٣
الموازنة بين قوى النَّفس وتجاذباتها ١٤٣
التَّنبيه الرَّابع والعشرون: ١٤٤
الخلط بين المعاني العقليَّة والمعاني الذِّهنيَّة ١٤٤
التَّنبيه الخامس والعشرون: ١٤٦

المخلوق قابل لأَفعاله وليس فاعلاً لها ١٤٦
التَّنبيه السَّادس والعشرون: ١٤٧
حقيقة العلم: تذكُّر ١٤٧
التَّنبيه السَّابع والعشرون: ١٤٨
وجود ترابطات وثيقة في دخيلة ذات الإِنسان ١٤٨
التَّنبيه الثَّامن والعشرون: ١٥٠
العقوبة العقليَّة أَعظم خسارة يُصاب بها العاصي ١٥٠
التَّنبيه التَّاسع والعشرون: ١٥٢
التَّجاذبات بين العقل العملي وسائر قوى النَّفس ١٥٢
التَّنبيه الثَّلاثون: ١٥٣
لحالة الكفر والشرّ بالغ التَّأثير على العقل ١٥٣
التَّنبيه الحادي والثَّلاثون: ١٥٤
الإِنسان هو الصَّانع لجوهر ذاته والحائك لها ١٥٤
التَّنبيه الثَّاني والثَّلاثون: ١٥٦
حركات الإِنسان وسكناته تُؤثّر على عقله ١٥٦
التَّنبيه الثَّالث والثَّلاثون: ١٥٧

العقل العملي منبع الحيويَّة في الإِنسان ١٥٧

التَّنبيه الرَّابع والثَّلاثون: ١٥٩

كلَّمَا تزايدت مراحل الاستنتاج كُلَّمَا ابتعدت النتيجة عن البداهة ١٥٩

التَّنبيه الخامس والثلاثون: ١٦٠

قاعدة: (التَّوقيتيَّة والتَّوقفيَّة) ١٦٠

التَّنبيه السَّادس والثلاثون: ١٦١

هويَّة الرَّاوي مؤثِّرة في فهم الرُّوايَّة ١٦١

المصادر والمراجع ١٦٣

فهرست المحتويات ١٦٧